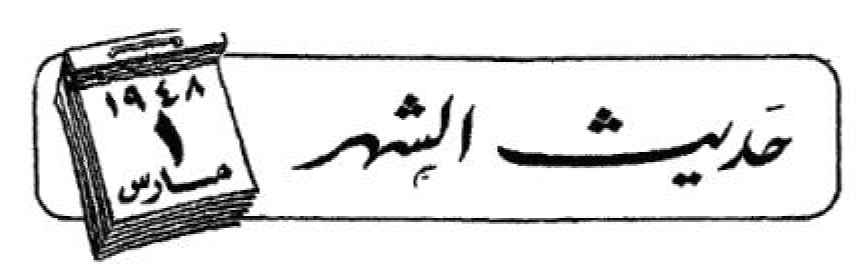


مارس اله الحرب

هكذا الرومان سموه ، وبهذه الصفة عبدوه

وتنذر الحرب اوتقبل ، فيهرع القساوسة الى بطن روما ، الى معبده فيها . وفى المعبد رماح الرب ، رب الحرب . او هى مارس .. تمثل ، فكان رماحا . فيهز القساوسة الرماح ، ويصيحون : « مارس ، استيقظ »

وهو اذا استيقظ حاهم شر الحرب ، او ضمن لهم النصر . وهو اذا ظل على نومه ، فالويل لروما ، والويل لاهلها

ويأتى الشتاء باشهره الاربعة الباردة ، فيقل احتمال الحرب ، ويقل الحديث فيها ، وتقل اللفتة لها والى الهتها . فاذا اخذ الشتاء يتزايل ، وهلت بشائر الربيع ، تعلن عن حركة من بعد ركود ، وعن حياة من بعد موت ، خاف الناس من الحرب تأتى مع الحركة والحياة ، فنشطوا الى الرب من بعد صمت طويل يدعونه ، ومن بعد اغفال طويل يعبدونه . وتتخذ عبادتهم اياه صورا اقمن ما تكون بالحرب واعون ما تكون على بلوغ الغاية . تلك حفلات لسباق الخيل وسباق الناس ، ولرياضة الجسم من بعد جود ، وايقاظ النفس من بعد خمود

وتقع هذه فى شهر مارس حين يوشك أن يهل ، وحين ينتصف . وسموا هذا الشهر باسم الرب ، وجعلوه اول شهور العام ، لانه اول الحركة ، واول الحياة ، واول الحرب

الطبول تدق

ونحن اليوم ، بحلول مارس ، وقبل ان يحل ، نسمع طبولا للحرب تدق ، تأتى اصداؤها من الغرب عبر الاطلسى ، من الارض الجديدة ، حيث الثلج اخذيذوب ، وتأتى اصداؤها كذلك من الشرق الى شمال ، عبر السهل والجبل ، حيث الدببة اخذت تتحرك ولم تكد

ونحن فى مصر ، وفى الشرق ، ليس لنا اله حرب نعبده ، فنقيم له الحفلات عبادة ورياضة واستعدادا . فالايمان افتقدناه حتى فى انفسنا . واذا جاءت الحرب قلنا ما قال الاعرابى : « لسنا فى العير ولا النفير » وكيف يكون فى العير والنفير من لا قوة له . كيف يكون فى العير من لا رجال له ، الا رجالا لم يستطيعوا

ان يفتدوا انفسهم من جيش بمال . وكيف يكون فى النفير من لا سلاح له ، الا سلاحا يشتري بالمال، وحتى المال وحده لا يشتريه الا اذا رضى البائع . والبائع لا يرضى ان يأخذ عن سلاحه مالا فحسب ، بل هو يريد ان يأخذ مع المال ارادة وخضوعا وطاعة . وهو قد يعف عن المال ، ما اخذ وقود الحرب من رجال

حياد أم حرب

ونحن الى اى الخيام جنحنا . لابد ان نجنح ونحن على بينة مما نفعل . نحن اذا ملنا عن ميامننا او مياسرنا ، انما نميل الى سيد غربى أو سيد شرقى . وهي سيادة مطلقة تدوم ما دامت الحرب . فاذا وضعت الحرب اوزارها ، كنا عند رحمة الغالب . فان كانت الغلبة للسيد الذى آثرنا طاعته ، فعندئذ تكون جلبنا لمدننا التخريب وللناس بلاء الحروب ، وتكون قد كسبنا المران على الحرب ، وتكون قد بقيت بايدينا بقية من سلاح نناوش بها الغالب ونحد من اطماعه . وان كانت الغلبة للسيد الذى آثرنا خصومته ، فعندئذ تكون جلبنا لمدننا التخريب وللناس بلاء الحروب ، تماما كما لو كان سيدنا هو الغالب ، وتكون قد كسبنا مران الحرب ، ثم لا تبقى معنا بقية من سلاح ، ويكون الخضوع الكامل والبؤس المتطاول

ثم الاحتمال الثالث وهو الحياد،



مارس اله الحرب

وفيه لا نكسب مرانا فى حرب ، ولا نأخذ سلاحا ، ونحفظ المدن، ونجنب الناس البلايا ، ثم يكون أمرنا من بعد حرب مثله قبلها . والحياد على كل حال مقامرة ، كما ان الحرب مع غرب مقامرة ، وكما هي مع شرق مقامرة ، ولكن مقامرة الحياد فيها الانصبة قليلة ، فالكاسب ان كسب كسب قليلا ، وان خسر خسر قليلا

جنة ونار

ان الامم اذا خيرت بين جنة أو نار ، لم تتردد ساعة فى اختيار الجنة على النار . ولكن هذا الذى يعرضونه على مصر ، والأمم الشرقية ، على دق طبول الحرب ولو بعيدة ، ليس الخيار بين جنة او نار

ولقد زاد الحلفاء الغربيون مشقة الخيار على مصر ، والأمم الشرقية ، بالذى يفعلون . فهم يعرضون المعاهدات ، وفى طيها التعاون ، ولكن فى طيها كذلك الريبة ، فهى مزيج من جنة ونار، ثم هم من الناحية الاخرى يضربون الشرق فى صميم حياته ، بمناصرة الصهيونية ، وهي نار كلها

وكنا دائما نفترض الفطنة فى الحلفاء الغربيين ، فكيف جاز فى عقولهم ان يجمعوا بين تقسيم فلسطين ونصرة العراقيين ، وبلهاء الناس تعلم اليوم أن فلسطين ليست مقصد اليهود ، وان مقصدها العراق ، وانه ليس فى غير العراق تلقى لهم عصا ، أو تستقر بهم نوى

أين الفطنة يا حلفاء الغرب ؟

ان الذى يسدد الرصاص الى راسه ، قد يلقي بنفسه من النافذة ، فلعله واقع على ارض قريبة ، وواقع منها على رجليه

جهود وجهود

وفى غمرة هذه الأمور ، وفى ظلال هذه النذر ، يتساءل المرء بحق : هل مصر والأمم الشرقية توزع جهودها بين أمورها الخارجية ، وأمورها الداخلية توزيعا عادلا ؟ ثم أليست أمور هذه البلاد الداخلة أقمن بالتركز عليها وأجدر ؟ ثم أليست سوء حالتنا الخارجية نتيجة لازمة لسوء حالتنا الداخلية ؟

ان السياسيين يعتقدون بحق ان الغاية هي استقلال البلاد ، ولكنا نتساءل عن هذا الاستقلال لو بلغناه كاملا .. أيكون له فى الداخل مقومات تقيمه وتحميه ؟ وهل يقوم الاستقلال ويقيمه فقر ؟ وهل يقومه ويقيمه جهل ؟ وهل يقومه ويقيمه مرض؟ وهل يقومه ويقيمه التحدث عن فقر وجهل ومرض؟ أوليس الاستقلال يحميه الجيش ، ثم أليس الجيش الحديث صناعات وعلوما ؟ ثم أليس سنده فى الأمة مالا وتجارة ؟ ثم أليس الجيش برجاله ، وان رجال جيوش اليوم لابد لهم من درجة فى الثقافة عالية . وهم يؤلفون من جمهور الناس ، فوجب اذن أن يكون جمهور الناس فى درجة من الثقافة عالية ؟ ثم أليست هذه الثقافة فى حاجة الى المال

الكثير والزمن الطويل ؟

لقد شغل الساسة الناس بامورهم الخارجية شغلا اغفلهم عن امورهم الداخلة . ونحن لا نقول اشغلوا الناس بامورهم الداخلة عن امورهم الخارجية ، ولكن اشغلوهم بها بمقدار

ان السياسة الخارجية غايتها الاستقلال ، بل هي اليوم غايتها استكمال استقلال . ونحن في ظل ماكسبنا من استقلال، نستطيع ان نعمل كثيرا وان نعمل سريعا. ولكن السياسيين دائبون على شغلنا بتلك البقية الباقية من استقلال ، الهاء للناس عن مطالب داخلية لا يفقهها السياسيون ، ولا يستطيعون لها انجازا ان هم فقهوها . ذلك انها من عمل الفنيين . واذا جاء عمل الفنيين قلت اعمال الساسة ، وقل نفوذهم

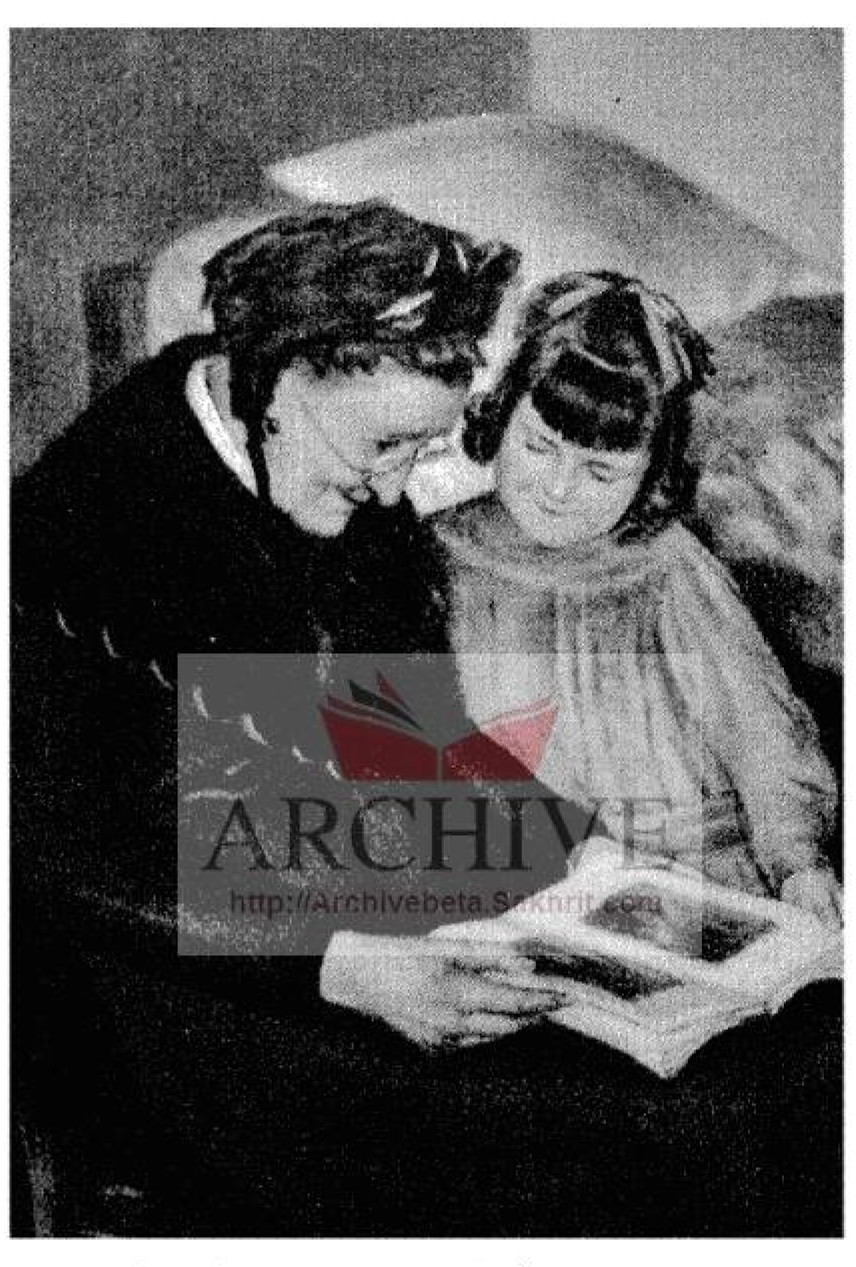
الاستقلال وسيلة

ولقد أوقع الساسة في روع الناس ان الاستقلال غاية . وما هو الا وسيلة لاسعاد الناس . وكم من امة بلغت استقلالها ، او هي على استقلالها ، ودونها بين السعد والاسعاد مراحل . والى ان يكون استقلال ، ولا سيما الى ان يتم استقلال ، ليس في امة ما يمنع تحت استقلالها المحدود أن تتجه بكل قواها الى تقوية الامة في أكثر من حقل ، والى استنبات بذور الحياة فيها

ام ان هناك من تضارب المصالح ما يوسوس في بعض الاذان ان الاصلاح الوان ليست كلها مما تحمد عليها المائدة، وان في الاصلاح يجب التريث، وان خطى الاصلاح يحسن ان تكون كخطى السلحفاة لا خطى الارنب ، فتبلغ السلحفاة الهدف اكيدة ولو بطيئة

ان هذا العصر لا يحتمل بطء السلحفاة ، ولا حتى سرعة الارنب . والوسوسة لا تؤدى بصاحبها الا الى المهالك . فلينظر المتوسوسون في هذا الامر مليا ، وهم لا شك منتهون الى ان النهضة التى بدات لا يمكن اقعادها ، واليقظة التى وقعت لا يمكن ابدال صباحها مساء ، او نهارها ليلا ، وان خير القلة في خير الكثرة ، وان الناس اخوة ، ان لم يكونوا سواسية ، وان ابناء البلد الواحد كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وان الطين في البناء لا يشد الحجر ، بل هو لا يكاد يحمله ، وكيف يحمل رخو صلدا . فما بال البناء الذى اكثره من طين

انا نريد بناء على وتيرة واحدة، ونريده كله من حجر . ونحن نخشى غباوة البنائين ، وسوء رايهم ، بل سوء طالعهم . نخشى على ايديهم ان ينهدم البناء كله ، وعندئذ يكون كومة من طين ، لا تستر، وليس فيها من برد وقاء، ولا من شمس غطاء



أول كتاب تقرؤه . . ! [للفنان كولير بنكس]

« لا أحب الكتب لأنى زاهد فى الحياة ، ولكنى أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفينى . . »

لماذا أهوى القراءة ؟

بقلم الأستاذ
عباس محمود العقاد

اول ما يخطر على البال — حين يوجه هذا السؤال الى احد مشتغل بالكتابة — انه سيقول : اننى أهوى القراءة لاننى أهوى الكتابة !

ولكن الواقع ان الذى يقرأ ليكتب وكفى هو « موصل رسائل» ليس الا . أو هو كاتب « بالتبعية » وليس كاتبا بالاصالة . فلو لم يسبقه كتاب آخرون لما كان كاتبا على الاطلاق ، ولو لم يكن احد قبله قد قال شيئا لما كان عنده شيء يقوله للقراء .

وانا أعلم فيما أعهده من تجاربى اننى قد اقرأ كتبا كثيرة لا اقصد الكتابة فى موضوعاتها على الاطلاق.

واذكر من ذلك ان أديبا زارنى فوجد على مكتبى بعض المجلدات فى غرائز الحشرات. فقال مستغربا ، وما لك انت وللحشرات ؟ انك تكتب فى الادب وما اليه ، فاية علاقة للحشرات بالشعر والنقد والاجتماع ؟

ولو شئت لاطلت فى جوابه . ولكننى اردت أن اقتضب الكلام بفكاهة تبدو كانها جواب وليس فيها جواب

فقلت : نسيت اننى اكتب ايضا فى السياسة !

قال نعم . نسيت والحق معك !.. فما يستغنى عن العلم بطبائع الحشرات رجل يكتب عن السياسة والسياسيين فى هذه الايام

والحقيقة كما قلت مرارا ان الأحياء الدنيا هى « مسودات » الخلق التى تتراءى فيها نيات الخالق كما تتراءى فى النسخة المنقحة ، وقد تظهر من المسودة اكثر ما تظهر بعد التنقيح . فاذا اطلع القارىء على كتاب فى الحشرات ، فليس من اللازم اللازب أن يطلع عليه ليكتب فى موضوعه ، ولكنه يطلع عليه لينفذ الى بواطن الطبائع وأصولها الاولى ، ويعرف من ثم كيف نشأ هذا الاحساس أو ذاك الاحساس ، فيقترب بذلك من صدق الحس وصدق التعبير ، ولو فى غير هذا الموضوع



كذلك لا احب ان أجيب عن السؤال كما أجاب قارىء التاريخ فى البيت المشهور :

ومن وعى التاريخ فى صدره
اضاف أعمارا الى عمره

فليست اضافة أعمار الى العمر بالشيء المهم الا على اعتبار واحد، وهو ان يكون العمر المضاف مقدارا من الحياة لا مقدارا من السنين ، او مقدارا من مادة الحس والفكر والخيال ، لا مقدارا من أخبار الوقائع وعدد السنين التى وقعت فيها . فان ساعة من الحس والفكر والخيال تساوى مائة سنة أو مئات من السنين ، ليس فيها الا انها شريط تسجيل لطائفة من الاخبار وطائفة من الارقام

*

كلا . لست أهوى القراءة لاكتب ، ولا أهوى القراءة لازداد عمرا فى تقدير الحساب

وانما أهوى القراءة لان عندى حياة واحدة فى هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفينى ، ولا تحرك كل ما فى ضميرى من بواعث الحركة

والقراءة دون غيرها هى التى تعطينى أكثر من حياة واحدة فى مدى عمر الانسان الواحد . لانها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وان كانت لا تطيلها بمقادير الحساب

فكرتك انت فكرة واحدة
شعورك انت شعور واحد
خيالك انت خيال فرد اذا قصرته عليك

ولكنك اذا لاقيت بفكرتك فكرة اخرى، أو لاقيت بشعورك شعورا آخر ، أو لاقيت بخيالك خيال غيرك . فليس قصارى الامر ان الفكرة تصبح فكرتين ، أو ان الشعور يصبح شعورين ، أو ان الخيال يصبح خيالين ...

كلا . وانما تصبح الفكرة بهذا التلاقى مئات من الفكر فى القوة والعمق والامتداد

*

والمثل الاعلى على ذلك محسوس فى عالم الحس والمشاهدة ، ومحسوس فى عالم العطف والشعور

ففى عالم المشاهدة يجلس المرء بين مرآتين فلا يرى انسانا واحدا او انسانين اثنين ، ولكنه يرى عشرات متلاحقات فى نظره الى غاية ما يبلغه النظر فى كل اتجاه

وفى عالم العطف والشعور نبحث عن أقوى عاطفة تحتويها نفس الانسان فاذا هى عاطفة الحب المتبادل بين قلبين

لماذا ؟

لانهما لا يحسان بالشيء الواحد كما يحس به سائر الناس

لا يحسان به شيئا ولا شيئين، وانما يحسان به أضعافا مضاعفة لا تزال تتجاوب وتنمو مع التجاوب الى غاية ما تتسع له نفوس الاحياء..

هكذا يصنع التقاء مرآتين ، وهكذا يصنع التقاء قلبين . فكيف بالتقاء العشرات من المرائى النفسية فى نطاق واحد ؟ وكيف بالتقاء العشرات من الضمائر والافكار ؟

ان الفكرة الواحدة جدول منفصل

أما الافكار المتلاقية فهى المحيط الذى تتجمع فيه الجداول جميعا ،

والفرق بينها وبين الفكرة المنفصلة كالفرق بين الأفق الواسع والتيار الجارف ، وبين الشط الضيق والموج المحصور

*

وقد تختلف الموضوعات ظاهرا أو على حسب العناوين المصطلح عليها ، ولكنك اذا رددتها الى هذا الاصل كان أبعد الموضوعات كأقرب الموضوعات من وراء العناوين

أين غرائز الحشرات مثلا من فلسفة الاديان ؟

وأين فلسفة الاديان من قصيدة غزل أو قصيدة هجاء ؟

وأين هذه القصيدة أو تلك من تاريخ نهضة أو تاريخ ثورة ؟

وأين ترجمة فرد من تاريخ امة !

ظاهر الامر انها موضوعات تفترق فيما بينها افتراق الشرق من الغرب والشمال من الجنوب

وحقيقة الامر انها كلها مادة حياة ، وكلها جداول تنشق من ينبوع واحد وتعود اليه

غرائز الحشرات بحث فى أوائل الحياة

وفلسفة الاديان بحث فى الحياة الخالدة الابدية

وقصيدة الغزل أو قصيدة الهجاء قبسان من حياة انسان فى حالى الحب والنقمة

ونهضة الامم أو ثورتها هما جيشان الحياة فى نفوس الملايين

وسيرة الفرد العظيم معرض لحياة انسان ممتاز بين سائر الناس

وكلها امواج تتلاقى فى بحر واحد ، وتخرج بنا من الجداول الى المحيط الكبير

ولم اكن اعرف حين هويت القراءة انني ابحث عن هذا كله ، او ان هذه الهواية تصدر من هذه الرغبة

ولكنني هويتها ونظرت فى موضوعات ما أقرأ فلم اجد بينها من صلة غير هذه الصلة الجامعة ، وهى التى تتقارب بها القراءة عن فراشة ، والقراءة عن المعرى وشكسبير

*

لا أحب الكتب لانني زاهد فى الحياة

ولكنني احب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفيني . ومهما يأكل الانسان فانه لن يأكل بأكثر من معدة واحدة ، ومهما يلبس فانه لن يلبس على غير جسد واحد ، ومهما يتنقل فى البلاد فانه لن يستطيع أن يحل فى مكانين . ولكنه بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يجمع الحيوات فى عمر واحد ، ويستطيع أن يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل ، وتتضاعف الصورة بين مرآتين

عباس محمود العقاد

حيث النساء رجال ، والرجال نساء !

جزيرة الحب والجمال

تعرف جزيرة « رابا » ، منذ مائة عام باسم جنة البحارة، وذلك لما روى عنها من الاقاصيص والاساطير ، وما نقله عنها العدد القليل من الاوربيين الذين اتيحت لهم زيارتها ، من أخبار وروايات، اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة. و « رابا » هذه تحتل اعماق تلك المجموعة من الجزر الواقعة فى المحيط الهادى - كما هو موضح بالخريطة

وكان أحد الصحفيين الامريكيين أول من أثار الاهتمام بهذه الجزيرة الفريدة من نوعها ، وأزاح الستار عن الحياة فيها ، وكشف السر فى تسميتها جنة البحارة ، فقد حدث ان السفينة الصغيرة التى كانت تقله الى احدى تلك الجزر الجنوبية ، القت مراسيها على شاطىء « رابا » هذه ، فنزل فيها عرضا لا عمدا . وما كاد يتغلغل فى ارجائها ، ويشهد الحياة فيها ، حتى استهوته غرابتها ، وراعه خيالها .. فعاد الى بلاده ونشر مقالا وصف فيه ما رات عيناه فيها ، وعلى الاخص ما يتعلق بنسائها

وأول ما ذكره عن تلك الجزيرة، ان عدد النساء فيها أربعة أمثال عدد الرجال . والمراة هناك تمتاز بجمال نادر ، الى انها قوية البنية صحيحة الجسم ، مستقلة تمام الاستقلال ، لا تقيدها عادات او تقاليد تكبت عواطفها، بل تعتقد ان المراة لم تخلق الا للحب الطليق من كل قيد ، وان الغزل فن على المراة ان تمارسه ، حتى تبلغ فيه درجة الاتقان والكمال

❋

واكثر من ذلك ان الرجل فى نظر النساء هناك فى منزلة الملائكة والقديسين .. لا يكد ولا يشتغل ، ولا يعمل . فهو مدلل معزز ، يقضى اوقاته فى الراحة والترف ، والاستمتاع بحب المراة وعطفها وعنايتها . فالمراة هى التى تقوم برعايته وخدمته ، وتقديم الطعام الشهى اليه ، بل ايصاله الى فمه ،لانه فى اعتقادها لم يخلق الا لاشباع لذاتها وارضاء رغباتها

بذلك انعكست الآية .. السلطان فى الشرق يستمتع بحريمه ، ويغار عليهن ، فيوصد الابواب والنوافذ ، اما فى جزيرة « رابا » فالمراة هى السلطان ، تغار على رجالها فتبالغ فى تكريمهم وتدليلهم ، وتوصد عليهم

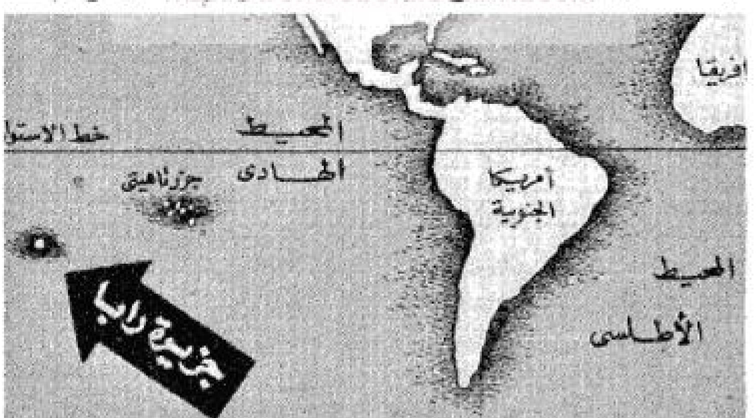
الابواب والنوافذ، وتسعى للمزيد منهم ما استطاعت الى ذلك سبيلا

لقد وصف الصحفي الامريكي لبني قومه هذه الحياة في ذلك الفردوس السحيق النائي ، فاجاد الوصف وصور لعباد الجمال ، وعشاق الخيال ، لوحات ناطقة بما يجرى هناك في ظلال النخيل : رجال بيض ، لفحت الشمس اجسامهم فاكسبتها الوانا نحاسية بديعة ، يهجعون على بساط من الخضرة تحت الاشجار ، بين غيد سمر حمر ، ناهدات الصدور ، عاريات الخصور ، لا تسترهن الا اوراق الاشجار . ويبلغ شغف اولئك الغيد باولئك الرجال الاقوياء وفرط غرامهن بهم ، انهن يعمدن الى خطفهم اذا لم يكن ثمة من وسيلة اخرى . . وهيهات لهم الافلات منهن

وكان أول من لبى نداء هذا الوصف الاخاذ امريكيا ، اوشك على الستين من عمره . وقد لاحظ الموظف الفرنسي الذي وقع على جوازه ، قبيل ابحاره الى « رابا » من ثغر « بابيت » ، انه على كبره كان يفيض حيوية ، ورجولة ، وقوة عزيمة . ولم تمض أيام حتى وقع هذا الموظف على جواز أمريكي ثان ، عقبه ثالث ورابع . . وهكذا الى ان بلغ العدد اثنى عشر ، من جميع الاعمار ، ومختلف الاطوال والاجسام ، ودرجات الذكاء والقوة والرجولة . وكان كل منهم ينتظر طويلا على أحر من الجمر ، ريثما تسعفه الاقدار بسفينة صغيرة ميممة نحو تلك الجزيرة . . جنة الحور ، وجزيرة الحب والجمال . وقد حارت السلطات الفرنسية في أمر هؤلاء السياح ، لا لشيء سوى انه على طول غيابهم هناك ، لم يعد منهم رجل واحد

*

وليست « رابا » جزيرة استوائية كما قد يظن ، اذ انها تكاد تقع على خط الجدى جنوبا وعلى خط العرض الواقعة عليه مدينة « برسبين » وعلى بعد



٣٨٠٠ ميل شرقيها . ولا سبيل للوصول اليها الا من جزيرة « تاهيتى » والطريق اليها وعر محفوف باخطار الصخور والمد والجزر ، بيد ان الامريكيين الاثنى عشر الذين بلغوا « رابا » ، مدفوعين بالامل والرجاء ، لا باليقين ، وجدوا كل شيء هناك كما وصفه الصحفي، واتضح لهم ان الحقيقة أصدق من الخيال، ولم تخطفهم النساء ، كما كانوا يخشون ، لانه لم يكن ما يدعو الى ذلك

ولم يكن هناك خطر يهددهم سوى الزواج . . وهو عادة غدا السكان يقدسونها ، اذا ما استوفت جميع شروطها. وتتم مراسمها في كنيسة فخمة البناء تسع ثلاثة امثال عدد السكان ، شادتها ارسالية فرنسية دينية. على ان تلك الارسالية لم تستطع في الواقع ان تغير من عادات « رابا » وعقلية أهليها. فهم اسوة بجميع سكان « بولينيزيا » يعتقدون أن الحب الطليق من كل قيد ، من حق كل مخلوق ، ومن طبيعة الانسان ، وهو الطريق السلطاني للعيش الرغيد. والفتاة هناك تنضج كالزهرة مبكرة . ومتى بلغت الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمرها ، حررت من كل قيد ، واطلق لها عنان الحرية حتى النهاية ، ولكنها متى اختارت شريك حياتها وتزوجت منه، أخلصت له وظلت وفية الى النهاية . وهذه تقاليد تجرى عليها جميع النساء في «بولينيزيا»، وحرى بالبيض من أهل الغرب الذين يفاخرون بعادة الزواج من امرأة واحدة ، أن يتخذوا من هذه التقاليد درسا وعظة

وتسبق مراسم الزواج فترة تجربة تمتد عدة أسابيع ، تختبر المرأة فيها الرجل ، من حيث الانسجام الجنسي أولا ، والخصب ثانيا ، ومتى تمت التجربة على ما يرام ، علق اعلان الزواج على شجرة مدة أسبوعين، فاذا لم تقم في خلالها موانع ، هرع الضيوف والاقارب من الوديان والقرى البعيدة لحضور الوليمة . ولكن الى هنا .. لا يضمن العريس انه أصبح اهلا لعروسه، أو انه اهل للمراسيم الدينية ، بل عليه قبل ذلك ان يجوز امتحانا دقيقا ، اذ توفد اليه امرأتان خبيرتان بشؤون الزواج ، فتاخذانه الى بعيد ، وتجردانه عن ثيابه ، ثم تقومان بفحص دقيق ، تشهدان بعده بصلاحيته للعروس . فاذا جاز الامتحان قاده أقرب المقربين اليه الى مذبح الكنيسة ، حيث تكون العروس في انتظاره . واذا ماتت الزوجة قبله حتم عليه القانون أن يتزوج من اختها ، أو اقرب النساء اليها

*

وتبدو الحياة الحديث العهد بهذه الجزيرة غامضة محوطة بالخيال والابهام ، وعلى الاخص ليلا . فمن الشاطيء ، أو من سطح السفن الصغيرة الراسية هناك ،

يشهد الرائى انوارا تتألق فى كهوف منبثة فى سفح التلال ، واضواء غريبة تبدو تارة وتختفى أخرى من منحنيات ، وفتحات تتعرج بين الصخور، وتغيب بين الاشجار . ان حقيقة هـــذه الانوار وتلك الاضواء ، صورة ناطقة للحياة فى تلك الجزيرة ، جنة العشاق . فى تلك التلال الوف من الكهوف والمغاور العميقة الذاهبة فى أجواف الصخور . وكل من هذه الكهوف لغادة حسناء ، زينتــه بكل ما لديها من اثاث وفراش ، وما وهبته الطبيعـة الجزيرة من أعشاب وزهور واغصان . ومتى جن الليل وأرخى الظلام سدوله، اضيئت الانوار خافتة ، وقادت الغادة من اصطفته من العشـاق الى مخدعها ، على ضوء المشاعل ، وقضت هزيعا من الليـل معه فى انس وسمر . وقد يخيب امل القارىء ، الذى الف الجمال فى رشاقة دوروثى لامور ، ومثيلاتها من كواكب هوليود ، اذا علم أن الفتاة فى « رابا » مفتولة العضل ، قوية البنية ، ربعية القد، تفيض حيوية وحيوانية

[عن مجلة « ومنز دبجست »]

هل للأرقام أسرار ؟

لعب الرقم ١٣ دورا هاما فى تاريخ لويس الثالث عشر ملك فرنسا ، ومثله اليوم الواحد والعشرون من الشهر فى حياة لويس الرابع عشر ، والرقم ٦ فى حياة كثير من الشخصيات الملكية فى انجلترا ، اذ مات كل من وليم الثالث ، والملكة آن ، وجورج الاول ، وجورج الثانى ، وجورج الثالث ، وجورج الرابع ، فى اليوم السادس من الاسبوع !

وليس فى الاستطاعة تعليل مثل هذا الاتفاق الغريب ، ومن هنا يسلم الكثيرون بان للأرقام أسرارا غامضة

اما فى عصرنا الحديث فان الرقم ١٣ ما زال ينظر اليه نظرة تشاؤم ، ولذا لا تجد فى العمارات الانجليزية شقة عليها رقم ١٣ ، انما يوضع عليها رقم ١٣ ب . كما ان هناك شوارع لا تجد فيها منازل تحمل رقم ١٣ . وفى مدينة لاهاى ١٣ خطا للترام .. مرقومة من ١ ــ ١٢ ثم حرف « ا » بدلا من رقم ١٣

وقد تألفت فى امريكا وانجلترا نواد لا مهمـة لها الا محاربة هـذه الخرافات وسميت بنوادى الرقم ١٣ ، ويهتم اعضاؤها بتحدى جميع ضروب التشاؤم . ولكنها لم تحقق الغرض من انشائها حتى الآن !

آلامى وأحلامى!

بقلم فكرى أباظة بك

> اللهم
> حقق الأحلام
> وخفف الآلام

تنقسم الآلام والاحلام الى اقسام ثلاثة :

١ـ آلام واحلام عامة ...

٢ ـ آلام واحلام شخصية ذاتية ...

٣ ـ آلام واحلام لا تتعلق بالشخص ولا بالذات . وانما تتعلق « بالغير » ...

آلامى العامة

اما آلامى العامة ، فهى التى تتصل بالوطن وبمصر بصفتى مواطنا مصريا ..

فانا متألم لان هذه البلاد وقد بلغت ثروتها وخصوبتها ويسرها مبلغ الحسد والغيرة .. وقد بلغ عدد سكانها ما يزيد على الثمانية عشر مليونا من النفوس ، وهى عصبية وعصبة قوية ... وقد توسطت الشرق والغرب ، وسيطرت على مسالك الجو والبر والبحر ... وقد حشدت فيما حشدت داخل الدواوين الحكومية وخارجها عددا كبيرا من النوابغ والعباقرة والمبرزين .. هذه البلاد وقد حباها الله تلك الثروة المادية والمعنوية ، ما تزال بعيدة عن أن تحتل مكانتها وتتربع على عرشها وتشق طريقها فى مقدمة الصفوف !..

متألم ، لان «الخميرة» و « المادة الخام» كامنة وموجودة ومتوافرة ، ولكنها لا تستعمل ولا تستغل ؟ !

متألم ، لانه بالرغم من هذا اليسر والخصب والرخاء ، ماتزال الاغلبية الساحقة تعانى آلام الجوع والجهل والمرض ، وانا شريك فى هذه الآلام ...

متألم ، لاننا نستطيع أن نؤلف دولة عسكرية ولا نفعل !.. دولة صناعية ولا نفعل !.. دولة تجارية ولا نفعل !.. دولة بحرية ولا نفعل !..

متألم ، لان الشلل العام اصاب الرؤوس ، فشل المرءوسين ! وذوى ، واضمحل ثمانية عشر

مليونا من النفـوس ، لان عشرة منهم او خمسـة عشر اصابهم الشـلل الذهنى ، والقلبى ، والوجـدانى ، فقتلـوا بلدهم ، واعدموا وطنهم ، وقضـوا على حاضرهم ومستقبلهـم ، بسبب نزاع ضئيل هزيل عليـل حول الحكم ومجد الذات لا مجد الوطن !

*

هـذه هى « آلامى العامة » والعجيب فى امرها ، ان الجميع يحسونها كما أحس ، ويشعرون بها كما أشعر ، ويتألمون لها كما أتألم ، ويعـرفون علاجهـا كما اعرف .. ولكنهم يقفون منهـا موقفهـم السلبى ، منتظـرين معجزة القدر .. والعصر ليس عصر المعجزات !

آلامى الشخصية

سرى « ألم النفس » فى الجسم فولد « ألم الجسم » . ولى بحث طويل نشرته منـذ زمن عن ألم النفس وألم الجسم وأيهما أشـد ايلاما .. وخلاصـة البحث أن الألمين يتعانقـان ، ويندمجان ، ويمتزجان ، ويتمخضان عن «الألم العبقرى » الذى يحز فى النفوس وفى الاجساد معا ، وفى الاذهان وفى الابدان معا ، وفى القلوب وفى اللحم والعظم معا ... وهكذا .. فاقرأ « خليطـا » من آلامى الشخصيـة أكشف عنهـا بكل صراحـة ممزوجة بكـامل « الاعتراف » :

١ ـ برغم جهـادى وكفاحى وعملى وانتاجى لم اكون «ثروة» فى مدى ثلاثين عاما . وبالرغم من أننى احتقر الماديات الا أنها فى حكم الحقيقة والواقع عصب وعصبية . وكلما تقدمت السن كلما «تقدمت» الحساسية من نحو ضرورة المال

ويزيد فى المى ان غيرى من غير المؤهلين ومن غير العاملين المنتجين جمعوا فى عامين اثنين الوفا والوفا من الجنيهات ، ودعموا حاضرهم ومستقبلهم ، واقتنوا العـزب والمزارع ، وشيدوا « الفيللات » والقصور . فاذا تألمت من هـذه الناحية ، فليس هذا الالم هو ألم الغيرة والحسـد ، وانما هو الم الحرمان . وانا من المؤمنـين « بالحظ » ومن حقى أن اعلن أن حظى من هذه الناحية مؤلم !

٢ ـ احب الاطفال حبا جنونيا . حتى لاطوف عليهم بالنادى الاهلى اداعبهم والاعبهم و « اهشكهم » واطعمهم واسقيهم ، وأشعر تماما بأنهم قطعة من قلبى وكبدى .. الآن ـ والآن فقط ـ أحسست النقص فى حياتى . والنقص هو : زوجة ، وولد ! !

ولى الموسم وضاعت الفرصة ، فمن لى اليوم بزوجة وبأولاد ؟

هـذا « الألم » وفد حديثا ، ووفد أخيرا . ولا علاج له الا التأوه والتحسر ، لانى لا انصح بالزواج بعد الخامسة والاربعين

٣ ـ ومن الآلام الدقيقة الانيقة الرقيقة ، ذلك الالم الذى يصاب به من كان مثلى فى صباه ، فتى فتانا ، خلابا ، جذابا ، تتدفق

عليه ، وحوله ، الغيد الحسان !

ولى هذا هو الآخر وذوى . فشمسى اليوم فى كسوف ، وقمرى فى خسوف .. ولئن تعطف البعض منهن بالعطف والحنان والميل ، فما هذا فى نظرى الا « صدقة » و « زكاة » ...

والويل كل الويل للكهول اذا ما اكتهلت اعمارهم ، وأشكالهم ، وخلقتهم ، وظلت قلوبهم كما هى — وكما كانت — صبية فتية تنبض ، كما كانت منذ عشرين عاما . هنا الم عنيف يندفع ولا يرد ! ويزحف ولا يصد ! ورحمة الله على ما فات ..

٤ — اصبت « بعلة » شملها الله بعطفه ، فقدر ولطف .. ولكن يقضى « بعد النظر » بأن احتاط وابالغ فى الاحتياط . وهكذا قضى قضاء « الصحة » وحكمه الذى لا يقبل معارضة ، ولا استئنافا ، ولا نقضا ولا ابراما ، أن أحد من جهودى واعمالى ، وان اقتصر على « الضرورى » منها . وهكذا حبست استعدادا قويا ، وسجنت انتاجا فادحا ، وكبحت مرغما جماح مطامعى وآمالى ، واوقفت سرعة جريى فى ميدان الاستغلال والاستفادة ، وزهدت فى أكثر من منصب وأكثر من صفقة ... وهنا « الم » جبار ، لا تهونه الا فلسفة قدرية جبارة ، أمارسها واتعودها واتطبعها بقدر الامكان

آلام « الغير »

الذين ليست لهم زوجة وليس لهم أولاد ، يتألمون « للغير » كما لو تألموا لزوجاتهم وأولادهم تماما . وهكذا تشمل آلامى فى قسمها الثالث آلام والدتى واخوتى واقاربى واصدقائى ، كما لو كانوا زوجتى وأولادى .. وهكذا اتألم لكوارث ومصائب الغير ، كما لو كانت كوارثى ومصائبى . و « العزاب » على كل حال لا تصيبهم « الانانية » كما تصيب المتزوجين والآباء .. اما أمثلة هذه الآلام فكثيرة متنوعة ، لا تحصرها هذه الصفحات المحدودات .. ومثلى فى أوضاعه النيابية ، والصحفية ، والاجتماعية ، يسمع ويحس كثيرا من « آلام الغير » ، وتمر عليه حوادث واحداث « المتألمين » كالشريط السينمائى الذى تختلف حوادثه واحداثه باختلاف القصص والروايات .. فانا « كنائب » على اتصال وثيق بآلام المتألمين من الموظفين ، والعمال ، والفلاحين ، فضلا عن آلام الدولة وأوجاعها .. وانا « كصحفى » على اتصال وثيق بآلام الذين ينثرون آلامهم نثرا على صفحات المذكرات ومئات الرسائل والخطابات .. وانا « كمذيع » فى الراديو ، تفد الى دارى مئات المآسى فى الصباح وفى المساء . وارى بعينى وقلبى أشباح ضحايا الازواج والزوجات ، وأحس عن كثب فواجع الكوارث العائلية داخل البيوت . وفى هذه الاكداس المكدسة من الحوادث والأحداث ما يثير الاعصاب ، ويؤلم النفوس ، ويستفز مروءة السامعين . فالالم الذى يلحقنى

من « الغير » كالى الشخصى سواء بسواء ...

احلامى !

« بند الاحلام » كبند الآلام . فان كان المقصود بالاحلام هو الامانى والآمال ، ومنها ما يتحقق وما لا يمكن ان يتحقق ، فخير لنا ان نكون واقعيين عمليين فنحصر « احلامنا » فى دائرة المستطاع

احلامى العامة

اما احلامى العامة فمتواضعة.

فانا احلم « بجيش مصرى » قوى مسلح بأحدث سلاح،لا يقل عدده فى السلم عن مائة الف ، وعدده فى الحرب عن ربع مليون . وهذا ممكن بقليل من العزم والحزم ، لانى من المؤمنين بأن وسيلة الاستقلال الصحيح هى«الجيش» القوى الذى تموله مصانع مصرية للذخيرة وللسلاح . ومصر فى وضعها الجغرافى والسياسى يجب ان تكون دولة برية بحرية قوية ، لتستطيع ان تملأ مكان الزعامة والصدارة فى الشرق الادنى وفى افريقيا ، ولتستطيع ان تكون مرهوبة الجانب محسوبة الحساب

وانا احلم «باستقرار» فى الحكم، لتتفرغ الدولة والامة للاصلاح الداخلى الخطير . واكاد اغدو وامسى من المؤمنين بأن القضية المصرية لا تخدم الا بالاصلاح الداخلى السريع الحازم ، وعندنا كل المؤهلات ...

وانا احلم بأن فى باطن هذه الارض الفردوسية خيرات كثيرة تكفى اهلها طعامه، وكساءه، وشفاءه، ولكن الهزات السياسية تقف حجر عثرة فى الطريق . وأظننا فى حاجة الى « زعيم » يثب وثبته ، ويهب هبته ، ويثور ثورته، فينقل البلد من حال الى حال ...

انا «احلم» بهذا الزعيم ، فهل تصح الاحلام ؟..

احلامى الشخصية

ولئن سألتنى عن « احلامى الشخصية » ، فلن أبالغ ولن اطلب الكثير :

انا احلم اول ما احلم بالصحة وبالعافية ، فالصحة اليوم عندى هى تاجى ، وعرشى، وصولجانى ! الصحة اليوم عندى هى الثروة ، وهى الجاه ، وهى كل شىء فى الوجود . وسأكافح فى سبيل استردادها واملى فى الله كبير..

وانا احلم « بحب » عميق جدى ، فقد حرمت الحب العميق الجدى ، وهو وحيى ، والهامى ، وغذائى . فهل يتحقق الحلم يا ترى وانا فى هذه الحال ؟ عندى المرشحات الكثيرات ، ولكن يا دنيا الاحلام اجيبى : هل تصدق الدموع ؟ والانفاس ؟ والعيون ؟

الجواب : « حذار حذار .. »

وانا احلم فى النهاية بعزلة خلوية فردوسية خيالية فى « كاليفورنيا » و « سويسرا » و « أسوان » فى الشتاء ، الجأ اليها .. لاؤلف فيها قصصى ، ومذكراتى ، وادون فيها ما استخلصته من تجارب الحياة

فكرى أباظة

طيور الأماني

هتفت في الدجى طيور الأماني باكيات على النعيم الفاني
حائرات العيون رفافة الأجنح مطرودة عن الأكنان
كلما أوشكت تقارب غصناً ذادها حاصب عن الأفنان
أو أسفت تريد نقع ظماها حلأتها الأيدي عن الغدران
فهي العمر حائمات ترى الأثمار والماء نائيات دواني
ولو ان الرياض خاو لعزت نفسها بالقنوط والسلوان
غير أن الغصون ناضجة الأثمار والنهر طافح الفيضان

هكذا نحن في الحياة نريد الصفو فيها والصفو نائي المجاني
ونريد النعيم فيها ومن دو ن منانا سد من الحرمان
ونشيد البنا من الأمل السا مي وفأس الزمان في الجدران
ونبث البذور في الأرض والدهر ضنين بالعارض الهتان
ومن الزرع باسق جفت الأثمار فيه وما جنتها يدان
ومن الماء دافق جف فوق الأرض ما مس قطره شفتان

لو نظرنا الى الحياة بعين الحق راحت بالكره والشنآن
غير أنا نعيش فيها بآما ل تسري لواعج الاشجان
وإذا أخطأت ظنون فيا رب ظنون تريح قلب العاني
فلنعش بالمنى فكم صدع البدر حجاب السحابة المدجان
ولنعش بالمنى فكم جرت الأقدار بالعز بعد طول الهوان
فارفعي الصوت بالغناء قليلا بدل النوح يا طيور الاماني

أحمد رامي

بناة البرج جيلاً بعد جيل

بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمة

> الناس ما كلوا ، ولا ملوا ولا يئسوا . رغبتهم فى الوصول الى الله – الى المعرفة ، الى القدرة ، الى الحرية – أقوى من الكلل والملل واليأس . . !

هل جاءك نبأ الذين بنوا برجا وشاءوا ان يدركوا به الله ؟

اذا كنت لم تقرأ بعد حكاية برج بابل فى التوراة ، فلا بأس اذا أنا نقلتها اليك حرفا حرفا . فهى على قصرها وبساطتها جديرة باهتمامك لما فى بساطتها من سمو وجمال ، وما فى قصرها من عمق ومدى . شأنها فى ذلك شأن كل أقصوصة رمزية فى ذلك الكتاب المقدس ، واليك الرواية كما وردت فى مطلع الفصل الحادى عشر من سفر التكوين :

« وكانت الارض كلها لغة واحدة وكلاما واحدا . وكان انهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة فى ارض شنعار فاقاموا هناك . وقال بعضهم لبعض : تعالوا نصنع لنا لبنا وننضجه طبخا . فكان لهم اللبن بدل الحجارة ، والحمر كان لهم بدل الطين . وقالوا : تعالوا نبن لنا مدينة وبرجا رأسه الى السماء . ونقم لنا اسما كى لا نتبدد على وجه الارض كلها . فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب : هو ذا هم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة ، وهذا ما اخذوا يفعلونه . والآن لا يكفون عما هموا به حتى يصنعوه . هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم ، حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض . فبددهم الرب من هناك على وجه الارض كلها وكفوا عن بناء المدينة . ولذلك سميت بابل »

تلك هى حكاية برج بابل ، كما رواها كاتب سفر التكوين . ولعله من الخير لك ولى الا يفوتنا منها معنى « بابل » . فالكلمة فى الاشورية تعنى « باب الله » . واذن فالذين بنوا برج بابل وجعلوا « رأسه الى السماء » انما قصدوا أن يكون برجهم بابا يؤدى بهم الى الله . وباب يؤدى الى الله هو باب الحظوى بالمعرفة وبالقدرة وبالديمومة التى ما برح الانسان ينسبها الى الله . وهى معرفة كل شىء والقدرة على كل شىء ، والديمومة التى لا تتحول ولا تتبدل ولا ينال الموت منها منالا

ان هذه الحكاية الساذجة تتبطن ، كما ترى ، عن مغاز كثيرة

أهمها وأبعدها في نظري هو ان الانسان ما انفك منذ أقدم الأزمان يشتاق الوصول الى الله ، ومعرفته معرفة تمكنه من أن يصير مماثلا له في كل شيء. فكأن ذلك الشوق في لحمه وعظمه ودمه ، وفي أنباضه وأنفاسه ، وفي كل ذرة من الطين الذي جبل منه . واذ ذاك فمن حقك وحقي أن نتساءل : من أين للانسان ذلك الشوق ؟ من أين جاءته تلك الرغبة الملحة في أن يصبح يوما من الايام صورة كاملة ومثالا كاملا للقدرة التي بها كان ومنها انبثق ؟ أهي رغبة المغلوب على أمره ، أم هي رغبة الواثق من نفسه ؟ ألعلها شهوة طائشة وطيف طارىء ؟ أم انها رغبة أصيلة في طبيعة الانسان لا يستطيع التملص منها الا بتحقيقها؟ أم تراها الحافز الخفي الذي أودعه الله ضمير الانسان ليدفعه دائما أبدا الى التفتيش عن مصدره بغية الاتحاد به والاكتمال منه ؟

*

تعال معي نطو العصور القهقرى الى يوم كان فيه الانسان الاول في الفردوس شبيه الطفل المولود جديدا — لا فكر ، ولا رغبة ، ولا ارادة . ثم كانت حواء . وحواء كما تعلم ، كانت لحما من لحم آدم وعظما من عظمه . واذا بالانسان الموحد ، وقد ازدوج ، يفكر ، ويرغب ، ويريد . أو تدري بماذا فكر أول ما فكر؟ — لقد فكر بالله . وماذا اشتهى أول ما اشتهى ؟ — لقد اشتهى أن يعرف الله ، وأن يصل اليه — أي الى المعرفة التامة والمقدرة الكاملة والحرية القصوى — هي رغبة أصيلة وعميقة في كيانه . وهي الرغبة التي منها تتولد وتتغذى جميع رغباته . وهي التي تدفعه على السير بغير انقطاع في طريق الخير والشر لتنتهي به الى ما فوق الخير والشر

هي تلك الرغبة بعينها دفعت باسلافنا الى بناء برج بابل ليكون لهم بابا الى الله . وهي التي دفعت بالأجيال التي تلت ، وما تزال تدفع بنا اليوم ، الى بناء ابراج أين من ضخامتها برج بابل . ولكن مصيرها واحد أكانت مبنية باللبن والحمر ، أم بالجير والحجر، أم بالاسمنت والحديد . ان مصيرها الانهيار . ومصير الذين بنوها ويبنونها البلبلة . ذاك لأن رغبتنا في الوصول الى الله يستحيل تحقيقها عن طريق أبراج نبنيها بايدينا خارج قلوبنا وخارج أرواحنا . فالله الذي هو ضمير الكائنات وروحها ونظامها لا يدرك الا بالضمير والروح والنظام ، فكأنه اذ بلبل ألسنة الذين بنوا برج بابل انما أشفق عليهم ، ينفقون قواهم العقلية والجسدية جزافا . أو كأنه اذ أفسد عملهم عليهم انما شاء أن يقول لهم : « ما من مثل هذا الباب تدركونني . فتشوا لكم عن مواد غير هذه المواد ، وعن باب غير هذا الباب »

قلت ان الانسانية ما فتئت تبني لها أبراجا منذ أن حاولت

بنيان برج بابل . وذلك بالطبع قول مجازى . فما اظن ان الذين بنوا برج بابل كانوا من سذاجة التفكير وعقم الخيال،حيث توهموا ان فى استطاعتهم الوصول الى الله ببنـاء من طين حتى ولو نطح براسه الجوزاء . فلا برج بابل ولا الابراج التى تتالت بعده كانت غير مدنيات شادها الناس فى شتى العصور ، مؤملين ان يبلغوا بها الغبطة المثلى التى ما برحت تصبو اليها ارواحهم وتشتاقها قلوبهم منذ ان استوطنوا الارض. وتاريخ البشرية الطويل اشبه ما يكون بمتحف للعاديات. فهو يكاد ينشق لكثرة ما تكدس فيه من ركام تلك المدنيات ، وقد علاها العفن والغبار ، وعشش فيها العث والفار ، وحاكت لها عناكب الزمان أكفانا من النسيان ، تمزقها من آن الى آن فلا تلبث العناكب ان تعيد نسجها من جديد.

لقد شاءوا لبرج بابل الثبات فلم يثبت . لانه ما بنى من مواد تهزأ بالعناصر وتقهر الزمان . وشاءوه بابا الى الفهم ، فكان بابا الى البلبلة . وكوة للنور ، فكان هوة للظلام . وطريقا الى الحياة ، فكان طريقا الى الموت .

والابراج ــ او المدنيات ــ التى شيدت من بعده، ما كان نصيبها من البقاء باوفر من نصيبه . والناس ، مع ذلك ، ما كلوا ولا ملوا ولا يئسوا . فرغبتهم فى الوصول الى الله ــ الى المعرفة ، الى القدرة ، الى الحرية ــ أقوى من الكلل والملل واليأس

*

وها نحن ابناء هذا العصر . وبيننا وبين بابل هوة سحيقة من الدهور ، نظننا اجترحنا معجزة ما اتى بمثلها البابليون ولا الفرس ولا المصريون ولا الروم ولا الرومان ولا العرب ولا اهل الهند والسند وكافة الجزر المنثورة فى عرض البحار . ومعجزتنا هى هذه المدنية التي بنيناها لبنة الى لبنة ولبنة فوق لبنة ، حتى غمر الارض ظلها وتغلغلت فى كبد السماء أنوارها. بنيناها من أنقاض سائر المدنيات التى سبقتها ، ثم زدنا عليها من الزخارف ما لم تشهد نظيره الارض منذ فجر الزمان. بنيناها ومانزال نبنيها بلحومنا وعظامنا. وشددناها ومانزال نشدها بعضها الى بعض بدموعنا ودمائنا. ولكن خلافا عظيما نشب بين البناءين حول لون البناء كيف يكون ، وحول باب البناء كيف يتجه . أيكون اللون احمر فاقعا ، أم أصفر باهتا ، أم ازرق سماويا ، أم اغبر رماديا ، الى آخر ما هنالك من الوان ؟ ثم أيتجه باب البناء الى « اعلى » أم يتجه الى « اسفل » ــ الى السماء أم الى الارض ــ الى بحبوحة الروح والقلب ام الى بحبوحة البطن والجيب ؟

وانتقل الخلاف الى الحراس . فهذا الحارس يتهم ذاك بانه ينام عن حراسة البناء فهو لا يصلح للحراسة . وذاك يتهم هذا

بأنه يدخل خلسة الى البناء عناصر دأبها الهدم والخراب. ومن البناءين والحراس انتقل الخلاف الى رؤساء الورش ثم الى العمال البسطاء — الى الذين يحملون الاثقال على أكتافهم وظهورهم ليل نهار فيرتاح غيرهم وهم لا يرتاحون ، والذين يخبزون للبناءين والحراس خبزهم ويطهون لهم طعامهم ، فيأكل البناءون والحراس ويشبعون ، اما هم فيأكلون من فضلاتهم ولا يشبعون. واشتد الخلاف واحتدم الجدال بين الكل — من رئيس البناءين ورئيس الحراس حتى آخر عامل يجبل الطين . واحمرت الاعين ، وتكهربت الاعصاب ، وثارت ثورة الالسن، وصمت الآذان فما يسمع واحد ما يقوله الآخر ، وان هو سمع فلا يفهم

لعمرى ان بلبلة الذين بنوا برج بابل ما كانت غير ثرثرة الطفل ازاء بلبلة نحن فيها اليوم . انها بلبلة تكاد تبلغ حد الجنون . بل هى الجنون بعينه . ولو ان كائنا هبط علينا من المريخ ، وسأل المتخاصمين علام خصامهم ، وفيم تشاتمهم وضوضاؤهم ؟ لما لقى جوابا غير ما يلقاه عاقل فى بيت المجانين

ان ما تبتغيه أمم الارض بألسنتها وشفاهها ، وما تقتتل فى سبيله فتجود بلحومها ودمائها ، لهو نقيض ما تحتاج اليه قلوبها وأرواحها . وما ذا تبتغى أمم الارض بألسنتها وشفاهها ؟ انها لتبتغى استقلالا وحرية وبحبوحة وسلما دائما . اما كيف تستقل امة عن امة فى عالم تشابكت مصالحه ومجارى حياته تشابك الشرايين فى الجسد الواحد ، وكيف تتحرر امة من امة وانفاس الواحدة فى صدر الاخرى، ويد هذه فى جيب تلك ، وافكار تلك فى راس هاتيك ، وكيف تعيش امة فى بحبوحة وجارتها فى ضنك ، وكيف تحيا فى سلم مع جاراتها ، امة لا تسلم على جارة الا وفى يدها خنجر او قنبلة ! اما كيف يكون كل ذلك ، فالجواب عليه ليس عندي بل عند الذين جعلوا من المدنية بيتا للمجانين

اليس ان شعوب الارض منذ اقدم الازمان حاولوا بناء مدنيات تكفل لهم الاستقلال والحرية والبحبوحة والسلم الدائم؟ وماذا جنوا من محاولاتهم ؟ لقد بارت مدنياتهم ، وما خلفت لهم غير الخيبة والبلبلة . ذلك لأنهم طلبوا الحرية والبحبوحة والسلم من غير ابوابها . فهل نحن طالبوها من ابوابها ؟ وهل لمدنيتنا أكسير جديد ما عرفته سالف المدنيات؟ يكفل لها البقاء ولنا الهناء ؟ آواه ! ليس لديها من أكسير غير تعويذة جرباء جوفاء دعتها «الديموقراطية»

*

انى لكثرة ما تطرق هذه الكلمة مسمعى باذن وبغير اذن ، ولكثرة ما تساور بصرى فى الصحف والكتب ، اصبحت اكرهها كره السم والبرص . فما عرفت كلمة

تعني الاسود والابيض معا ، والحرية والعبودية ، والسلم والحرب ، وتستر اشنع وجوه الظلم بأبهج مساحيق العدل كهذه الكلمة . فلاعجب أن تكون مصدر اكبر بلبلة عرفها الانسان حتى اليوم . ثم لا عجب ان تكون العلة الاولى والاضخم في تقويض مدنيتنا . فالديموقراطية ، حتى في اجل مظاهرها ، ما عدت كونها نوعا من حكم الانسان للانسان . ومتى كان حكم الانسان للانسان مبعثا للحرية والبحبوحة والسلام؟ انه كان وما برح العامل الاقوى والاهم في ثورة الانسان على الانسان وكره الانسان للانسان.

فنحن قد نستسلم عن كره أو عن طواعية لسلطان الطبيعة فينا. اما ان تقبل سلطان انسان نظيرنا غير مكرهين ، فأمر ينافي الرغبة الباطنة فينا . واعنى رغبة التحرر من كل قيد وحد

والتحرر من كل قيد وحد لا يكون بأى نوع من الحكم أو الفوضى . ولا بأى نوع من المدنيات نشيدها ثم نهدمها. ولا بالذعر والصخب والضجيج والجنون

لعلنا متى انهارت مدنيتنا نتعلم ، أو يتعلم الآتون بعدنا ، ما لم يتعلمه الذين بنوا برج بابل والابراج التى قامت ثم زالت من بعده . وهو أن الحرية لا تكون الا بالمعرفة . والمعرفة لا تكون الا بالتعاون . والتعاون لا يكون الا بالمحبة . وان المعرفة والمحبة هما نهاية طريق الخير والشر ، واول الطريق الى الحياة التى لا يحدها خير ولا يحصرها شر

ميخائيل نعيمة

في الدار الآخرة

اصيب أحد رجال الدين مرة بمرض خطير ، وكان يعتذر عن عدم مقابلة أصدقائه الذين كانوا يترددون على المستشفى للاطمئنان على صحته . وحدث ان طلب ملحد ـ عرف باستهتاره بالدين ـ رؤية الرجل ، فاذن له . فلما دخل الملحد الزائر ، حيا المريض وقال :

ـ عجبت كثيرا لسماحك لى بالزيارة ، بينما تضن بها على أصدقائك المؤمنين

فقال رجل الدين :

ـ ليس هناك ما يدعو الى العجب .. اننى واثق من رؤية أصدقائى في الدار الآخرة بعد حين ، لو قدر لى أن أموت . اما أنت ، فاننى اخشى أن تكون هذه آخر مرة أراك فيها !

الطبيب الطائر والمستشفى العائم

تتسابق الحكومات اليقظة فى العمل على وقاية الاهلين من الامراض والاوبئة ، وتوفير وسائل العلاج للمرضى ـ وبخاصة الفقراء منهم ـ الذى يقيمون بالقرى والاماكن النائية عن العواصم والمدن الكبيرة

وقد خصصت روسيا خمسمائة طبيب ، منهم الجراح والمولد والاخصائى فى نقل الدم والتجبير وغيرها من فروع الطب المختلفة ، لاسعاف المصابين فى الحوادث وعلاج المرضى فى القرى والمناطق الجبلية البعيدة . فزودت كلا منهم بطائرة ، وانشات لذلك ١٢٠ مطارا فى عدة بقاع من الولايات السوفيتية . فاذا ما ظهرت بوادر وباء فى احدى القرى ، أو تعسرت حالة ولادة فيها أو شب حريق أو تهدم منزل على سكانه ، طير النبأ الى أقرب مطار ، فينتقل الطبيب المختص ومعه آلاته وعقاقيره الى القرية ، ليقوم بالاسعاف اللازم.

وقد جاء فى احد التقارير الطبية ان هذه الطائرات العلاجية ، قضت خلال العام الماضى ١٢٥٠٠٠ ساعة فى تجوالها لخدمة المرضى ، وقام اطباؤها باجراء اكثر من الف جراحة كبرى ، ومثل هذا العدد من الجراحات الصغيرة ، وانقذوا من موت محقق ٤٠٠ شخص بوساطة نقل الدم اليهم قبل فوات الوقت وتعذر العلاج

هذا الى الزيارات المنتظمة التى قاموا بها لفحص الفلاحين وارشادهم الى خير الوسائل للوقاية من الامراض ومنع انتشار العدوى بينهم

*

وقد خصصت السلطات الصحية فى الاسكا بامريكا ـ وساحلها البحرى كما هو معروف طويل جدا ـ بواخر كبيرة جهزت بعيادات طبية مستوفاة للامراض الباطنية وأمراض العيون والاسنان والانف والاذن والحنجرة ، وزودتها بأجهزة حديثة للأشعة ، ومعامل كيميائية وصيدليات صغيرة ، ويقوم بالخدمة فيها عدد من الاخصائيين فى هذه الفروع المختلفة .. خصصت هذه البواخر لتتنقل بين البلدان الساحلية المختلفة لعلاج المرضى من اهليها ـ وبخاصة العمال وصيادى الاسماك وعائلاتهم . والصور المنشورة مع المقال توضح جانبا من نشاط هذه الوحدات العلاجية

ما احوجنا فى الشرق الى مثل هذه الوحدات المتنقلة السريعة !



في الصورة العليا احدى
الطائرات الروسية المخصصة
لاسعاف المرضى الذين
يقيمون في أماكن نائية .
والى اليسار احدى البواخر التي
خصصتها أمريكا لنفس الغرض



طبيبة روسية — لمى اسمي — تقود طائرتها في طريقها الى المناطق الجبلية .. وهي تبدو — في الصورة العليا — تلقى درساً على الفلاحات في طرق الوقاية من الأمراض وخير الوسائل الصحية للعناية بالأطفال .

وترى في الصورة ا. فل وهي تلاعب طفلا



تزود المستشفيات العائمة فى أمريكا بعيادات طبية مستوفاة لمختلف الأمراض .. وفى الصورة العليا ، إحدى طبيبات الأذن تفحص طفلا . وإلى اليمين طبيب أسنان يعالج صبياً . وفى الصورة السفلى اخصائية تفحص فتاة فى القسم الخاص بالعيون

دروس من حياة غاندي ..

بقلم الأستاذ حبيب جاماتي

قتل غاندي رسول السلام اغتيالا بيد مجرم أثيم من بني قومه ودينه ، في الثلاثين من شهر يناير ١٩٤٨ . واحرقت جثته حسب التقاليد والتعاليم الهندوكية ، وذرت حفنات من رماده في الانهار المقدسة . ولبس العالم بأسره الحداد على الفقيد ، الذي عرف في حياته جميع انواع الحرمان والاضطهاد والارهاق ، وقام الناس يترحمون عليه بعد موته ، ويتغنون بالمبادىء التي نادى بها ، والآراء التي دافع عنها ، والدعوة التي وقف لها حياته ، بعد ان أصبح غاندي جثة هامدة ، أو على الأصح رمادا منثورا ، وعظاما مبعثرة في قاع الانهار ، وكان أولى بالباكين المترحمين ، أن يستمعوا الى غاندي في حياته ، ويعملوا بآرائه ، ويطبقوا مبادئه ، وينشروا دعوته ، ويحلوا السلام في نفوسهم أولا ، وبين الشعوب المتناحرة ثانيا !..

اما البكاء على غاندي بعد موت غاندي ، واطلاق الحناجر بالترنم بانشودة السلام بعد ذهاب رسول السلام ، بينما تعصر الادمغة في اعداد الاسلحة الفتاكة ، ويتلاعب السياسيون بمقدرات الشعوب ، وتنحر الحريات والكرامات والحقوق نحرا على مذابح الاغراض والمطامع الاستعمارية — فهذا كله نفاق في نفاق ، ودجل في دجل ، ورياء في رياء !

وروح غاندي في الآخرة ليست مرتاحة الى هذا العويل المتصاعد من انحاء العالم ، وهي تلعن القابضين على زمام السياسة العالمية ، لانهم يذرفون دموع التماسيح على وفاة غاندي الذي ضم جسده النحيل تلك الروح السامية ، ولانهم لم يصغوا لتعاليم « المهاتما » لا في حياته ولا بعد مماته !

من الذين كانوا أعلى الناس صوتا في النوح ، وأبعدهم بلاغة في صياغة عبارات التعزية ، وأسرعهم الى اظهار الحزن والأسى على اغتيال المسيح الجديد ؟

ترومان رئيس الولايات المتحدة ، الذي ينذر العالم بقنابله الذرية اذا لم يخضع العالم لارادته !

وستالين المتحفز لابتلاع هذا



گاندی رسول السلام

العالم بجحافله الجرارة اذا لم يعتنق العالم مبادئه السياسية والاجتماعية !

وأتلى ، وبيفن ... وكثيرون غيرهما من أقطاب العالم ، الذين يعبدون الشعوب الآن لمجزرة جديدة ، وينوحون على الرجل الذى دعا الى تجنب المجازر ، واحلال المحبة والوئام ، محل البغضاء والخصام !

ان الذين يبكون غاندى، ويتمثل الاخلاص والوفاء فى بكائهم ، هم الصغار ، هم البائسون ، هم المحكومون والمضطهدون والمعذبون ، هم أصحاب الحقوق المهضومة والكرامات المسلوبة ، وليسوا الكبار الذين يحكمون ويضطهدون ويعذبون ويهضمون الحقوق ويسلبون الكرامات

*

شاء بعضهم أن يقيم شبهاً بين غاندى والمسيح بن مريم . ووجوه الشبه كثيرة بين رسولى السلام . فقد عاش غاندى — مثل المسيح — فى تقشف وزهد وحرمان من ملذات هذا العالم ، ودعا الى المثل العليا فى اقامة العلاقات بين الافراد والجماعات، والى اعطاء ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، وحرم مواجهة الشر بالشر ، ووضع الروحانيات فوق الماديات، وصام وصلى وبكى على الضالين !

ولكن ، هل يعمل ساسة العالم الآن بتعاليم المسيح ، وهم الذين يدينون بدين المسيح ؟ وهل الذين ذكرنا أسماءهم ، من أولئك الباكين على غاندى ، يطبقون فى حياتهم الخاصة ، وفى معاملاتهم مع الناس ، وفى التصرف بشؤون العالم ، تلك التعاليم التى نادى بها غاندى ، والتى دعوه من أجلها بالمسيح الثانى ؟

*

ما اكثر الدروس التى القاها غاندى على العالم ، فى شبابه ، وفى كهولته ، وفى شيخوخته ، وبعد موته !

ولد « موهانداس كرامشاند غاندى » فى ٢ اكتوبر عام ١٨٦٩، بقرية « بوربائد » بغرب الهند . وكان أبوه يشغل مناصب عالية ، منها رياسة وزارة الولاية التى ولد فيها . ولكن الأب مات فقيراً، وضرب لابنه اروع مثل فى النزاهة ونظافة اليد والضمير . وقد عاش غاندى كما عاش أبوه ، نزيها ، نظيف اليد والضمير

ودرس القانون فى لندن ، فدرس فى آن واحد مبلغ قوة الانجليز خصوم وطنه ، وادرك مواضع الضعف فيهم ، وعرف — وهو بين ظهرانيهم — كيف يجب أن يحاربهم فى المستقبل . ومما قاله غاندى مرة : « اعرف جيدا من هو خصمك قبل ان تتحداه وتنازله فى الميدان ! » وقد مرن غاندى نفسه على محاربة الانجليز فى افريقيا الجنوبية ، عندما تولى الدفاع عن العمال الهنود فيها ، ثم واصل تجاربه فى الهند نفسها، الى ان اهتدى فى النهاية الى ذلك الاسلوب المبتكر الذى توسل به

فيما بعد الى آخر نسمة من حياته ، وهو الدفاع السلبي ، والعصيان المدني ، والالتجاء الى الصوم للتأثير في مواطنيه وفي الانجليز معا

واذا كان اسلوب غاندي قد نجح ذلك النجاح الباهر ، فادى الى نتائج جاءت في مصلحة الهند، فليس معنى هذا ان الاسلوب ذاته هو خير الاساليب في انتزاع حقوق الافراد من الطغاة ، وحقوق الشعوب من المستعمرين . كلا ! فان أسلوب غاندي لم ينجح الا لأسباب ثلاثة :

أولا ـ ان صاحب الدعوة ومبتكر الاسلوب هو غاندي ، الذي كان يتمتع بمركز ممتاز بين قومه ، والذي كانت شخصيته الجبارة تسمو على ما عداها من شخصيات الهند

ثانيا ـ ان هذا الاسلوب قد طبق في الهند ، حيث تستهويه العقول ، وتتأثر به النفوس ، وتحيطه المعتقدات الدينية بهالة من القداسة . واذا امعنا النظر في حوادث الهند، وفي خطة غاندي في السنوات الثلاثين الاخيرة ، فانه يتضح لنا بدون مشقة في التفكير، ان أسلوب غاندي كان اشد وقعا عند الهندوكيين منه عند المسلمين وغيرهم من سكان الهند . فالهندوكيون كانوا يرضخون لارادة غاندي عندما يعمد الى الصوم ، مدفوعين بعامل ديني اكثر منه سياسي . اما المسلمون، اذا رضخوا ، فانما كانوا يفعلون ذلك مدفوعين بعامل العطف على رجل جاهر بصداقته لهم، وبرغبته في اجابتهم الى امانيهم . ولو كان معظم الهنود يدينون بغير الهندوكية ، لما كان لغاندي واسلوبه بينهم ذلك الاثر البعيد

ثالثا ـ ان هذا الاسلوب الذي عمد اليه غاندي قد طبق تجاه الانجليز . وعقلية الانجليز العجيبة كان يتولاها الذعر كلما هدد غاندي بالصوم أو لجأ اليه . ولو كان الذين يحتلون الهند هم الالمان أو الروس او الفرنسيين أو الايطاليين ، لمات غاندي بعد صومه الاول بدون ان يكترث اليه احد . اما الانجليز ، فان عقليتهم الخاصة كانت تتأثر من ذلك الصوم ، في حين انهم كانوا لا يرون ضيرا في القبض على غاندي والزج به في السجن . ولو مات غاندي في سجنه ، أو قتل بيد حارسه ، أو اصابته رصاصة في مظاهرة، لما كانت مشاعر الانجليز تهتز بقدر ما اهتزت لامتناع غاندي مرة بعد مرة عن تناول الطعام ، فالعقدة هنا نفسية اكثر منها سياسية !

*

ومن الدروس المستمدة من حياة غاندي ، درس يجمل بأمراء الهند ومهراجاتها ان يتعظوا به ويعتبروا ، اذا كان للعظة وللعبرة منفذ الى صدورهم . . فان غاندي لم يعش في القصور ، بين الذهب والديباج والحلى والجواهر المكدسة في الخزائن ، كما يفعل اولئك

المترفون. بل عاش في فقر مدقع، وكان يلتحف بقطعة من القماش حاكها بيديه ، ويكتفي من الغذاء بالخضروات ولبن الماعز . ومع ذلك ، فان اسمه كان ملء الافواه والاسماع ، وبكاه العالم بأسره بعد موته . اما هم، فان أسماءهم لا يعرفها غير الشعوب الرازحة تحت سطوتهم ، التي تشقى لاسعادهم ، واذا ماتوا ، فقد لا يذاع خبر موتهم الى ما وراء حدود بلادهم ! وما ذلك الا لان غاندي قد عاش للخير ، وخدم الغير ، وأفنى نفسه في حب امته، بينما يعيشون هم للشر، ويخدمون أنفسهم ، ويفنون محكوميهم للابقاء على حكمهم !

*

ومما يجدر بنا الاشارة اليه ، والتباهي به، بمناسبة وفاة غاندي، ان الشرق كان ولا يزال مصدر التعاليم السامية ، والمثل العليا ، والدعوات الصالحات . فمنه انبثقت أنوار الاديان ، من قديم الزمان . ومنه انطلقت أصوات الأنبياء والمصلحين . وفي الشرق — دون الغرب — أصغى الناس الى تلك التعاليم التي نادى بها الانبياء والمصلحون ، وطبقوها في اعمالهم وسيرتهم ، في حين ان الغرب قد أصغى اليها ، ولكنه لم يطبقها لا قديما ولا حديثا ! فالروحانيات منبعها الشرق ، وميدانها الشرق . ولو طبقت الروحانيات في سياسة الغرب المادية ، لكان العالم الآن في حال غير حاله، وفي سعادة بدل شقاء !

*

في سنة ١٩٢٢ ، حوكم غاندي في الهند. وكان ذلك بسبب تزعمه حركة العصيان المدني والمقاطعة. ووقف القاضي الانجليزي يستشيره قبل النطق بالحكم . فما كان من غاندي الا أن أشار على القاضي بان يحكم عليه بالسجن ستة أعوام ، لانه يستحق هذه العقوبة، فأجابه القاضي الى طلبه !

وليس هذا الحادث بحاجة الى تعليق ، وقد قال فيه أحد مفكري الانجليز ، انه يشبه محاكمة سقراط الفيلسوف العظيم !

*

كان غاندي يقول :

— ليس في حياة الافراد. ولا في حياة الشعوب اي عمل لا يمكن اصلاحه . فالرجوع الى الصواب يمحو جميع الاخطاء

— يقولون ان من اراد شيئا حصل عليه . هذا صحيح ، ولكن على شرط أن يسعى الانسان للحصول على الشيء الذي يريده. فالارادة وحدها لا تكفي ، اذا لم تكن مقرونة بالسعي المتواصل

— حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه ، لا بالسلاح الذي تخشاه أنت

— الروح اقوى من الجسد ، لانها خالدة ، ولان الجسد فان

— اذا عرفت كيف تخضع نفسك لارادتك ، فانك ستعرف كيف تخضع الغير لهذه الارادة

هذا قليل من كثير . فحياة

غاندي كلها دروس ، وكلماته كلها حكم ... ولكن ، أين من يسمع ، وأين من يعمل بالدروس والحكم ؟

*

والآن ، بعد هذه اللمحة الخاطفة عن حياة غاندي وأثره في العالم ، هل يجمل بالشرقيين عامة ، وبالعرب على الخصوص ، وهم اليوم في عراك مع الغرب ـ وقد انضمت امريكا الى هذا الغرب ـ أن يعملوا بآراء غاندي، ويعتنقوا تعاليمه ، ويلجأوا الى أساليبه في جهادهم وكفاحهم ؟

ان المصلحة والصراحة تقتضيان علينا بأن نجيب بالسلب .. كلا ، ان تعاليم غاندي ، وأساليب غاندي ، وآراء غاندي ، لن تؤدي الى النتائج التي يسعى اليها الشرق عامة ، والعرب خاصة ، الا اذا قام غاندي آخر يحل محل غاندي الراحل !

ولو كان الغرب الطامع في الشرق يدرك سمو الرأي القائل بمواجهة الشر بالخير ، كما قال غاندي ، وبوجوب « تقديم الخد الايسر لمن يصفعك على الخد الايمن » كما قال المسيح ، لما كان الشرق الآن ، من أقصاه الى أدناه ، يئن من جور الاستعمار ، ويرزح تحت أثقال الظلم ، ويثور لكرامته وحريته وسيادته !

كلا ، ان تعاليم المسيح، وتعاليم غاندي ، لا مجال لها في هذا العالم حيث المادة تسيطر على الروح ، وحيث الشر يفغر فمه لابتلاع الخير ، وقد أصاب السيد فارس الخوري ، عميد الساسة العرب، في رده على ذلك الصحفي الذي سأله عن رأيه في أسلوب غاندي في الكفاح ، فقال : « ان العرب لن يقبلوا الضيم، لان أسلوبهم في كفاح الشر ايجابي لا سلبي. ومن هنا ، فهم لا يؤمنون بفلسفة التجرد من العنف في علاج مشكلة فلسطين ! »

وما يقال عن فلسطين ، يقال عن غيرها من الاقطار العربية والشرقية . فرحم الله غاندي ، ورحم معه تعاليمه السامية !

حبيب جاماتي

كلهم سواء

خصص احد كبار الاغنياء في الغرب نصف ايراده لعلاج المرضى الفقراء من كل جنس ودين وطائفة .. وقد قال له مرة احد رجال الدين :

ـ أليس من الخير أن تخصص هذا المبلغ لمرضى الطائفة التي تنتمي اليها وحدهم ؟

فأجاب الرجل غاضبا :

ـ لا يا سيدى .. ان جميع المرضى عندى سواء ، فليس ثمة طاعون كاثوليكي ، ولا سل بروتستنتي ، ولا سرطان ارثوذكسي

« من يدلى على الحقيقة فى هذه الدوائر التى يدور فيها العيش وتدور الأفلاك ؟ »

عطشان ياصبايا !

بقلم
الدكتور احمد زكى بك

بعد ليلة كثيرة الاحداث ، مضطربة النوم، قمت لأتثبت من ان الشمس على عادتها طالعة ، وان الحياة على سجيتها جارية .

وكان صباحا من اصباح الشتاء البليلة العمياء، بلله وأعماه الضباب الكثيف المترامى . وخرجت اطلب الشمس ، بين الريف والصحراء ، فوجدتني لا ازيد فى هذا العماء ايغالا ، الا لتزيد الشمس عنى احتجابا . وينفذ الى منها احيانا على غرة شعاع ، فاقول هنا . فما أكاد احسسه وألمسه ، حتى لا اجد منه شيئا وأسائل نفسى، أكان حقا ، فتقول لا كان ولا يكون ، الى حين ، وانما هو صورة لهفان وحلم يقظان وأمنية المتمنى

وسمعت عند الحافة ، أو ما خلت انه الفارق بين الرمل الاصفر ، والحقل الاخضر ، قوما بالغناء يصدحون . انهم قوم من أبناء الصعيد على الحفر عاكفون، كما حفر آباء لهم من قبل ، من قرون وقرون . حفروا اليوم كما حفروا بالامس ، ولغاية كتلك الغاية . وغنوا اليوم كما غنوا بالامس البعيد ، ولكن بلسان غير ذلك اللسان

كانت الاغنية «عطشان ياصبايا ، دلوني على السبيل» فقلت : « اى والله ، ما أحوجنى، بالذى انا فيه ، الى دليل على سبيل . والعطش احسسته فى تلك الليلة الماضية الثائرة ، وأحسست حاجة الى ارتواء »

كان عطش هذه الفئة الميمونة الى المراة ، أو بهذا جرت الاغنية المشهورة. وكان سبيلهم الى ذلك الحب

اما طريقى الى الحب فقد عرفته ، وأما عطشى اليه فقد ، على الحلال ، أرويته

ولكن بقى لى عطش لا ترويه النساء ، وبقيت على ضلالة لا تخرج منها الادلاء

ذلك عطشى الى الحقيقة ، وتلك ضلالتى عن سبيلها

*

فمن يدلنى على الحقيقة فى الحياة ، لأى شىء تقمصناها . .

لماذا بدأناها أونبدأ ، ولماذا انتهينا منها أو ننتهي؟ واذا نحن انتهينا ، فلماذا نبدأ ؟ واذا نحن بدأنا ، فلماذا ننتهي ؟ وهل حافز خفي غامض يدفع الى الحياة غير حوافز الجسم البينة العارية .. غير حافزه الى استنشاق هذا الهواء والمغالبة فيه اذا هوخف أوامتنع، وغير حافزه الى الطعام واستمرائه، والحرب اليه ، اذا هو صوح غصنه أو جف مورده ، وغير حافزه الى ارواء شهوة ، تتولد من بعدها حاجة الى اشباع لذة فى احتضان ما ينتج عن تلك الشهوة الاولى من نتاج ، كل غايته وصل العيش وربط أسبابه ، ونسخ صورمنه، كما ينسخ الكتاب من غير كبير تصحيح ولا تنقيح ؟

❋

ومن يدلني على الحقيقة فى هذه الدوائر التى يدور فيها العيش وتدور الافلاك ؟ الشمس تجرى فى دائرة. وفى دائرة يجرى القمر. وفى دائرة تجرى الكواكب والنجوم . وللكثير من النجوم أقمار تدور منها فى دائرة . ان الدائرة تسيطر على الكون

والارض التى نحن عليها تجرى فى دائرة ، فيتعاقب عليها الليل والنهار . والعيش على هذه الارض قد اقتبس من دورانها ، فهو يجرى فى دورة من بعد دورة. فالنبات يعيش فى دورة . والحيوان يعيش فى دورة . والانسان يعيش فى دورة ودوائر. صبحه اليوم كصبحه بالأمس ، وضحاه اليوم كضحاه بالامس ، وبأمسه الاول وبغده . وكذلك أمساؤه ولياليه . وكذلك شتاؤه وصيفه . وهو كنهاره ، يبدأ من ضعف لينتهي الى ضعف . انها نقطة الدائرة التى بدأ منها ، اليها لا بد ان ينتهي . ما السر فى هذه الدائرة ؟ ما السر فى هذه الدوائر؟

والانسان يبلى ولا يبلى الزمان. وهو يقدم ولا يقدم الجديدان . فهكذا سموا الليل والنهار . وعللوا ، فقالوا : ان الدائرة رمز الخلود. وقالوا : ان الحلقة المفرغة لا تنتهي . وقالوا : ان الانسان لا يخلد فردا، ولكنه يخلد جنسا ، وأن الجنس ، كالنهار وكالليل ، جديد خالد، لأنه يجرى فى دائرة . ونسوا أن الدائرة التى لا تنتهى قد تنقطع

فأين الحقيقة فى هذا ؟ دلوني .. دلوني !

❋

والحظوظ ، أين الحقيقة فيها ؟ طفل يولد فلا يكاد يمر عليه حول حتى يموت . وآخر يولد فيعمر حتى يسأم الحياة ويقول مع لبيد :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وتجرى الناس فى سنواتها ، فلا تدرى فى أية سنة تموت ، ولا بأية أرض تموت ، ولا على أية حال . وذو صحة وقوة ينقطع خيطه على السلامة والطول ، وذو مرض وضعف يمتد به الخيط كأنما يصدر عن بكرة تتراءى قليلة ،

وفيها الطول ميل وميل

وطفل يولد فيورثه ابواه فى العقل الفطنة ، وفى اللسان الطلاقة ، وفى الجسم البسطة ، وفى الخلق الدماثة . وآخر يولد فيورثه ابواه فى العقل الغباء ، وفى اللسان الفهاهة ، وفى الجسم القصر ، وفى الخلق الفظاظة . ومع هذا تقاس اعمالهما فى الدنيا مقاسا واحدا ، وتوزن فى الآخرة ميزانا واحدا

وطفلة تولد فيورثها ابواها عينا نجلاء ، وأنفا مستقيما ، وخدا اسيلا ، وفما صغيرا ، وعودا رخصا نحيلا . وطفلة تولد فيورثها ابواها عينا كأنها ثقب فى حائط ، وأنفا أفطس كأنه انف لقرد ، ووجها تتوقف عنده لتحقق أوجه هو أم قفا ، وعودا اذا حاول أن يتثنى ، صات كما يصيت الباب العتيق . الطفلة الاولى تسير من الحياة على اطرى من القطن وارق من الحرير . والطفلة الاخرى تسير من الحياة على الاشواك امتدت طبقة من بعد طبقة . وتنعم الاولى لا لفضل أتته ، وتشقى الاخرى لا لجرم جنته . وهان الامر لو أن الجنة لا يدخلها الا قبيحات الوجوه .. ولكن ابن الجنة من هؤلاء ، والقبح لا يؤدى فى هذه الدنيا الا الى الكراهة والنقمة ، والنقمة لا تؤدى الى العمل الصالح

فاين الحقيقة فى هذا ؟ دلونى .. دلونى !

❋

وحظوظ الحيوان ، على العبودية ، كحظوظ الانسان على الحرية . فهذا حصان يولد للسباق فيجول فى الميادين ويصول ، يملأ اذنيه التصفيق والتهليل ، ويأكل اشهى ماكل ، ويقبع فى أرحب مربط . وهذا حصان يولد وفى انتظاره الاثقال ليجرها ، كل ما يرجوه لحافره الشارع المهد ، ولمعدته الا تحس الجوع طويلا ، ولأذنيه الا تسمع صوت السياط كثيرا .

وهذا كلب سيده فى قصر ، فهو لا يعرف الا نعمة القصور . وهذا كلب سيده فى كوخ ، فهو يجرى يطلب الرزق من أركان الطريق ، ومن القمامة فى الصناديق ، كما يطلبه صاحبه تماما . وقطة عند عانس تنام على الوسادة الوثيرة ، وفى عنقها شريط الحرير الاحمر .. عقد حوله ، طرافة واناقة وزهوا . وقطة أخرى لا تعرف الدور الا لتسرق رزقها الحلال ، ثم تولى الادبار ، ومن ورائها قعقعة العصى وقذف الاحجار

فاين الحقيقة فى الحظوظ ؟ دلونى .. دلونى !

❋

والخير والشر ، اين الحقيقة فيهما ؟ واى المعاجم افتح لتفسيرهما ، معاجم الدنيا أم معاجم الدين .. معاجم ما كان ويكون ، أم معاجم ما يرجى أن يكون . معاجم الوقائع الحاضرة القريبة ، ام معاجم الوعود الغائبة البعيدة ؟ قالوا : « الشر ضلالة وخسران ، والخير كسب ورجحان » وقد يكون هذا فى السماء ، أما فى

الارض فالاستقامة كما عرفناها اعوجاج وشذوذ ، والقناعة في الزحام تزحم صاحبها الى الموقف الاخير ، والامانة ميراثها الفقر ، والصدق جزاؤه التأفف فالكراهة

ومظاهر الشر السافرة تؤذى حقا ، ولكنها تحت النقاب الجميل تسبق في الميدان ، وتكسب الرهان. وانت اذا اردت أن تربح طلبت من الشر جليله ، وعفت حقيره . فالشر الضخم مهيب ، والشر الضئيل الحقير صاحبه مكشوف مغلوب . ان السرقة مفضوحة معيبة ، ان اللصلت برغيف ، ولكنها غير ذلك اذا هى اتصلت ، اسهما ، في سوق الغلال بالف الف رغيف . والكذبة يفتضح صاحبها اذا قيلت في حارة بين اثنين ، والكذبة يهتف لها الناس اذا قيلت في زحام من فوق منبر تحمله اعواد من ذهب . والبنت تقتل اذا بذلت عفتها في كوخ على حصير ، والبنت لا تحس نقصا في تكريم اذا هى بذلت عفتها على السرير الفضى من وراء اسجاف الحرير

ولخداع الناس عن أنصبتهم من الدنيا ، ابتدعوا طيب الذكر وحسن الاحدوثة من بعد خروج من دنيا :

ولا يبالى الميت في قبره
بذمه شيع ام حمده

فاين الحقيقة في هذا ، وفي كثير غير هذا ؟

دلونى أيها الصبية .. وانتن أيتها الصبايا !

*

وكانت ساعة ، انحسر من بعدها الضباب عن شمس قوية باهرة ، فاذا به الضحى . وانكشفت الطرق واتضحت السبيل . وبانت حدود الصحراء الصفراء ، وحدود الحقول الخضراء ، وتدفق في قناته ولمع في ضياء الشمس الماء . ومع هذا ظل أبناء الصعيد ينشدون اغنيتهم الخالدة : « عطشان يا صبايا ، دلونى على السبيل »

ظلوا على الماء يشكون الظمأ وظللت . وعكفوا في الضياء يطلبون السبيل وعكفت . ومضيت أنشد مع عمر الخيام أنشودته الخالدة :

ولفهمم الاسرار والالغاز
ذات يوم حلقت تحليق بازى
في سماء المعنى الخفى المجازى
ولقدمدت بعدما اجتزت ذاك ال
باب مثلى لما طرقت البابا

احمد زكي

فن العيش

ان أمور التعايش والتعاشر في مكيال • ثلثه فطنة وثلثاه تغاب

[عبد الله بن عباس]

ندوة الهلال

ما هو الدور الذى يقوم به كل من المسرح والسينما فى مصر ؟. وأيهما أقدر على التأثير فى الجمهور وإفادته ؟ . ذلك ـ وغيره ـ كان موضع الحوار فى « ندوة الهلال » بين نخبة من أعلام المسرح والسينما وكواكبهما عندنا

المسرح والسينما.. وأثرهما فى الجمهور!

يوسف وهبى بك ـ سليمان نجيب بك ـ الأستاذ محمد عبد الوهاب ـ السيدة مارى كوينى ـ الأستاذ زكى طليمات ـ السيدة آسيا ـ الأستاذ بركات

يوسف وهبى بك ـ المسرح سبق السينما الى الظهور بالاف السنين ، ولاشك فى انه اكتسب بالخبرة والتجربة والمران فى كل هذا العمر الطويل ما يجعله أقدر على أداء رسالته من الناحية الفنية . ولكن السينما التى هى وليدته تمتاز بكثرة دورها ورخص دخولها ، مما يجعلها اكثر جهورا

الاستاذ زكى طليمات ـ سعة انتشار السينما لا تعنى انها انفع للناس من المسرح ، فالواقع انه ابقى منها اثرا فى النفوس . ولو ان مسرحية أتيح لها ما يتاح للفيلم من كثرة الرؤوس المفكرة ، والوجوه المعبرة ، والمشاهد المنوعة الجذابة ، لكانت الفائدة منها أضعاف فائدة الفيلم

سليمان نجيب بك ـ فى اوربا يجد ابطال المسرح من الجمهور تقديرا اكبر ، حتى ليعتبرونهم انصاف آلهة . وقد يستمر تمثيل المسرحية سنين من غير أن يفتر الاقبال على مشاهدتها ، بينما أكثر الافلام نجاحا هناك لايستمر عرضه أكثر من اسابيع . هذا والممثل على المسرح أقدر على الاندماج فى دوره ، بعكس ممثل السينما فهو دائما يشعر بانه يعمل امام الكاميرا أى أمام آلة صماء

الاستاذ محمد عبد الوهاب ـ الواقع أن المهم فى التمثيل على المسرح او الشاشة ، انما هو قوة التاثير وعمقه . ولا ريب فى أن

السينما اقدر من المسرح على ابراز المناظر الطبيعية ، وابراز العواطف المنعكسة على وجه الممثل ، بفضل الكاميرا التى تكبر الوجوه وتنقل الى الرائى صورة صحيحة من عواطف الممثل واحاسيسه . فاذا اضفنا الى ذلك سهولة انتشار السينما — كما قال حضرات الزملاء — فانها تكون انفع للشعب من المسرح

السيدة آسيا — يلاحظ ان السينما لا تتقيد بما يتقيد به المسرح فى تسلسل الحوادث وطريقة اخراجها ، كما انها الى جانب ذلك تهيىء للممثل والممثلة فرصا كثيرة للتاثير فى النظارة ، بتعبيرات الوجه وابرازها ، وتهيئة الجو الملائم لكل من هذه التعبيرات. وهذا يجعل فائدة الجمهور من السينما أكبر ، فضلا عن المميزات الاخرى التى ذكرها الزملاء

السيدة مارى كوينى — جمهور السينما لا يشعر — وهو يشاهد التمثيل على الشاشة — بما يشعر به جمهور المسرح من انه امام ممثلين وممثلات فى مكان محدود. فالسينما اقرب الى الطبيعة ، وهى تبعا لذلك اكبر تاثيرا فى الجمهور

الاستاذ بركات — رايى ان السينما اقدر على التاثير فى العواطف ، وان المسرح اقدر على التاثير فى العقول . وذلك لانه يعتمد على الحوار ، اما السينما فتعتمد على المشاهد

الاستاذ زكى طليمات — المسرح فن والسينما فن . وكلاهما يستقيان من نبع واحد هو التمثيل ، أو بالاحرى اجراء التعبير بوساطة اللسان والحركة والاشارة . ويهدف المسرح والسينما الى غاية واحدة . فلا يمكن أن يقضى أحدهما على الآخر ، كما أن الشعر والنثر ، والنحت والتصوير ، لم يقض واحد منها على الآخر

سليمان نجيب بك — اذا كان الناس قد انصرفوا عن المسرح الى السينما ، فهذا من غير شك انما كان بحكم الميل الى كل جديد. ورويدا رويدا لن يلبثوا ان يعودوا الى المسرح

يوسف وهبى بك — ان المسرح فى أوربا الآن مزدهر كل الازدهار ، وليس اسهل من ان يكون ذلك شأن المسرح عندنا ، اذا أوجدنا الدور المناسبة التى تعمل فيها الفرق المسرحية المختلفة ، واذا حلت مشكلة أسعار الدخول فى المسارح ، بحيث تكون فى مقدور اكثرية الجمهور

السيدة مارى كوينى — منذ سنين قلائل ، لم يكن فى مصر الا دار واحدة للسينما ، بينما كانت هناك دور كثيرة للمسرح . ولكن المشاهد الآن ان الآية قد انعكست ، فكثرت دور السينما وانتشرت فى كل مكان ، بينما قلت المسارح الى حد كبير لافت للأنظار



من اليمين ــ الأستاذ زكى طليمات . الأستاذ محمد عبد الوهاب . يوسف وهبي بك . سليمان نجيب بك . السيدة مارى كوينى . السيدة آسيا . الأستاذ بركات . . وهم يتناقشون فى قاعة الاجتماعات بدار الهلال

سليمان نجيب بك ــ هذا تطور غير طبيعي ، ولا يمكن أن يستمر طويلا ، فالمسرح الآن ينفض عن نفسه الغبار ، لكى يأخذ طريقه الى الازدهار .. ويجب الا ننسى ان أكثر ابطال السينما وبطلاتها عندنا ، هم انفسهم ابطال المسرح وبطلاته

الاستاذ بركات ــ كما قال الاستاذ طليمات ، أرى ان المسرح والسينما فنان متلازمان ، لن يقضى أحدهما على الآخر ، وسيظلان يعملان جنبا الى جنب الى ما شاء الله

يوسف وهبى بك ــ هناك ظاهرة لها أهميتها الكبرى فى المسرح والسينما ، وهى أن نجاح المسرحية أو الفيلم ، يتوقف أولا وقبل كل شيء على جودة القصة من جهة التأليف . ومما يؤسف له ان أكثر المسرحيات والافلام عندنا ينقصها هذا الاساس

الاستاذ محمد عبد الوهاب ــ الواقع ان هذه العلة التى نشكوها جميعا ، ترجع الى ان التقاليد عندنا تحول دون التوسع فى معالجة الموضوعات المسرحية والسينمائية كما تعالج فى أوربا وامريكا . ومن هنا تسير قصص المسرح والسينما عندنا فى دائرة محدودة فتتشابه ، وتبدو مملة . ومما يؤسف له ان ليس عندنا حتى الآن مسرحية أو فيلم تدور قصتهما من حياة أحد ابطالنا المصريين

الاستاذ زكي طليمات ــ الذنب فى هذا هو ذنب المؤلفين اولا ، ففي القرن السابع عشر ، كانت التقاليد فى فرنسا تشبه التقاليد عندنا الآن . ومع ذلك استطاع المؤلفون الافذاذ أمثال موليير وراسين وكورييه أن يجاوزوا حدود هذه التقاليد ، ويسبقوا عصرهم بقصص جيدة خالدة نافعة . وعلى كل حال ليست القصة بموضوعها ، ولكن بطريقة معالجتها

سليمان نجيب بك ــ ليس هناك وجه للمقارنة ، فالجمهور عندهم مثقف ١٠٠ ٪ بينما لن تجد فى العشرين مليونا الذين يتألف منهم شعبنا ، أكثر من مليون واحد يشهد المسرح والسينما، ويستطيع فهم القصة كما يجب

يوسف وهبي بك ــ لا تنسوا ان الرقابة عندنا ، لها دخل كبير فى هذه المسألة ، فاذا كان الجمهور عندنا مثلا لا يستسيغ ما يستسيغه الجمهور الامريكي والاوربي من القصص المتطرفة ، كقصة « بنت الفلاح » التى تعالج الدجل فى الانتخابات الامريكية ، او كقصة « التلميذة » التي تعالج المشكلات الجنسية عند الناشئات . فهناك موضوعات كثيرة لا تقرها الرقابة على القصص عندنا دون أن يكون للجمهور دخل فى ذلك . وأذكر ان احدى القصص كان على البطل فيها ان يقبل البطلة «على الوجنتين» فتدخل الرقيب قائلا: « يكفي أن يقبلها على وجنة واحدة ! » . كما اذكر ان المنتجين يغيرون ويبدلون كثيرا فى موضوع القصة لكي يتمشى ــ على حد قولهم ــ مع رغبات الجمهور . وقد حذف احدهم نهاية القصة فى فيلم لانها كانت كبدايته حلما ، والجمهور فى رايه لا يطيق رؤية حلمين فى فيلم واحد ! . . وختم آخر منهم فيلما آخر بفصل من فيلم سابق !

سليمان نجيب بك ــ اعتقد أن المؤلفين القادرين موجودون عندنا بكثرة ، ولكن الذي يقعدهم عن النزول الى هذا الميدان ، عدم الثقة بالمكافاة المجزية ، والخوف من تدخل المخرجين والمنتجين فى قصصهم بالحذف والزيادة والتشويه

الاستاذ محمد عبد الوهاب ــ من رايى أن العيب الاكبر فى ناحية التاليف للمسرح والسينما فى مصر ، هو عدم وجود الاخصائيين . فالمشاهد هنا مع الاسف الشديد ان هذا التاليف لا ينظر اليه الا نظرة ثانوية . وقد يقوم به المخرج نفسه فى أكثر الاحيان ، او يصر المنتج على أن يحشر انفه فى كل صغيرة وكبيرة فيه . بينما فى البلاد الراقية الاخرى التى سبقتنا فى الناحية الفنية بمراحل ، لا يعهد باى عمل كبير او صغير الا لمن تخصص فيه . فالقصة يضعها واحد ، والحوار يضعه واحد ، وهكذا ! فلنعمل أولا على ايجاد المتخصصين فى كل نوع ، وبذلك نصل الى ما وصل اليه

من سبقونا ، من اقرب طريق

الاسـتاذ بركات ـ فى أوربا وامريكا يتدخل المنتج والمخرج فى القصة ايضا . ولكن هذا التدخل يكون للاصلاح والتهذيب وتقريبها الى الكمال الفنى، وليس لقصد الربح والنجاح الزائف بتملق الجمهور

▭

السيدة مارى كوينى ـ فى اعتقادى أن الجمهور نفسه هو الذى يستطيع ، اذا توافرت له الثقافة اللازمة ، ان يوجه المسرح والسينما نحو الكمال المنشود ، أما ما دام الجمهور عندنا يرضى بكل ما يقدم له ، ولا يميز بين الانتاج الجيد والانتاج غير الجيد ، فلا فائدة من العلاج

الاستاذ محمد عبد الوهاب ـ الاصل فى الفن أن يهدف الى الكمال .. وليس من شك فى ان الفن الرفيع يرضى جميع الطبقات، لا فرق فى ذلك بين المثقف والجاهل، والطبقة العالية أو المتوسطة ، أو حتى الطبقة السفلى . وعلى المسؤولين عندنا ان يعملوا على تشجيع الفن واعانة القائمين به

السيدة آسيا ـ السينما فى غير حاجة الى الاعانات الحكومية

سليمان نجيب بك ـ ولكنها فى حاجة الى معاهد فنية لتمدها بالفنانين والفنانات ، بدلا من أن تضطر لاخذهم من المسرح وحرمانه منهم

الاستاذ زكى طليمات ـ ان الاعانة التى تقدمها الحكومة للمسرح ، من الضآلة بحيث لا تقدم ولا تؤخر . ولكى يزدهر المسرح ، يجب أن تتعدد الفرق الخاصة به ، وتبنى لها الدور اللازمة لتعمل فيها ، وتتنافس التنافس الذى يعود بالخير على الفن وعلى الجمهور .. على ان تراقب الحكومة هذا التنافس وتشجعه فى الحدود المشروعة . ولعل التمثيل الغنائى احوج انواع التمثيل الاخرى عندنا الى التدعيم والتشجيع ، لمقدرته على اجتذاب الجمهور ، ولان ازدهار المسرح عامة لا يتأتى الا اذا قامت الى جانبه موسيقى عصرية كاملة، كما هو الشان فى أوربا وامريكا وغيرهما

الاستاذ محمد عبد الوهاب ـ الفرقة التى تنقصنا حقا ، والتى يجب على الحكومة أن تحتضنها وتشجعها هى فرقة الاوبرا . اذ لا يستطيع فرد أن يقوم بتكوين مثل هذه الفرقة وحده ، نظرا لكثرة تكاليفها .. وانا ـ كمغن ـ لا استطيع ان اغنى فى حفلات العرس وغيرها من الحفلات الساهرة ـ وجوها معروف لدينا ـ شيئا خارجا عن الحب والاغنيات العاطفية . اما الغناء المسرحى فانه يقدم للجمهور الوانا ارقى وافيد. وسياق القصة المسرحية كفيل بافهام الجمهور تلك الاغانى

▭

الاستاذ زكي طليمات ـ نحن جميعا نعترف بأن عنصر المرأة ضروري لازدهار المسرح والسينما، وقد كان له عندنا حتى الآن فضل مذكور مشكور في هاتين الناحيتين. ولكن الملاحظ مع الاسف الشديد ان هذا العنصر في حاجة ماسة الى العناية به وتشجيعه بصفة خاصة . فأكثر المصريات المثقفات ما زلن يحجمن كل الاحجام عن النزول الى هذا الميدان . والتي تتقدم لذلك منهن تريد أن تصعد الى القمة من أول خطوة ، وهذا خطأ كبير ، اذ لابد من التدرج، والظهور في أدوار ثانوية كثيرة ، قبل الظهور في الدور الاول والنجاح فيه

الاستاذ بركات ـ أليس عندكم فتيات في معهد التمثيل العالي ، وتجرى عليهن الحكومة اعانات ؟

الاستاذ زكي طليمات ـ الاعانة التي تقدمها الحكومة لهؤلاء الفتيات محدودة جداً ، لا تزيد على ستة جنيهات . . ثم ان أكثر الطالبات مع الاسف لايطقن الاستمرار في الدرس والتحصيل . وقد انقطع بعضهن عن المعهد في منتصف الطريق ، مفضلات الزواج

يوسف وهبي بك ـ الواقع ان الزواج هو العدو الاكبر الذي يحرم المسرح والسينما من عنصر الجنس اللطيف . والعجيب المحزن، ان اللائي يتزوجن حتى من ممثلين ينقطعن عن التمثيل هن الاخريات. وعندي أن الطريقة المثلى لعلاج هذه المشكلة ، هي أن ننشيء معاهد ومدارس تلحق بها كل من نتوسم فيهم وفيهن الاستعداد الفني ، دون اشتراط للثقافة وغيرها ، على أن يسن قانون يحول دون امتناعهن عن مواصلة الدرس أو الانقطاع عن التمثيل بعد ذلك ، سنوات محددة أدناها سبع سنين

الاستاذ زكي طليمات ـ وضعنا هذا القانون ، وكل طالبة تلحق بالمعهد توقع على تعهدات مما ذكرها يوسف بك . ومع هذا فان الزواج اغلب ، وأرى أن انتهاء هذه الحال رهين بارتفاع المستوى التعليمي والثقافي لدى المرأة المصرية

الاستاذ محمد عبد الوهاب ـ اعتقد ان أكثر الفتيات اللاتي تزوجن، انما تزوجن للمادة فقط . . وان كل فتاة منهن تتمنى أن تعود لحياتها الفنية ، لو توافر لها المال الذي يمكنها من العيش ، لذلك ينبغي ان تخصص للمشتغلات بالفن مكافآت محترمة ، تكفل لهن مستوى لائقا من العيش ، يتفق وما يؤدينه للثقافة وللفن من خدمات

الجمال الروحي والجمال المادي

بقلم الدكتور أمير بقطر

لم يتفق الناس منذ القدم على تعريف الجمال .. فهو فى نظر البعض ما نحب وما نكره. ولكن لعمرى انحب الشيء لأنه جميل ، او أن الشيء جميل لانا نحبه ؟ يقول بلوتنيوس اليوناني : « ان الجمال هو الانسجام » ، ومعنى هذا أن الشيء لا يكون جميلا الا مع غيره . وهذا بخلاف الواقع .. أليس البرق ، والذهب ، والقمر ، والحياء ، والفضيلة ، والكرم — كل جميل فى ذاته ؟ وهل الجمال فى مجموعه يستلزم الجمال فى التفاصيل ؟

وما معنى الجمال المادى ؟ أهو ما يتصل بالحواس؟ أهو ما يتعلق بالميول الجنسية ؟ اذا سلمنا ان جمال المرأة ، وجمال الزهرة ، وجمال السهول والوديان والبحار ، وجمال الاطيار والافنان — اذا سلمنا ان هذا الجمال كله مادي .. فهل الجمال فى الشعر ، والادب ، والغناء ، والموسيقى ، والرقص ، والتصوير ، والتمثيل — هل الجمال فى هذه كلها مادي ؟

يحدثنا الشاعر الالماني الفيلسوف شلر عن « الروح الجميلة » ، فيقول: «انها تلك التى يتفق فيها الواجب مع الغريزة » ويقول قدماء الاغريق: « ان الروح الجميلة هى التى ينسجم فيها الخيال مع العقل» وفى نظر النابغة الالمانى غوته « هى التى يمتزج فيها الخيال بالعقل». وكان افلاطون يقول : « ان الجمال هو الصلاح » ، ولكن وليم هاينز الالمانى ينكر ذلك، فيقول: « ان كل صالح أو طيب نافع ، والطيب والنافع مترادفان، ولكن الجميل جميل ، نافعا او غير نافع ، طيبا أو غير طيب . فالأسد فى نظره جميل ولكنه غير نافع . والروح الجميلة فى اعتقاده لا وجود لها بالعقل وحده ، لأن وحدة الانسان البشرى فى الجسم والعقل معا ، وهذه الوحدة هى أداة الحياة ، وعبثا نبحث عن جمال لا يكون مصدره الحياة ، وينبوعه الدنيا

والجمال الروحى فى نظر أوغسطين ، والكثيرين من فلاسفة القرون الوسطى ، يكاد يكون دينيا صوفيا.. اذ يقول : « ان

« الجمال متى بلغ حد الكمال، خلع على المادة والروح وشاحه ، كأن الابدية تنظر الى نفسها فى المرآة »



هل مبعث الفتنة فى هذا الوجه المعرق ، الجمال المادى وحده ، أم جمال المادة وجمال الروح ؟ !

السماء كما تراها العين جميلة ، ولكن ما وراءها اجمل ، ولا يرى ما وراءها الا الحكيم . وانه اذا اراد المرء أن يدرك الجمال في اسمى معانيه ، فعليه ان ينسى الطبيعة وسحرها ، والفن وروعته ، ويطلب الحكمة . وان السبيل الى الحكمة سلم مرتفع ، يتسلقه عشاقها خطوة خطوة ، ودرجة درجة ، من الحس الى العقل ، ومن العقل الى البركة الالهية » . أي ان الفاصل بين الجمال والدين يكاديكون معدوما. وهذه الفلسفة لا تختلف كثيرا عن فلسفة افلاطون ، فقد كان يقول: « انجمال الحكمة لا تراه عين الانسان، وأن الانسان اذا استطاع رؤية الحكمة ، لبهره جمالها فكانت خطرا عليه» وفي نظر الفيلسوف الالماني كانت : « ان فكرة الجمال تشبه الوسيط الذي يوفق بين الحس والعقل » .

وبين هذه الاقوال المتضاربة ما يقرب من المعقول ، وبينها ما يبعد عنه ، اذا نظرنا اليه بمنظار العصور الحديثة . ويمكن تلخيص هذه الاقوال في العبارات الآتية : الجمال، روحيا كان اوماديا ، كل ما يتصل بالتناسق والقافية والتماثل والانسجام . الجمال هو الضوء الذي يتخلل التناسق والانسجام ، فيبهر أبصار الناظر اليه ويستولي على مشاعره . الحق والصلاح والجمال ، كلها وجوه مختلفة لشيء واحد

اما في نظر العصر الحديث فالجمال ، روحيا كان أو ماديا ، لا وجود له الا في الحيوية وقوة التعبير ، والقدرة على أسر كل من يتصل به . فالجمال في التمثال ، أو المرأة ، أو البحيرة ، أوالزهرة ، أوالبلاغة ، أوالتقوى، أو الفضيلة ، هو تلك القوة الحية الأخاذة الخفية ، التي تستأثر بغيرها، فتغزو وجدانه، وتسيطر على حسه وعقله . الجمال طبقا لهذا التعريف كالخمر تسكر شاربها والناظر اليها

✻

والحديث عن الجمال الروحي والجمال المادي ، يؤدي بنا الى خوض حرب شعواء ، وعداء قديم مستحكم ، بين رجال الفن ورجال الفلسفة ، بل بين فريق من رجال الفلسفة وفريق . فالتفريق بين المادة والروح ، والجسم والعقل ، حديث قديم ينكره البعض ويؤيده البعض

بيد أننا اذا اردنا تقريب هذا التفريق الى الافهام ، نحيل القارىء الى الرجل والمرأة والفرق بينهما في تفهم معنى الجمال . فمن الغريب أن المرأة التي استهوت المصورين ، والمثالين ، والشعراء ، والكتاب ، فاتخذوا جسمها نموذجا للجمال والفتنة ، أكثر تفهما للجمال الروحي ، واشد عقيدة فيه من الرجل . المرأة تفهم الجمال بعقلها والرجل يفهمه بحسه ، كما ان المرأة تحب الرجل بعقلها في أكثر الاحايين ، في حين ان الرجل يحب المرأة

بحسه فى أكثر الاحايين . والادلة على ذلك كثيرة .. مثال ذلك انه يندر أن يحب رجل امراة لعظمتها ، او لذيوع صيتها ، او لنبوغها فى الموسيقى ، أوالشعر ، أو التصوير ، أو لفضيلة فيها مجردة عن جمالها المادي . ولكن المرأة كثيرا ، ان لم نقل فى غالب الاحوال ، لاتحب الرجل الا لنبوغه فى الموسيقى ، أو الشعر ، أو العلم ، أولفضيلة فيه ، وان تجرد من كل ما يستهويها ماديا . ومن الروايات السينمائية البديعة التى ابى الرقيب عرضها فى مصر ، ولكنها حازت شهرة عظيمة فى اوربا وامريكا ، رواية اسمها « الرجل الذى كابر القدر » ، فى هذه الرواية تولع حسناء فى العشرين من عمرها بشيخ من كبار الموسيقيين ولعا شديدا . وقد بذل الشيخ كل ما فى وسعه فى حلها على نسيانه ، مذكرا اياها انها تحب فنه ، تحب ألحانه ، ولا تحب شخصه . ولكنها ابت ان تستمع اليه

*

ومن الاسباب التى تدعو الرجل الى خيانة زوجه ، مع ندرة ذلك فى الزوجة ، انه يحب بحواسه ، فى حين ان المراة تحب بعقلها . الرجل حبه حسى مادى ، والمرأة حبها ذاتي روحي . الرجل قلما يشبع رغبته فى المراة وحبه المفرط لها ، الا اذا اتصل بها اتصالا ماديا « جنسيا » ، أما المرأة فترتاح الى من تحب وتشبع رغبتها فيه وميلها اليه بمجرد التحدث اليه ، وبمجرد ملاطفته اياها ، واظهار حبه لها

*

ولكن ليس معنى هذا ان الرجال جيعهم لا يؤمنون بالجمال الروحى . كلما تقدم الرجل سنا ، ونضج حضارة وثقافة وتربية ، واشتد تمسكا بالمثل العليا ، تفهم معنى الجمال الروحى ، واحبه ، وتذوق حلاوته . وهناك حقيقة لا ينبغى اغفالها ، وهى ان الجمال المادى ، عند جميع الناس على السواء ، مقدمة حسنة لصاحبها لا تفوقها مقدمة سواها . ويقول المثل الانجليزى : «ان الوجه الحسن اقوى خطاب توصية يحمله صاحبه » . وقد يكون الجمال المادى او الوجه الحسن مغريا ، غدارا ، يحمل وراءه اقبح الصفات ، ولكنه على كل حال جواز دبلوماسى ، يخول لصاحبه الدخول معززا مكرما . ولكن العبرة بدوام هذا التعزيز وذلك التكريم ، فقد يظهر بعد حين ان الجواز زائف ، أو أن شرطا فيه لم يستوف ، أو أن به عيبا من العيوب . وقديما قيل : « ان اقبح الناس من كان منظره الخارجى احسن صفة فيه » وفى هذا معنى ضمنى لعدم كفاية الجمال المادى وحده ، اذا لم تصحبه صفة أخرى روحية . ومعنى الصفة الروحية ، كل ما يوحى بفضيلة لا تراها العين ولا تسمعها الأذن ، ولكن يدركها العقل أو الوجدان

*

الجمال بغير كياسة ولباقة ،

يسر العين ، ولكنه كالصنارة بلا طعم ، لايجذب احدا اليه. وكما انه توجد زهور جميلة لا رائحة لها ، فكذلك توجد نساء جميلات، لا صفة فيهن تحب ، ولا فضيلة فيهن تدعو للاعجاب ، وسرعان ما تمل العيـون النظر اليهن .

والناس مهما تباينت اذواقهم ، وضعفت قوة التمييز فيهم ، تمج نفوسهم الجمال الأجوف، وسرعان ما يدركون انه ليس كل ما هو جميل حسنا ، ولكن كل ما هو حسن جميل . كل ما هنالك ان الرجل الاحمق ، ضعيف الاخلاق، لا يصل الى هذه النتيجة الا بعد السقوط. فهو كالذبابة يستهويها الصمغ القاتل، ظنا منها انه شهد العسـل ، ولا تفقه ذلك الا بعد ان تقع فى الشرك . وقد صدق من قال : « ان ادراك الجمـال الحقيقى ، وتمييزه من الجمـال الزائف ، اختبار فى الاخلاق »

ومن ذا الذى يؤثر امراة بالغة حد الجمـال ، تفتقر الى الحيـاء والحشمة ، على اخرى اقل منها جمالا ، ولكنها خفرة ، حيية ، تفيض نفسها حساسية ورقة ؟

ومن ذا الذى ينكر أن هنـاك صفات روحية خفية ، تشع من وجه المراة فتكسبها جمالا لايعادله جمال مادى ؟ ان المرح ، والقناعة، والحلم ، والحنان ، والتمنـع ، والعذوبة ، والطهر ، والذكاء ، والصلاح ، وحب التضحية ، وامثالها من الفضـائل ، متى اجتمع بعضها فى امراة خلع عليها ثوبا من الجمـال ، وتوج هامتها بهالة من الفتنة

فى اللغـات الاوربية المعروفة تعبير شـائع الاستعمال ، وهو قولهم : « ان تلك المراة فتانة ، ولـكنها ليست جميـلة » وهنا ينصرف التعبير الى معنيين من معانى الجمال.. فهى فتانة بمعنى ان جمالهـا روحى ، وهى جميلة بمعنى ان جمالهـا مادي . وقد تجتمع الصفتان فى امراة واحدة، فتبلغ حد الكمال او تكاد

وقد بلغ التفاؤل ، عند بعض الذين يعنون بدراسـة الجمال ، حداً عظيماً فقالوا : « انه ليست هناك نساء دميمات ، ولكن هناك نساء يجهلن فن التزين والتجمل» وقال فريق منهم : « عند ما تطفأ الشموع ، فكل امراة جميلة »

*

والجمال الروحى كالجمال المادى شديد الحساسية كالزهرة الدانية القطوف . وكما ان أصغر ذرة من السواد ، تراها العين واضحة على الثلج الناصع البياض، فكذلك الجمال المادى تشوهه أتفه العيوب ، وكذلك الجمال الروحى تعيبه اتفه الاخطاء والزلات

وكل شيء فى الوجـود يذبل ويموت ، ولكن الجمال اذا ذبل ، ترك على وجه صاحبه وفى نفسه اثرا ، ينبيء بماضي صـاحبـه ، وينم عما آل اليه

الجمال متى بلغ حد الكمال ، فخلع على المادة والروح وشاحه، كان الابدية ، تنظر الى نفسها فى المرآة

امير بقطر

استفتاء

وقد وجهنا إلى ثلاثة من الأدباء المصريين هم : محمد خطاب بك ، ومحمد فريد ابو حديد بك ، والأستاذ محمد مظهر سعيد ، هذا السؤال : « أيهما تفضل : الجمال المادى أم الجمال الروحى ؟ » ، فكانت إجاباتهم كما يلى :

١ ـ الأستاذ محمد خطاب بك

لا شك عندى ان الناس يفضلون الرجل الكريم الصادق المتسامح ، ولو كان دميم الوجه، على رجل لئيم حسود مفرط فى الجمال

بل ان المجتمع يذهب الى ابعد من التفضيل بين هذين النوعين من الناس .. فقد تواضع على ان يحكم بالاعدام على القاتل ، وبالسجن على السارق ، وبالاحتقار على المنافق والدساس والحاقد . ولم يخطر ببال افراد المجتمع الانسانى ان يتفقوا على الحكم بالاعدام او بالسجن او بالازدراء على شخص لمجرد انه قبيح الوجه

ولا ينبغى تفضيل الجمال فى الوجه على جمال النفس فى الانسان ، الا اذا كان الجميل مسجونا كالوحوش فى قفص حديدى ، وفى منأى عن الاشتراك فى جهود المجتمع البشرى . فنحن نعجب بجمال الحيوان والوحوش فى أسرها ، لانها تعيش بنفسها ولنفسها ، ولاننا لم نتبين بعد أن لها روحا محددة بالمعنى الذى نقصد اليه فى هذه الكلمة . وبالرغم من ذلك فقد اصدر البرلمان المصرى فى دورته الماضية قانونا باعدام الحيوان « الشرس» ولا اعتقد ان برلمانا فى العالم اصدر او سيصدر قانونا باعدام الحيوان القبيح الوجه

وقديما قال شاعر من شعراء السلف الصالح :

جمال الوجه مع قبح النفوس
كقنديل على قبر المجوسى

ولكن المؤكد ان من نعم الله الكبرى ، أن يتاح لشخص أن يجمع بين جمال الوجه وجمال الروح

٢ ـ محمد فريد أبو حديد بك

الجمال فى نظرى كله معنوى.. فكل ما يسميه الانسان جميلا ، يستمد حسنه من اهتزاز النفس له واعجابها به . وليس فى الكائنات ولا فى المعنويات شيء يتصف بالجمال فى ذاته . فالمنظر الجميل مثلا ، قد لا يزيد احيانا على أن يكون من خداع البصر .

فالسحاب ذو الالوان الساحرة فى وقت الغروب ، ليس فى ذاته سوى قطرات من البخار المنعقد وقد انعكست عليه اشعة الشمس . فجماله مستمد من شعور الانسان والظروف التى احاطت بالسحاب ، مع انه فى ذاته لا يزيد على ذلك البخار الذى يقذفه القطار من مدخنته. وهكذا الزهور الجميلة فى وقت الربيع .. تفقد كل بهجتها اذا نظر الانسان اليها بمنظار اسود اللون . فحاسة الجمال هى التى تصور لنا الجمال .. الجمال فى نفوس من يحسونه ، وليس فى العالم الخارجى : انه معنى يخلقه العقل البشرى الذى وهبه الله حاسة: الشعور بالجمال ، وليس حقيقة ماثلة لها استقلالها فيما يحيط بنا من مرئيات . وعلى هذا فلا يمكن أن نتصور جمالا ماديا ، وجمالا آخر معنويا .. اذ الجمال كله عندى معنوى ، ولا يمكن الا ان يكون معنويا . وكل ما يهتز له القلب البشرى يمكن ان يسمى جمالا .. فلا فرق فيه بين ان يكون مبعثه عن طريق النظر او عن طريق السمع او اللمس أو التأمل الفكرى . ولكن لاشك فى ان هذا الشعور يختلف قوة عند الانسان . فقد يكون حادا . وقد يكون فاترا ، وقد يستمر مدة طويلة وقد يكون لمحة خاطفة

وعندى ان الجمال الاسمى هو الذى ينبعث من الفكرلأنه أصفى واهدأ واكثر استمرارا ، ولا يصحبه من العنف ما يعكر سلام النفس . وسلام النفس اقوى عامل فى الاحساس بالجمال

٣ ـ الأستاذ محمد مظهر سعيد

لكل شيء فى الوجود ناحيتان ، ولكل ناحية صفاتها ومميزاتها ، وكيانها ومقوماتها . ولا وجه للمفاضلة بينهما ، فليس لناحية غنى عن أختها .. وقد لايستقيم الشيء ويتحقق وجوده الا بهما . فللانسان مظهره ومخبره ، وللغة لفظها ومعناها ، وللحن طرافة نغمه وتوقيعه وجمال انسجامه وتاليفه ، وللمرأة جسدها الفاتن المغرى ، وروحها الساحرة الملهمة. وقديما قال الافلاطونيون بالمثال المعنوى والشبح المادى ، والارسطيون بالصورة والهيولى، والمتكلمون بالعرض المفارق للذات والجوهر الذى هو عين الذات

ومن ثم كان للفن شكله الذى يطالع الحواس ، فتهش وتأنس لما فيه من لون منسجم وخط مؤتلف ، كما ان له فكرته التى يكشفها العقل فيؤخذ بما فيها من روعة وسمو ، وللشعر وزنه وموسيقاه ، تسمعه فتطرب له وتهتز منك الاعطاف ، كما ان معناه الذى يهدف له ، تتذوقه فتحلق بك النفس فى آفاق

الوجدان وأسمى العواطف

والانسان فى بدء نشاته وبدء اتصاله بمظاهر الوجود ، يدرك ما حوله من محسوسات ، قبل أن يرقى الى ادراك ما ينطوى عليه من مدركات معنوية ومجردات. وهو فى ادراك الجمال ، شأنه فى تعلم اللغة، يسمع اللفظ فيستهويه نطقه وجرسه، فيجرى به لسانه ويردده ، ولو لم يدرك معناه ، كما يستهويه المظهر فيغيب فى ثناياه المخبر ، فاذا ما تعددت المظاهر ، وتنوعت المواقف ، ونضج العقل ، ونمت قوة الحكم ، بدا له المعنى فكان أشد روعة ، وبرز له جمال الروح فكان أسمى من جمال الجسد

وما لنا ندور وندور والأمر واضح . فما قيمة اللفظ المنظم شعراً اذا لم يبرز الشاعر منه معنى ، يثير النفس ويدفعها الى أعمال البطولة والمجد ؟ وما قيمة الطبيعة ذاتها بكل ما فيها من جمال وجلال اذا لم توح للفيلسوف بالحكمة والعلم ؟ وما قيمة الشعر المنسدل كالليل والوجه المشرق كالبدر والفم الباسم كالزهر والقوام المائس كالغصن اذا خلا كل هذا من خلق رضى وطبع سهل وود صادق وحب مقيم ؟!

أرأيت اذن ان جمال الجسد رائع ، وان جمال الروح أروع ، وان الكمال ليس فى المنافسة والاختيار ، وانما فى الاتزان والانسجام ، وما أبدع أن يجمع الله الجمالين فى شخص واحد ، ولكن هيهات

ناكر الجميل

يحكى أن فأرا ضاق يوما بالحياة ، بسبب النمر الذى تبعثه فى نفسه القطط . وصادف أن تعرف على ساحر، فشكا اليه حاله وتوسل اليه ان يحيله قطا . فرثا الساحر لحاله وأجابه الى طلبه .. ومرت أيام ، وأحس الفأر الذى غدا قطا ، أن الكلاب تفزعه وتنغص عليه عيشه ، فقص على الساحر قصته وطلب منه أن يجعله كلبا . فلما أضحى كلبا ، بدأ يخشى النمر .. فرجا الساحر أن يجعله نمراً . وتتابعت الأيام واذا بالفأر الذى أمسى نمراً قد غدت حياته جحيما .. فالصيادون يطاردونه برماحهم وبنادقهم حيث ذهب ..

وعندئذ أسرع النمر الى الساحر وقال له :

ــ بالله عليك أعدنى فأرا .. لم أعد أتمنى ان أكون قطا أو كلبا أو نمراً . لقد أدركت الآن انى كنت ناكراً للجميل الذى حبانى به ربى !

سيف الله خالد..

تمهيد



نصرتك ، وجئتني بخذلانك . . !. أجبار في الجاهلية وخوار في الاسلام . . ! ؟ لقد انقطع الوحي وتم الدين ، اينقص وأنا حي . . ؟ والله لاجاهدنهم مهما استمسك السيف في يدي ، وان منعوني عقالا »

قال عمر : « انما شحت الناس على اموالها ، فلو تركت لهم صدقة هذه السنة ؟ » فابى ابو بكر الا قتالهم

قال عمر : « كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ، أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله — فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ؟ »

فأجابه ابو بكر : « اليس قد قال : الا بحقها ؟ ومن حقها اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه . ولو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي » . . وتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده ، فلم يجد الصحابة والمسلمون بدا من الخروج على اثره

وكان سيف ابي بكر في قتال اهل الردة « سيف الله » خالد بن الوليد . . !

قال عمر بعد ذلك : « فوالله ما هو الا أن رأيت أن شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعرفت أنه الحق . والله لقد رجح ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة في قتال أهل الردة »

وقال عبد الله بن مسعود : « لقد قمنا بعد رسول الله مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن من الله علينا بأبي بكر »

نقول ، وكيف لم يكونوا يهلكون، بل كيف كان يبقى للاسلام أثره اذا تهاون الخليفة في أعظم ما تقوم عليه الدولة واعظم ركن بني عليه الاسلام — وهو الزكاة ! الزكاة التي تفرض على موارد الغنى بنسبة معينة لينفق منها على الفقير وعلى مرافق الدولة ؟

*

هذا فيما يتعلق بالسياسة الداخلية . . وقد اختلفت الآراء أيضا في السياسة الخارجية

كان النبي « ص » قد أرسل جيشا الى حدود الشام وحدثت هناك بعض وقائع استشهد فيها زيد بن حارثة (وهي التي دعى خالد بسببها « سيف الله ») . ثم رأى أن يرسل جيشا آخر وضع على رأسه أسامة بن زيد، وقبل ان يتحرك أسامة بجيشه اختار الله رسوله الى جواره . فلما رأى الصحابة ما كان من أمر الردة أشاروا على ابي بكر بتأخير جيش أسامة ، فخالفهم ابو بكر وقال : « أول شيء أنفذه سير الجيش الذي جهزه رسول الله ، ولو ظننت أن السباع تخطفني لانفذت جيش أسامة » . فسار أسامة على رأس جيشه ، وسار ابو بكر في ركابه يشيعه . . وكان ذلك من أعظم الامور نفعا للمسلمين، فان العرب قالوا ، لو لم تكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش . .

فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه

*

وقد رايت فيما تقدم أن عمر ابن الخطاب لم يكن من رايه سلوك طريق الشدة نحو المرتدين. وكان لا يرتاح لشدة خالد، وينتقده كثيرا ، حتى قال ذما فيه : « ان سيف خالد فيه رهق »

وزاد ما بينهما الحادث الآتى :

لما انفذ ابو بكر الجيوش لقتال اهل الردة قال لهم : «كلما اتيتم قوما من المرتدين أذنوا فيهم فان اجابوكم فاسالوهم الزكاة ، فان اجابوكم اليها فدعوهم فى سلام » وكان طليحة بن خويلد الاسدى من المرتدين وقد بعث اليه الخليفة جيشا على راسه عكاشة بن محصن الاسدى وثابت بن ارقم الانصاري. فلم يدعن طليحة وبقى المسلمون معه فى حرب لم يظهروا عليه فيها حتى وافاهم خالد وقد فرغ مما بين يديه . وما كاد خالد يصل حتى بث فى المسلمين روحه، وهجم بهم على طليحة هجمة واحدة قتله فيها ومزق جيشه واسلم من بقى حيا . وكان ممن أسلموا مالك بن نويرة .. غير انه ، فى حديثه مع خالد عن الرسول، كان يقول : «أن صاحبكم توفى» وتكرر منه قوله : « فعل صاحبكم » « شأن صاحبكم » فعلم خالد أن مالكا أراد بان النبى ليس صاحبا له وتيقن ردته فقال له : «وليس بصاحب لك ؟ » وقتله

هذا الحادث جعل عمر يتناول خالدا بالنقد الشديد ويطلب من الخليفة أن يقيم عليه الحد . وكان ابو بكر ، وهو يومئذ اكثر من عمر شعورا بالمسئولية واقرب الى الامتنان من خالد، لا يرى فى فعلة خالد هذه ما يؤاخذ عليه . على انه اكراما لعمر ، استدعى خالدا ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز فى عمامته اسهما ، فقام اليه عمر فنزعها وحطمها واسمعه كلاما اليما . وكان من صدق اسلام خالد وكمال تادبه انه لم يرد على عمر ، بل وقف امامه متحشما ، يسمع، ولا يجيب

القصة

الآن ، وقد القينا هذه النظرة العابرة على ما كان يحيط ــ قبيل وقائع قصتنا ــ بدولة الاسلام الناشئة ، ومهدنا لك برسم تخطيطى لخالد بن الوليد ..

هلم بنا الى القصة ، نتبين منها ادق ملامحه ، ونتعمق فى بحث نفسيته كى نراه على وجهه الاكمل

تعال أولا نقف خارج اسوار عاصمة الاسلام نستعرض الجيش الذى جهزه الخليفة لفتح الشام

لقد كان العرب قبل الاسلام والى أوائل عهدهم به ــ اى منذ بضعة اعوام ــ يهابون الروم ويخافون اسمهم ويضربون الامثال بضخامة ملكهم ، ويعدونهم كما يعدهم التاريخ اعظم دول الارض فى ذلك العهد واقواها باسا

فما بال الخليفة ــ وقد قرر ان يهاجمهم فى عقر ديارهم ليضرب بمعوله فى عقد بناء

دولتهم ـ ما باله يجهز لقتالهم جيشا لا يزيد عدد افراده على العشرين الفا من الفرسان والمشاة، بما فيهم النساء .. فلقد اصر الكثير منهن على أن يصحبن الجيش ليشاركنه شرف الغزو بسواعدهن وسيوفهن وحرابهن ، ويعالجن جرحاه ومرضاه ويقمن على خدمة رجاله

ان هذا الجيش الهزيل قد يكفي لقمة واحدة يلوكها جيش بيزنطه بين شدقيه ويتبلغ بها ، فتثير شهوته لالتهام جزيرة العرب بسكانها جميعا ..!

ثم ما بال الخليفة يعقد الالوية على هذا الجيش لستة من الامراء ، منهم ابوعبيدة الجراح، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وغيرهم من فرسان الاسلام وامجاده، ولكن ليس فيهم «سيف الله » ... فهل نسيه وهو يعلم عن خبرة ويقين أن كفته ترجح كفة الامراء الستة مجتمعين..؟

لا لا ... ان الخليفة لم ينس، بل أنا وانت اللذان نسيا ..

ان خالدا يعمل الآن في دك صرح دولة اخرى لا تقل شأنا عن دولة الروم ، وان الاخبار التي تتوارد متلاحقة على الخليفة بانتصارات سيف الله المتوالية وتألق نجمه في بلاد الفرس ، وانه جعل يمزق أوصال دولتهم ، حتى لقد سقطت الحيرة في أيدي جيش الاسلام وتلاها سقوط القادسية ثم العراق وما بين النهرين ، وأن عرش الاكاسرة أخذ يهتز تحت ضرباته الساحقة ويتداعى .. هذه الاخبار التي لم يكن ينتظرها احد حتى في الاحلام ، هي التي جعلت الخليفة يستهين بأمر الروم فيوجه اليهم هذا الجيش الضئيل

*

انتبه .. هاهوذا الجيش الضئيل يتحرك نحو الشام .. وهو لا يتحرك قطعة واحدة تنتظمها قيادة واحدة ، بل قطعا متفككة .. فكلما اجتمع جماعة ، عقد الخليفة لواءهم لامير من الامراء مستقل عن زملائه الآخرين ، وبعثهم افواجا يتبع بعضها بعضا ...

ثم اسمع ماذا تحمل الريح الى آذاننا ... انها وصية الخليفة لهذه الجماعات الذاهبة الى الحرب، وانها برنامج الفتح عند الاسلام :

« لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة . ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة . ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للاكل ... وسوف تمرون برهبان قد فرغوا انفسهم في الصوامع يعبدون الله على الوجه الذي يعرفونه، فاياكم أن تتعرضوا لهم ، ودعوهم وما فرغوا انفسهم له »

ـ ١ ـ

وهلم ننتقل الى بيزنطه عاصمة دولة الروم حيث يتجلى البذخ والحضارة والعظمة في أروع مظاهرها

تعال لنلقي نظرة على مقر العرش حيث يجلس هرقل الاول

الامبراطور العظيم ، الذى فتك بجيوش الفرس والآفار والصقالبة واسترد الصليب الاصلى المقدس بعد أن اخذه الفرس من بيت المقدس ، فاعاده الى نصابه وانقذ المسيحية من طغيان الوثنية بعد ست حروب قادها بنفسه واكسبته شهرة ، كادت تفوق شهرة الاسكندر الاكبر المقدونى

ان مجلس العرش مجتمع ، وقد وافتهم الاخبار بأن جيوش الاسلام قد افتتحت البلقاء والعربة والجابية وبصرى وحمص وغيرها من العواصم والامصار

فلا الامبراطور ولا وزراؤه ، يصدقون هذه « الترهات » !

كيف ..!؟

العرب الذين عرفناهم يترددون على بلادنا للاستجداء باسم التجارة .. يقطعون الصحراء مشاة حفاة عراة ، يعيشون على حفنة من التمر وجرعة من اللبن، وسيفهم مشدود الى وسطهم بقطعة من الحبل ..!.. هؤلاء العرب ، تقولون انهم وصلوا الى اطراف مملكتنا وفتحوا منها بلادا استقروا فيها ..؟!

ويتقدم راهب عجوز اشرف على التسعين من عمره ، يتوكا على عصاه ويدب بها على الأرض كى يلفتهم الى نفسه ويسمعهم صوته ، ثم يصيح فيهم :

ـ صمتا أيها السادة ، وكفاكم مزحا وسخرية ، فما دأبنا غير التبكيت والتنكيت وغير الولع بالمجون وعدم المبالاة .. انكم لا تعرفون اين أنتم واقفون ولا تحسون بصخب البركان الذى تحت أرجلكم وضجيجه ، ولا تقدرون انه يكاد ينفجر فيحرق الاخضر واليابس ويقضي على الزرع والضرع ثم تنشق الارض فتبتلعكم جيعا ..!.. انى قادم الآن من الجابية احدى البلاد التى استقر بها العرب حيث تركت قومنا يرحبون بهم ويحتضنونهم و ...

قاطعه الوزير الاول وهو يقهقه :

ـ اذا صدق هذا فلنبعث اليهم بجوقة من جوقات التمثيل عندنا تضرب على طبولها وتنفخ فى ابواقها، فتدخل الرعب فى نفوسهم وتكشحهم عن ارضنا ... . واذا أردنا أن نأخذ الامر على أنه أكثر جدية ونعطيه من الاهمية فوق ما يستحق ، فلنفتح أبواب سجن من سجوننا ولنسق من فيه من اللصوص وقاطعى الطرق يبيدون العرب ولا يبقون منهم اثرا ..!

ـ يا سيدى الوزير . . ويا صاحب الجلالة الامبراطورية، ان الامر فوق ما ظننتم وقدرتم ، اذكروا كم لقيتم من العناء فى حروبكم مع الفرس، وان انتصاركم الاخير عليهم لايعد هزيمة بالنسبة اليهم .. اذكروا هذا واعلموا أن العرب قد أبادوهم وثلوا ملكهم واستولوا على امبراطوريتهم كلها . . كل الامبراطورية يامولاى، ومنها عاصمة الملك ، ومنها ايوان كسرى الذى كان يضرب به المثل. وأن هذا قد تم للعرب فى أقل من أربع سنوات

ــ العــرب . . ! . . هل هم هؤلاء العرب المتفرقون فى الجزيرة، الذين كنـا نسميهم جراد الصحراء . . ؟ !

ــ اجل يا مولاى، هم هم وليس غيرهم . . هم كما عرفناهم ، المشاة الحفاة العراة الذين يتبلغون بحفنـة من التمـر وجرعة من اللبن . . . . ولكن جد عليهم امر لم يأتكم خبره ، هو الدين الذى نزل على نبيهم محمد وجعل منهم بنيانا مرصوصا يشد بعضـه بعضا ، بعد ان كانوا شيعا متنابذة متفـرقة . . هـو الدين الذى صهرهم فى بوتقته واخرجهم منها رابطة واحدة تعمل للمجموع، بعد ان كانوا افرادا يعمـل كل منهم لنفسه ولا يهتم بغير نفسه . . . ولقد ادهشنى منهم ان سمعت احدهم يصيح : « الله اكبر ، الله اكبر » . . فرايتهم يسارعون جميعا فيصطفون وراءه كان على رءوسهم الطير ويلبون حركاته ، فاذا ركع ركعوا واذا سجـد سـجدوا واذا وقف وقفوا ، يفعلون ذلك بلا تمييز بين الـكبير والصغير وبين العظيم والحقير

بهذا ، وبهذا وحـده ، تغلبوا على الفرس وسادوهم والحقوهم ببلادهم . . ومنه ، منه وحده ، اخشى على دولتنا ان يتغلبوا عليها ويسودوها ويلحقـوها باختهـا فارس

فبالله عليك ان تطرح هـذر هؤلاء الماجنين المحيطين بك، وان تسمع نصيحـة شيخ مثلى فتتاهب لحربهم كما لو انك تحارب شعوب الدنيا كلها مجتمعة عليك

ــ احسنت فيمـا قلت . . فليتاهب القـائد كريسبوس وليذهب اليهم على راس جيش و . . .

ــ لا لا يا مولاى . . فلتذهب اليهم بنفسك وباقوى ما لديك من جيش وسلاح وعتاد . . .

ــ ٢ ــ

وتقدم الامبراطور من الشمال على راس جيش اعده فى انطاكية، قوامه مائتان واربعون الفا من صناديد المحاربين ، مع جيش آخر زحف جنوبا من بيت المقدس قوامه سبعون الفـا . . وبلغت اخبار هذين الجيشين امراء العرب الذين فتحوا ما فتحوا من الامصار واستقروا فيها ، فتراسلوا . . . ورأى داهيـة العرب ذو الراى الحصيف عمرو بن العاص ، انهم اذا بقى كل منهم رابضا فى مكانه مع الالفين او الثلاثة الآلاف الذين تحت امرته فسيكون نصيبهم من الروم وحشودهم الهائلة نصيب الفار من المصيدة ، وان الأجدى عليهم ان يتجمعوا فى بقعة واحدة وان تكون ظهورهم الى الصحراء حيث يستطيعون الانفلات اليهـا اذا لم يكتب لهم الفوز

ونفذوا هذه الخطة الوجيهة . . وعملا باسول الحكم فى الاسلام رد كل منهم على اهل كل بلد ما كان قد اخذه من الخراج، وقال لاهل البلد : « ان ما جبيناه من اموالكم كان للصرف منـه على

مرافقكم العامة من تحسين صحة وحراسة امن وشق طرق..الى آخر ما هنالك من مقتضيات الحكم .. فاما وقد شغلنا عنكم واضطررنا الى الانسحاب من بلادكم فاليكم اموالكم ، وانتم على امركم » ..!

واستعظم المسيحيون هذه المعاملة من جانب المسلمين. وقد لمسوا بخاصة ما سبقها من عدلهم ورفقهم وحسن سياستهم وابتعادهم عن شرور الخمر والميسر والفسق ، ووازنوا بين ذلك وبين ما كانوا يجدونه من دولة الروم من الجور والعسف وسلب الاموال وانتهاك الاعراض. فقالوا : «ان ولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن مدننا حتى يعيدكم الله الينا منصورين عليهم » .. ونهض اليهود وقالوا : «والتوراة لايدخل عمال هرقل مدننا الا أن نغلب ونجهد » .. واغلقوا الابواب وتعاونوا على حراستها

وتجمع الجيش الاسلامي عند انحناء فى نهر اليرموك وبعثوا بخبرهم الى الخليفة

وجاء جيشا الروم الكبيران البالغ مجموعهما اكثر من ثلثمائة الف ، فأحاطا بالجيش الاسلامي الضئيل الذى لا يزيد عدده على العشرين الفا ، ووقف الامبراطور يشرف عليه ويخاطب خواصه متفكها :

ــ ماذا افعل بهذا الجراد الصحراوى ..؟.. وما شبهتهم بالجراد لكثرتهم ، ولكن لما يبدو عليهم من هزال الجوع ولانهم وردوا الينا من الصحراء..ماذا افعل بهم ..؟.. هل اقول لجنودى ، هاكم احفنوهم باليدين واشووهم على النار كما يفعلون هم بالجراد ..؟ ولكنهم لن يكفوا « مزة » على كأس من الخمر لكل جندى من جنودى فان كل خمسة عشر جنديا سيكون نصيبهم « جرادة » واحدة ..!.. ومع ذلك ، مالى ومالهم ما داموا قد وقفوا لا يحركون ساكنا والنهر يفصل بينى وبينهم، وانا فى بلادى حيث تتوافر لدى اكداس الميرة والذخيرة ، وهم على اطراف الصحراء حيث لا يجدون الاكل ..!.. فلأتركنهم الى ان يشتد عليهم الجوع والبرد فيأكل بعضهم بعضا ..!

ووقف الجيشان مرابطا كل منهما للآخر لا يعمل شيئا . . وبحكم تجمع العرب فى بقعة واحدة ولى أمرهم « امين الامة » ابو عبيدة الجراح باعتبار اسبقيته فى الاسلام وانه كان، مع ابى بكر، مرشحا لخلافة الرسول

وطال الوقوف ثلاثة اشهر كانت ترد فيها على جيش الاسلام اخبار خالد من العراق، ووصف المعارك التى ابلى فيها ، ومانالته جيوشه من الانتصارات التى يفخر بها الاسلام .. وانتشر بينهم التذمر وخاصمتهم نساؤهم ، فاعتزلن منهم وجعلن يعيرنهم بما كان منهم وبما يجىء من اخبار خالد

ـ ٣ ـ

الليلة مقمرة .. وقد جلس النساء فى معزلهن حلقة حول طفل صغير جعلن يرقصنه وهن ينشدن .. وأحاط بهن الرجال عن بعد يستمعون لانشادهن وهم يتحسرون .. وارتفع صوت سلمى بنت هشام تغنى للطفل وتهدهده وتقول له : « يظهر انه كتب علينا أن نبقى هنا الى ان تكبر وتقودنا الى حرب لا يقدر عليها رجالنا الحاليون » ..!

وفى هذه اللحظة ، هل عليهم سيف الله ومعه ستة آلاف من جيشه ، وقد أمره الخليفة ان يترك ما بقى من فارس الى معاونيه يتمون فتحه ، ويذهب هو لنجدة أخوانه فى الشام وأن يكون عليهم اميرا

وهلل لمقدمه الرجال وزغردت النساء ، وانشدت سلمى ترحب بن شرفه الرسول برايته الخاصة تعظيما لذكره واعلاء لشأنه . فيدب الحماس فى قلوب الرجال ويهزجون معها مرددين : « الشام لنا ما دام سيف الله معنا »

*

ويتقدم حسان بن مالك من سلمى فيقفان فى ضوء القمر ، وكلاهما فارس من أعلام فرسان الاسلام . وقد جمعت بينهما هذه الحرب ، فتحابا وتعاهدا أن يتم زفافهما بعد فتح الشام

ـ ما بالك مهموما ..؟.. فهل لا تشارك الجيش سروره وابتهاجه بقدم سيف الله ..؟.. أولست معنا فى ان الشام لنا ما دام سيف الله معنا ..؟

ـ انى معكم ولا شك ، وقد اصبحت متفائلا بل واثقا من ان جيشنا الصغير سيسترد كرامته واعتباره بعد أن وقف ثلاثة أشهر وقفة الحائر المذعور امام جيش الروم الكبير .. وانه سيهزم هذا الجيش ، وربما يستحقه بضربة واحدة من ضربات سيف الله المشهورة .. ولكن ..

ـ ولكن ماذا ..؟

ـ ولكن سيف الله له اسم آخر غير الذى أطلقه عليه الرسول .. له الاسم الذى دعاه به والده عند ولادته .. ان اسمه هو « خالد ابن الوليد » ..

ـ لست أفهم ماذا تعنى ؟

ـ بل انت تفهمين كل ما اعنى ، ولكنك تتجاهلين ..!

الا تعلمين أن خالدا قتل والدى ظلما ..؟

ـ من قال ذلك ؟

ـ قاله شهود الحال ، وقاله معهم عمر بن الخطاب . ولاتنسى أن عمر هو فاروق الاسلام وفيصله ، وانه من أقرب الاقربين الى خالد ، فهو ابن عمته . فحكمه على خالد بانه قتل ابى ظلما وعدوانا ، انما هو حكم صحيح لا يأتيه الباطل

ـ ولكن الخليفة ـ وهو اقدر من عمر على الحكم ، ورايه هو الراى الاعلى ـ يخالف ما حكم به عمر

ـ لو كان يخالفه لما دفع لنا دية ابى من بيت مال الاسلام

ـ والى هذا اردت ان أجرك فى الحديث .. تقول انه دفع الدية ؟

اذن فقد سقط كل حق لكم على خالد

ـ سقط كل حق لنا ، ولكن لم يسقط عنى واجب الاخذ بالثأر ..!

ـ أنت تتكلم عن « الثأر » كلام الجاهلية ، وكان الله لم يضىء قلبك بنور الاسلام ..!

ـ لقد أضىء قلبى والحمد لله ، ولكنى لا انسى ان ابى هو ابى وانه مصدر وجودى فى هذا العالم ، وان الدماء التى تجرى فى عروقى هى من دمائه .. ومع ذلك فانت تعلمين انى رضيت أن يرمينى اهلى بالمذلة والجبن ، فتركت وطنى واتجهت الى المدينة كى لا اتقابل مع خالد وجها لوجه ، ولا اكون مضطرا لمبارزته وقتله اخذا بثار ابى . وتطوعت فى الجيش الذى جهزه الخليفة لفتح العراق رجاء ان ابعد عن همومى وان اموت فى سبيل الله ، فيسقط عنى واجب الثار .. ولما رايت ان الخليفة عقد لواء الجيش لخالد ، نكصت على اعقابى وتخليت عن التوجه الى العراق ، وتطوعت فى الجيش الذاهب الى الشام .. كل هذا لكى ابعد عن طريق خالد ولكى لا أكون مضطرا لمناجزته وقتله تلبية لثار ابى .. والآن ..

ـ والآن ، ماذا ..!؟

ـ الآن وقد ساق الله الى خالدا سوقا ، فكانه يقول لى : « هذا خالد امامك وجها لوجه ولن تفر من قضائى .. لقد قدرت عليك ان تاخذ بثار ابيك ، فهيا ولا تتأخر »

وينتهى الحديث بين الفارسين الخطيبين بأن تولى الخطيبة خطيبها جانبها وهى تنشد : « اليك عنى ، اليك عنى .. فلست منك ، ولست منى » ..

ـ ٤ ـ

وكان خالد اثناء ذلك منفردا بأمراء الجيش يستطلع احوالهم ، فيفهم ان كلا منهم قائد مستقل بجيشه لا تنتظمهم قيادة واحدة ، وما دام الخليفة لم يؤمر عليهم واحدا منهم ، فكلهم كأسنان المشط لا تعلو سن منه على سن . . ويدرك من ذلك ان أمر الخليفة بتوليه القيادة العامة لم يبلغهم وان عليه تبعا لذلك ، أن يسلك معهم سبيل التواضع

قال يخاطبهم : « ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى . اخلصوا فيه جهادكم وارضوا الله بعملكم ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وأنتم على غير قيادة موحدة . ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ..!.. ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسوله . هلموا فان هذا اليوم له ما بعده ، وان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعده . فهلموا فلنتناوب الامارة ، ولتكن لأحدنا اليوم ، وللآخر غدا ، وللآخر بعد غد ، حتى تتأمروا كلكم » ولما احس بان كلامه صادف هوى فى نفوسهم ، أتم عبارته بقوله : « وما

دمت ضيفكم فدعوني اثأر اليوم » ..!

قال عمرو بن العاص : اتقصد ان تبدأ مناجزتهم صباح الغد ؟

اجابه خالد : نعم ، مع الفجر

قال ابو عبيدة : ولكنك منهوك، وقد حفي فرسك فى مسيره بك من العراق

اجاب خالد : لا اظن فرسي يأبى ان يشاركني شرف الجهاد والموت فى سبيل الله .. وقد فهمت منكم ان العدو مستغرق فى ظنه اننا مستنيمون الى وقفتنا هذه التى طالت ، فيجب ان نفاجئه قبل ان يشعر بتغير موقفنا ويستعد له

وقضى خالد بقية الليل يجوس الارض التى اختارها ميدانا المعركة، ويرسم الخطط، ويرتب فى ذهنه اين يقف فلان ، ومن اين يكر فلان ، والى اين يتجه فلان فى احاطته بالعدو .. الى ان اذن المؤذن بصلاة الفجر ، فتقدم يؤم الجيش فى صلاته ثم ختمها بخطبة اضرم بها نار الحماس فى القلوب ..

واخذ يرتب القوات طبقا لما رسم فى ذهنه . ونشرت « العقاب » راية الرسول التى انعم بها على خالد، فحيتها سلمى بنشيد حماسي اشترك فيه الرجال مع النساء

وافتتح القتال بصيحة من صوت « سلمى » الشجي : النفير النفير ، يا خيل الله اركبي ..!.. فاندفع الجميع الى الحرب وهب العدو فى وجوههم يدفعهم ... ودارت رحى المعركة

— ٥ —

توسطت الشمس كبد السماء وقد وقف خالد فوق ربوة يدير حركة القتال . واذا بحسان يقبل عليه ويعرفه بشخصه، وانه جاءه يطلب ثأر ابيه

جعل خالد يظلل عينيه بيده ليقيهما اشعة الشمس ووهجها ، وقد شغل باله وقتئذ ان رأى الجيش الاسلامي الهزيل يلتوى تحت ضغط خصومه المتدفقين عليه بكثرة عددهم وقوة اسلحتهم . على أن هذا لم يمنع كلمات حسان ان تصل لأذنيه وان تدور فى رأسه، فيقدر لهذا الفارس موقفه بعد ان سمع منه انه تقدم الى المدينة ثم اتجه الى العراق ثم تحول نحو الشام ، وكل هذا لكى يبتعد عن طريقه ولا يضطر الى طلب الثأر . وهو معجب به اذ رآه منذ برهة يهجم على العدو هجمات صادقة ويجندل فرسانه ، وكان يسائل نفسه : ترى من يكون هذا البطل الصنديد ..!.. وزاد فى اعجابه به أن رآه الآن يقبل عليه مواجهة ، ويطلب مبارزته بعد ان كان فى وسعه ان يجيئه من الخلف ويغتاله

وبعد نقاش طويل حاول فيه عبثا ان يلين من حدته ، قال له :

ــ استمع الى يا ولدى .. ان السيف الذى احمله لم يهيأ لاقاتل به صناديد الاسلام وفرسانه ، وانما لأحارب به العدو .. فاذا كانت كلماتى لم تفعل فيك، فهاك سيفى اطرحه تحت قدميك ،

وها أنذا واقف أمامك مكتوف اليدين .. فاهدر دمي انتقاما لأبيك ، ولكن لا تنس أنك تهدر مع دمي دماء اخوانك ، وتخون بلادك فتسلم جيشها الى الذبح ..!.. هيا ، تقدم واقتلني !... ما هذا الصوت الذي تحمله الينا الريح ، يحكي صفير البلبل ، وكأنما هو هابط علينا من السماء ..!؟.. انه صوت سلمى بنت هشام تغرد للجيش وتبث فيه الحماس فتصف حلاوة الموت في سبيل الله ، والجنة وما أعد فيها للمجاهدين ..!.. ثم انظر لاخوانك يرمون انفسهم على العدو رميا فيتساقطون صرعى وتتلقاهم الحور العين في أحضانها ..!.. الا تريد مصيرا كهذا المصير ؟.... أما جئت من بلادك الى هنا لكي تظفر بنعمة الاستشهاد في سبيل الله ؟... آه ، لقد تقهقر جيش الاسلام تحت ضغط العدو .. انظر الى سلمى ، والى كعوب ، والى عفيرة ، والى نعم ..! انهن يحاربن ويقدرن على ما لا يقدر عليه الرجال ..!.. ثم انظر الى سائر النساء .. البعض يحملن اطفالهن ويستقبلن المنهزمين صارخات مولولات في وجوههم ، والبعض الآخر يرددن خيلنا التي ولت الادبار بفرسانها يضربن وجوهها بالعمد لتعود الى ساحة الوغى.. آه ، لقد حمل الروم حملة صادقة ازاحوا بها جيشنا من مواقفه الى خط الرجعة ... وها نحن ننهزم ..!

وامتشق خالد سيفه وصرخ : وامحمداه ..!.. لقد قاتلتم مع النبي ، فهل تفرون اليوم ..!.. من فيكم يبايعني على الموت ؟ وانغمر في وسط المقاتلين

وكان أول من بايعه على الموت هو حسان بن مالك ، عدوه الألد ..!

وانتهت المعركة بانتصار جيش الاسلام انتصارا ساحقا فتبدد جيش الروم وتمزق شذر مذر

وصدقت نبوءة خالد فقد كان يوم اليرموك يوما له ما بعده، وكان غرة في جبين التاريخ ..!

وفي ختام المعركة جاءت سلمى الى الابطال المجندلين ، تحمل اناء الماء كي تسقيهم وتمسح به وجوههم .. على أن كلا منهم رفض أن يشرب قبل أن يشرب الباقون .. وظلت حيرى بينهم تحاول أن تجرعهم الماء ، وكل منهم يؤثر أخاه على نفسه الى أن ماتوا جميعا عطشى ..!

واستندت سلمى الى الاناء ترثيهم بصوتها الذي يشبه صوت الملائكة ..!

- ٦ -

ولم يمنح خالد نفسه ولا جيشه شيئا من الراحة عقب موقعة اليرموك، بل طار وراء العدو المنهزم يتعقبه ويكيل له الضربات الساحقة . وتيسر له أن يلتحم بجيوش بيزنطة في موقعة ثانية بأجنادين ، كانت هي الاخرى من المواقع الفاصلة كموقعة اليرموك،

ثم اخذ يطارد فلولهم الى أن تلاقى بهم خارج دمشق. وما كاد يلتحم بهم وما كادوا يحسون بوشك الانكسار حتى دخلوا دمشق واغلقوها عليهم، وكانت أسوار دمشق وحصونها من المنعة بحيث تستطيع أن تحول دون سيل الجيش الاسلامى الى ان يلموا شعثهم وينظموا صفوفهم. واحاطت جيوش خالد باسوار دمشق وولى كل امير بابا من أبوابها ليمنع عنها المدد، وجعل هو يراسل أهلها أن يسلموا مهادنة فيفيدوا من شروط الصلح ويقوا أنفسهم خطر دخوله عليهم غازيا. على انهم رفضوا المهادنة وأبوا التسليم

وفى ليلة كان خالد يمر حول الحصون ليبحث عن نقطة ضعيفة يسلك منها الى داخل المدينة فيحارب أهلها وجيوش بيزنطه، اذ تلاقى بحسان:

ـ السلام على امير الجيش!

ـ وعليك السلام، فارس الاسلام الذى كان أول من بايعنى

ـ لقد استشهد كل من بايعوك يومها على الموت فى معركة اليرموك .. ولم يبق سواى وسواك ..! الا تفهم من ذلك ان الله ما مد فى حياتى وحياتك الا ليكون موتك من يدى اخذا بثأر ابى ..؟.. هيا امتشق حسامك نتبارز واحمنى من غواية الشيطان، فاللعين يوسوس لى أن أقتلك اغتيالا ما دمت تأبى أن تنتفع من حق الدفاع عن نفسك ..!

ـ يا ولدى أعيد عليك ما سبق أن قلته لك يوم اليرموك. ان سيفى لم يهيأ لأقاتل به صناديد الاسلام وفرسانه، وانما لأحارب به العدو. وهاهوذا العدو رابض لنا داخل أسوار دمشق ينتظر النجدة من بيزنطه، وهو موقن انها تستطيع أن توافيه بمئات الالوف من الجند الاحتياطى، وأنا موقن ان مصير امبراطوريته ومصير الدعوة الاسلامية متوقفان على سحقه فى دمشق، قبل ان يفسح الوقت امامه لتجهيز احتياطيه. . انظر الى هذه الثغرة فى الاسوار. لقد فحصتها ورايت ان فى وسعنا اقتحامها بعدد قليل من المبايعين على الموت، ومن يكتب له العمر يستطع ان يوسعها من الداخل لبقية الجيش فيدخل الجيش ونقضى على العدو فى وكره .. هات يدك وتعال نتآخ، كما آخى النبى بين المهاجرين والانصار، ولكن أول المقتحمين .. فاما متنا معا وكان الذى قتلنى هو الله، لا انت، وأما عشنا اخوين لا يفرق بيننا ثأر ولا انتقام ..!

ـ ٧ ـ

وتآخى حسان مع غريمه الذى يطلب رأسه ثمنا لرأس ابيه .. واقتحما الثغرة ولكنهما لم يموتا، ووسعاها فدخل الجيش دمشق. ولم يشعر الدمشقيون الا وخالد وأصحابه يعملون فيهم السيف. عند ذلك ذعروا وتمنوا لو أنهم سلموا المدينة صلحا، فلجأوا الى

ابى عبيدة ودعوه الى الدخول من الباب المقابل لجيشه ، فدخل مهادنة وهو لا يعلم بما كان من خالد

وتلاقى بطلا الاسلام فى وسط المدينة : هـذا ممتشق سيفه ، وذاك يدعو الى الامان :

ـ ارفع سيفك فقد دخلنـا المدينة صلحا

ـ بل دخلنـاها حربا ، وقد خدعوك بعد ان رأونى اقتحم عليهم الاسوار .. ولو صفحنا عن هذا الخداع لقوبلنا بمثله فى كل مدينة نهاجمها ، ولافسحنا الوقت للعدو يتجهز فيه ويتقوى

ـ ولكنى اعطيتهم كلمتى ، فلا يليق العدول عنها

ـ ان كلمتك لا تربطنى ، بل ولا تربطك .. فانا القـائد العـام للجيش ، وليس لغيرى ان يتكلم باسم الجيش ..!

*

واسـتعرت نار الخلاف بين « امين الامة » و« سيف الله » حتى رفع كل منهما سيفه فى وجه اخيه نصرة لرأيه

وفى هـذه اللحظة جاء البريد يحمل نبأ وفاة الخليفـة ابى بكر وحلول عمر بن الخطاب محله فى امارة المؤمنين ، وانه يأمر بعزل خالد عن قيادة الجيش وان يتولى القيادة ابو عبيدة الجراح

وفى هـذه اللحظة طأطأ خالد رأسه امام ابى عبيدة واعاد سيفه الى غمده ، وقال لخصمه فى الرأى : مرنى يا أميرى ، فأنت القائد العام !

والتفت الى حامل البريد : بلغ أمير المؤمنين أن من حقه أن يعزلنى عن القيادة ، ولـكنه لا يملك ان يجردنى من سيفى .. فسأظل حاملا هذا السيف فى خدمة امتى وملتى ، وسأظل جنديا بسيطا فى هذا الجيش ..

ـ ٨ ـ

ولقـد رضى سيف الله بالعزل والهوان ، ورضى ان يصادر لحساب بيت المال ـ كعادة القوم فى ذلك الاوان ـ نصف الاموال التى جناها بالحلال . وبقى جنديا بسيطا فى جيش ابى عبيدة يتم فتح الشام تحت ظله ، ولم ينطق بالشكوى ولا حـدث نفسـه ان يذهب لامير المؤمنين يستوضحه ما كان منه حتى اذا التقيا مصادفة امام اسوار القدس قال خالد لامير المؤمنين : اى ذنب ارتكبته دعاك لما عاملتنى به ..؟ فربت الامير على كتفه واجاب مبتسما : لا ذنب لك .. غير ان النبى استند الى جذع شجرة ورأيت بعض المسلمين يتمسحون بها تبركا واستشفـاء ، فأمرت بقطعها من جذعها ومحوت أثرها حتى لا يكون للناس غير الله ..! وانت قد أوتيت من الانتصارات المتلاحقة ما رأيت معه ان امحوك من كتـاب الحرب حتى لا يفتن الناس بك ويعبدوك من دون الله

عباس علام

ماذا يعنى به المخرجون فى هوليود عند اخراج الروايات التاريخية ؟

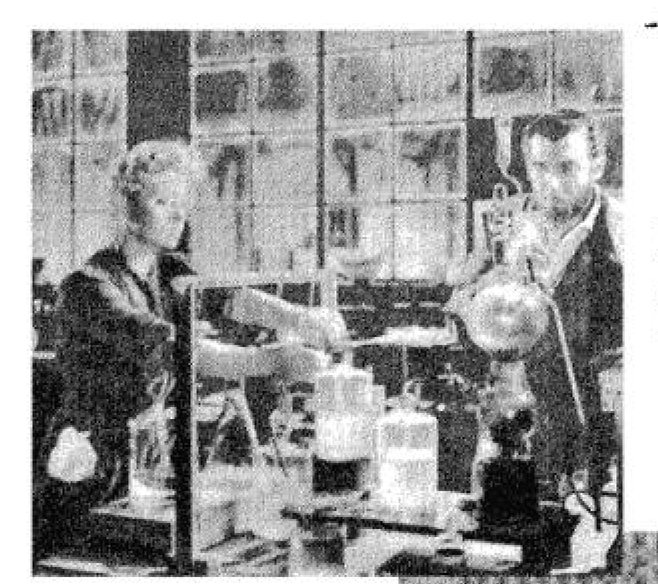
الروايات التاريخية .. على الستار الفضى !

الدولار .. وما ادراكما الدولار؟ هو الهدف الاول لمديرى الشركات السينمائية فى هوليود ، وهو مقياس النجاح عندهم لمايخرجونه من أفلام وروايات . لذلك كانت ميول الجماهير ورغباتهم ، من الاعتبارات الرئيسية التى يضعها المختصون نصب أعينهم وهم يختارون القصص وينتخبون لها أصلح الكواكب لتمثيلها. واذا تعارضت هذه الميول مع الاصول الفنية وتعذر التوفيق بينهما ، ضحوا غالبا بالفن والوقائع التاريخية فى سبيل ارضاء النظارة واجتذاب أكبر عدد منهم فى اكبر عدد من البلدان

والافلام التاريخية والادبية ذات المناظر الزاخرة بالبذخ والترف من أحب الافلام الى نفوس رواد السينما ، واكثرها نجاحا من الناحية المادية .. لذلك يعنى الآن المشتغلون بالسينما فى هوليود بالاكثار منها على الرغم مما تتكلفه من نفقات باهظة . اذ لا تقل نفقات الفيلم الواحد منها حاليا عن ثلاثة ملايين دولار اذا كان التصوير عاديا ، واربعة ملايين دولار اذا كان الفيلم ملونا. وقد انفقت شركة «فوكس للقرن العشرين » اربعة ملايين ونصف مليون دولار على فيلم «عنبر الى الابد» الذى انتهت منه اخيرا . وكذلك انفقت أربعة ملايين دولار على فيلم « كورتز » الذى قام ببطولته « تيرون باور » . ان تكاليف هذه الافلام كانت لاتتجاوز قبل الحرب الاخيرة المليون دولار .. فقد انفقت شركة «متروجولدوين ماير» على فيلم الملكة «كريستيانا» الذى قامت بدور البطولة فيه « جريتا جاربو » سنة ١٩٣٣ نصف مليون دولار، وكذلك رواية «مارى انتوانيت» التى اشتركت فيها « نورما شيرر » و « تيرون باور» لم ينفق عليها سنة ١٩٣٨ سوى مليون دولار على الرغم من دقة اخراجها ، وما حفلت به مشاهدها من مظاهر الترف

*

ويهتم المخرجون اهتماما بالغا بدراسة العادات والتقاليد وتصميم الازياء وهندسة البناء والاثاثات التى كانت سائدة فى العصر الذى جرت فيه حوادث القصة ، ويبذلون قصارى الجهد فى محاكاتها ولا يبخلون بمال فى سبيل تصويرها على حقيقتها. ولكنهم لا يتوخون عند اختيار الممثلات والممثلين التشابه بينهم وبين ابطال القصة الحقيقية ، كما وصفتهم الوثائق

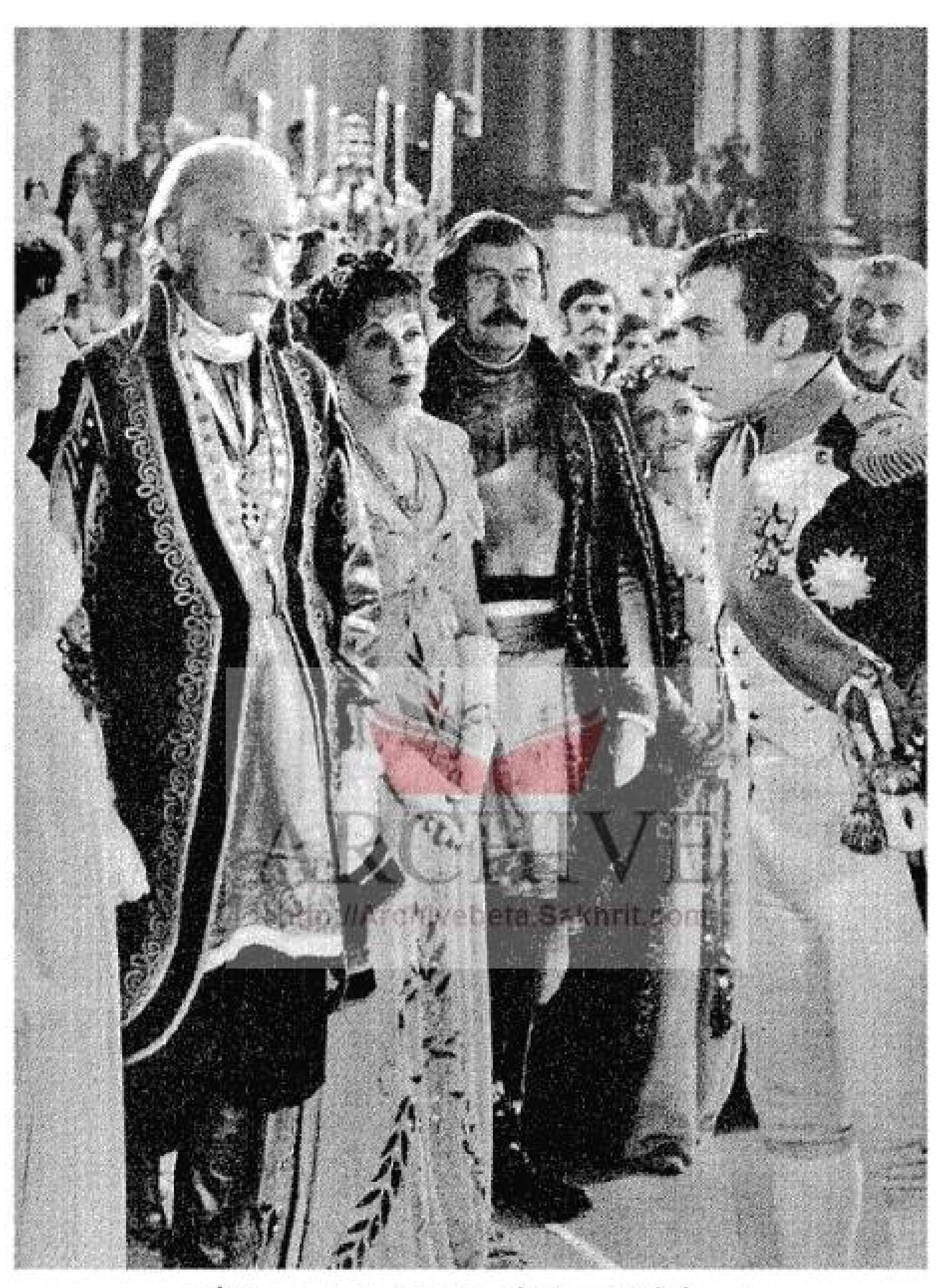


مدام كورى

هذه هى « جرير جارسون » كما كانت تبدو فى فيلم « مدام كورى » بالاشتراك مع « والتر بيدجون »

الملكة اليزابث

أما « بيتى دافز » فتراها هنا فى فيلم الملكة « اليزابث » بالاشتراك مع « ايرول فلاين »



« جريتا جاربو » و « شارل بوايه » فى فيلم « مارى فلفسكا »



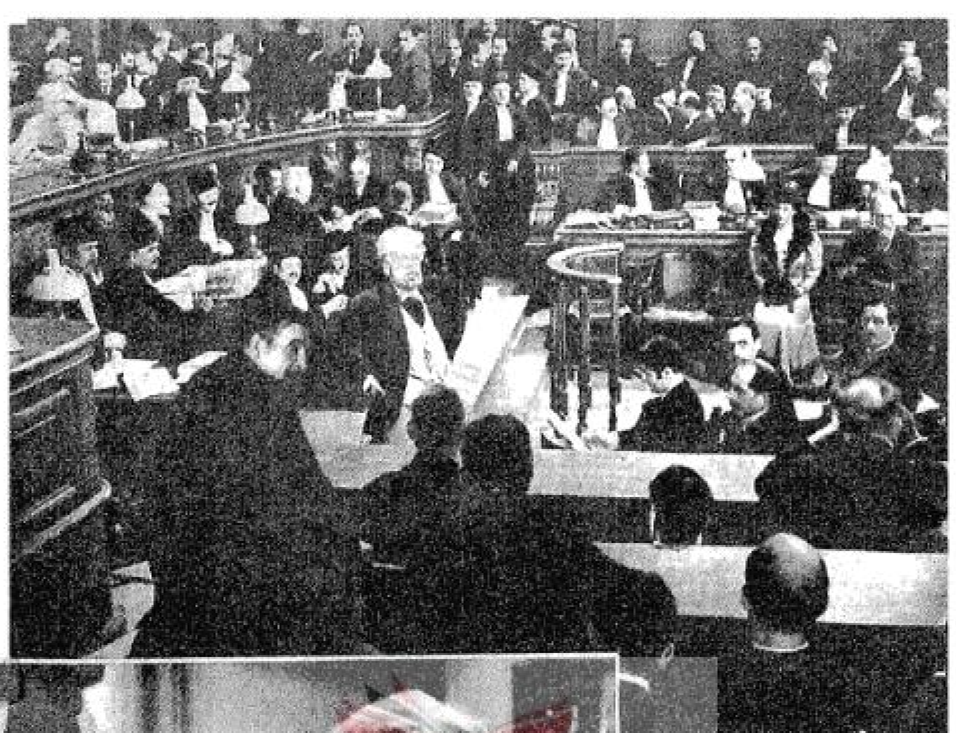
« نورما شيرر » و « تيرون باور » فى فيلم « مارى انطوانيت »



الى اليمين « جريتا جاربو » كما بدت فى دور الملكة كريستيانا ملكة السويد

•

قامت الممثلة المعروفة « ميرل اوبرين » بدور البطولة فى فيلم « الشودة للذكرى » وهى ترى فى الصورة السفلى مع « كورنيل وايلد »



فى الصورة العليا
يرى « بول مونى »
فى منظر من فيلم حياة
« اميل زولا » ،
وفى الصورة الجانبية
يبدو فى مشهد من
فيلم « لويس باستور »

وصورتهم اللوحات التاريخية . فحين وقع اختيار شركة «وارنر» على الممثلة المعروفة «بتى دافز» للقيام بدور الملكة « اليزابث » لم يحاول المخرج أن يغير من مظهرها بالمكياج وغيره من الوسائل الصناعية ، كي تكون قريبة الشبه من ملكة انجلترا العذراء .. ذلك لانه يعلم أن لهذه الكوكب اللامع محبيها وعشاقها الذين يتهافتون على رؤيتها على الستار الفضى مهما كان الدور الذى تقوم به ، ويسيئهم ان يروها فى غير مظهرها الطبيعي . وكذلك ظهرت «ميرل اوبرين» منذ ثلاثة أعوام فى دور «جورج ساند» فلم يشر المخرج بقص شعرها ، وبدت على الشاشة فاتنة كعادتها بعيدة الشبه فى سماتها وملامحها عن تلك الاديبة النابغة ، ولكنها بالرغم من ذلك بدت شبيهة بها فى طباعها وخصالها التى عرفت عنها

والغالب الا يخرج اختيار مديرى الشركات — للقيام بهذه الادوار التاريخية — عن قائمة الكواكب المتعاقدين معهم ، الا اذا افتقرت الشركة الى كوكب يتعذر عليه تقمص صفات الشخصية المطلوب القيام بدورها ، ففى هذه الحالة تضطر الشركة الى الاتفاق مع ممثل خارجي يعمل فى جهة أخرى . وقد اتفقت شركة «متروجولدوين ماير» مع الممثل المعروف « بول هنريد » على القيام بدور « روبرت شومان» لشدة شبهه به .. ومع ذلك فان مخرجيها لم يجعلوا «هنريد» يتقمص هذه الشخصية التاريخية بدرجة تخفى معها شخصيته

*

ولكن المخرج يسعى الى ابراز الشخصية التاريخية واخفاء شخصية الممثل ، حين يقوم بهذه الادوار ممثلون مجهولون لم يظفروا بالشهرة ولم يعرفهم النظارة . ومنذ عدة أعوام توفقت شركة « مونوجرام » الى اختيار الممثل السويدى « فرانك سندستروم » — وهو ممثل لم يكن قد سبق له الاشتغال بالسينما — ليلعب دور « بيتر تشيكوفسكى » فى رواية كانت تدور حول حياة هذا الموسيقار العبقرى ، أطلق عليها اسم « أنشودة القلب » .. وعلى الرغم من نجاح الفيلم ، فان النقاد عدوا ذلك مغامرة كبيرة من الشركة ، اذ من النادر أن تنجح الشخصيات الجديدة فى هذه الادوار الهامة

ان رغبات الجماهير — الذين تجنى منهم الشركات السينمائية أرباحها — هى كل شىء بالنسبة للمسئولين فى هوليود . لذلك يوجه المخرجون كل اهتمامهم لتحقيقها ومسايرتها .. بالتفنن فى أساليب العرض وباشراك الكواكب اللامعة المعروفة فى معظم الافلام ، ولو لم تكن أنسب الشخصيات للقيام بالادوار التى تسند اليها

[مراسلنا الخاص فى هوليود]

الحوادق واللحوم الحمراء

بقلم الدكتور كامل يعقوب
إخصائى الأمراض الباطنية بالقاهرة

يكون المريض فى بعض الأحيان غير محتاج الى شىء من القيود الغذائية ، أو يكون مرضه انحرافا طارئا أو وعكة خفيفة .. ولكنه برغم ذلك يطلب من طبيبه فى رجاء والحاح ، بيانا مكتوبا بما يتعاطاه وما يتحاشاه من الوان الطعام .. حتى ذاعت أخيرا بين الناس تلك البيانات الغذائية الغريبة التى تدور فى الغالب حول اباحة الخضر المسلوقة وصدور الكتاكيت وأكتاف الأرانب ، وتحريم « الحوادق » والسلطات واللحوم الحمراء .. وقد يتخذ المريض هذا البيان المقتضب دستورا لغذائه ، وينفذه بدقة صارمة .. فاذا تاقت نفسه لقطعة من مالح أو شريحة من لحم ، بالغ فى مقاومة هذه الرغبة ظنا منه أنها شهوة آثمة من شهوات الجسد ، ووسوسة مضللة من فعل الشيطان . فى حين ان هذا الشيطان الموسوس انما هو شيطان صالح ، وان اشتهاء النفس للأغذية المملحة بعد طول تحريمها ، انما هو صوت الطبيعة ونداء الجسم المحروم من الملح

ان الانسان يحتاج الى الاملاح المعدنية بصفة عامة لأنها تدخل فى بناء جسمه ، وتركيب أنسجته وخلاياه ، وتعمل على تجديد ما يتلف أو يشيخ من هذه الخلايا .. فللعظام أملاح الجير ، ولكريات الدم الحمراء أملاح الحديد ، وللشعر والاظافر أملاح السيليكا ، وللأسنان أملاح الفلور ، وللاعصاب أملاح الفوسفور . ويستمد الانسان حاجته من هذه الاملاح من أصناف الاغذية المختلفة ، وخصوصا الخضر والفاكهة . أما ملح الطعام فالجسم يحتاج اليه بصفة خاصة ، لأنه يدخل فى تركيب مصل الدم ، وهو ذلك السائل الحيوى الذى يحمل الغذاء الى جميع الانسجة والخلايا . والواقع ان جميع الحيوانات ، وخصوصا آكلة العشب ، تشترك مع الانسان فى حاجتها الى هذا الملح . فاذا انت دخلت حظيرة من حظائر المواشى ورأيت بقرة تلعق الحائط بلسانها ، فلا تظنن ذلك من لهو الحيوان أو عبث البهائم ، وانما هى الغريزة السليمة التى تدفع البقرة الى البحث عن

الملح بين مواد البناء . واذا وقع نظرك على حصان وهو يلعق ظهر زميله ، فلا تحسبن ذلك مظهرا من مظاهر التدله والمغازلة بين الجياد . وانما سبب ذلك ان الحصان يعرق كثيرا ، وخصوصا في فصل الصيف ، فيخرج الملح من جسمه مع العرق ، حتى اذا جف عرقه ظهرت رواسب الملح على ظهره فيلعقها زميله بلسانه .. واذا انت بعد ذلك دخلت بيتا من بيوت الناس ، وسمعت ربة الدار تشكو من ان الملح يخرج من جسمها مع العرق فيلوث ثيابها السوداء ببقع بيضاء، وانها لذلك قد اقلعت عن وضع الملح في طعامها، اذا سمعت منها ذلك ، امكنك ان تحكم، وانت صادق في حكمك، بأن تصرف الحيوان بغريزته قد يكون خيرا من تصرف الانسان بعقله ، وان تتنبأ لتلك السيدة بانها سوف تشكو بعد ذلك من الم في الاطراف وتقلص في العضلات ، نتيجة نقصان الملح في جسمها

❋

وكذلك الاسماك لا تستغنى عن وجود الملح في دمائها . وحتى الانواع الصغيرة البدائية ، التي ليست لها دورة دموية ، ينفذ ماء البحر في اجسامها الهلامية ويحمل الاملاح الى خلاياها . وهي لذلك لا تستقيم لها الحياة اذا هي اخرجت من الماء الملح ووضعت في الماء العذب . وقد استفدنا نحن من هذه الظاهرة فأصبحنا نحقن الاطفال بماء البحر او بمحلول الملح ، اذا هم اصيبوا بالاسهال الحاد ، وخرج الملح من اجسامهم مع افرازات الامعاء . وقد استعمل الاطباء حقن المحلول الملحي بنجاح كبير في انقاذ الالوف من مرضى الكوليرا في الاشهر الماضية

والناس في المناطق الحارة اشد احتياجا الى الملح منهم في المناطق الباردة . ولذلك تجد الزنجي في اواسط وفي غرب افريقيا ، قد يبيع زوجته واولاده في سبيل الحصول على الملح . وترى الاطفال في تلك البقاع يرشفون قطع الملح في افواههم ، كما لو كانت قطعا من السكر

❋

ولعلك بعد ذلك تعجب اشد العجب لتلك الحملة الظالمة التي تحملها نحن الاطباء على ملح الطعام ، وعلى كل انواع « الحوادق والسلطات » .. حتى يكاد يشيع فيك الاعتقاد بأن الطبيب منا انما يعيش على بضعة اقراص من الفيتامين وبضع قطرات من الماء المقطر . في حين اننا لا نتحرج عن اكل هذه « الحوادق والسلطات » كلما اشتهتها انفسنا . واذا انت جالست احدنا في حفلة من حفلات الشاى ، رأيته قد انصرف عن اكل الكعك والفطائر ، واخذ يبحث في اركان المائدة عن الشطائر المحشوة بالانشوقة والملفوفة بالتوابل والابازير

وقد كان من نتائج هذا التحريم الذى لا تفرضه المنفعة ولا تمليه الضرورة ، ان الناس غثت نفوسهم وعافوا الطعام واصبحوا لا يجدون له فى افواههم طعمـــا او طيب مذاق . واخـذوا بسبب ذلك يقبلون على عيـاداتنا جماعات ، جماعات ، وهم لا يشكون من اية علة مرضـية وانما يطلبون دواء فاتحا للشـهية . فاذا دخلـوا مكاتبنـا قمنـا نحن من جديد بفحصهم فحصا دقيقا شـاملاً ، وتحليـل دمائهم وابوالهم تحليـلا كاملا ، وبعد ذلك نصف لهم نفس هـذه « الحوادق والسـلطات » ولـكن بعد تفكيكها الى عناصرها الاوليـة ، وتسميتها باسمائها اللاتينية ، وكتابتها بخط ملتـو ردىء فى « روشتات » ، تحت اسم سترات وكربونات وكلورات!

*

وتسالنى بعد ذلك عن السبب فى تحريم اللحوم الحمراء دون الفصيلة الدجاجية ، فلا أجد لك جوابا يرضاه عقلك وتطمئن اليه نفسك . خصوصا وانت تعلم ان من الناس من اذا راى على المائدة كتكوتا أو ارنبا مسلوقا ، جزعت نفسه واصابه التهوع والغثيان ، فى حين انه اذا راى امامه شريحة من لحم الضـــان تحلب فمــه وتحركت شهيته . والعجيب فى الامر ان اللحم الاحمر لا يختلف عن الابيض اختلافا كبيرا ، سواء فى قيمته الغذائية او فيما يحويه من مواد زلالية او دهنية

فلحم الضـان يبلغ متوسط نسبة الزلال فيه نحو ٢٠٪ وكذلك فى الدجاج ، ولحم الضأن يختلف ما فيه من دهن باختلاف الشاة . . ولـكن نسبة هـذا الدهن ـ فى متوسـطها ـ لا تختلف اختلافا كبيرا عن نسبته فى الدجاج

واذا انت علمت ذلك ، أدركت مبلغ تعسفنا فى تحريم لحم الحيوان دون لحم الدجاج ، ووقفت على السبب فى تلك الخصومة القائمة بيننا وبين طائفة من خيار الناس ، وهى طائفة القصابين ، الذين لما راونا نناصـبهم العداء ، راحوا أيضـا يثيرون الدعاية السيئة ضدنا ويشكون زبائنهم العديدين فى قيمة علاجنا وفائدة طبنا !

*

وانى أصـارحك القول بأن موضوع التغذية لا يزال مفتقرا الى كثير من البحث والدرس والتمحيص . واننا كثيرا ما نبيح اليوم ما نحرمه بالامس ، أو يبيح احدنا ما يحرمه الآخر . لذلك فليس من حقنا نحن الاطباء أن نزن للنـاس ما ياكلون بالدرهم والمثقال ، ونكيل لهم ما يشربون بالجرعة والقطرة . وانما يكفينا أن نرسـم لهم الخطوط الرئيسية للغذاء ، وذلك فيما عدا القليـل النـادر من الامراض ، ثم نترك التفاصـيل بعد ذلك لطبائع الاجسام وهى أصدق منا نظرا واكثر حنكة

كامل يعقوب

من ذكريات الماضى

طالب مضياف

بقلم محمد توفيق دياب بك

كان ذلك فى عهد الشباب .. وكنت اقيم فى مدينة لندن بين اسرة طيبة العشرة ، تنزل الطلاب المصريين من عنايتها وحسن رعايتها منزلة مشكورة . وربة البيت سيدة عطوف ، عوضتنا كثيرا من حنو الامهات على الابناء

وكانت نفقاتنا فى بلاد الغرب لذلك العهد يسيرة هينة . كان الطالب الذى يتناول من اهله او من الحكومة عشرين جنيها او نحوها فى كل شهر — قادرا على ان يعيش عيشة هانئة بين آل بيت محترم : طعام جيد موفور . فطور منوع غنى شهى . فكيف يكون الغداء والعشاء ! ولا تنس وجبة الشاى ، فقد كانت فى الزمن الغابر شيئا يذكر . واذا قضيت امسيتك فى الترفيه عن نفسك بشهود رواية او ملهاة ، كان فى إنتظار عودتك عشاء ثان خفيف يشبه السحور — فى غير صيام — هذا الى اسباب اخرى من الهناءة والرغد ، تبدو فى وثارة فراشك ، ونظافة حجرتك ، ودقة النظام الذى يسود الحياة المنزلية — دقة .. مزاجها الرقة والتعاطف والايناس

واربعون شلنا فى الاسبوع — او تزيد قليلا أو تنقص قليلا — كانت جزاء ذلك المتاع كله .. واذن يبقى فى جيبك نصف مرتبك أو أكثر : تصرفه الى ما تشاء من وجوه الجد أو اللعب او ما بينهما . واذن تستطيع أن تدعو آنسة رشيقة من بنات الاسرة الى عشاء فاخر فى مطعم فخم ، ثم تصحبها الى احدى دور التمثيل او ما اليها ، اتماما للتحية والسهرة الشهية . وانت لا تحظى بهذه الصحبة حتى تكون بها جديرا وعليها أمينا — أعنى حتى تكون موضع ثقة ، تؤمن معها جمحات الهوى فى نومة الوجدان

*

لكن ضيفتى فى المساء الذى أعنيه بالاقصوصة الآتية ، لم تكن آنسة فى مثل سنى ، فاغفل فى رفقتها التقيد بملابس السهرة مثلا ، تخففا من بعض التقاليد . بل كانت سيدة فى عقدها الرابع .. زوجها من كبار الموظفين فى حكومة الهند . وهى ذات حسن لم تذو نضارته ، وذات دل ظريف نظيف محبب فى مثلها من النساء

اقدمت على دعوتها الى العشاء فى مطعم فراسكاتى ثم الى دار التمثيل المعروفة بمسرح صاحب الجلالة ـ لانها اخت السيدة ربة الدار . عادت الى انجلترا لتقضى فيها شهرين أوثلاثة ، بعد غيبتها فى الهند بضع سنين . ولم يعد زوجها معها لاعمال هناك تمنعه . فأحسست ان حفاوتى بها تعبير عن شكرى لاختها على حفاوتها بنا

وأقول «اقدمت» على دعوتها. لان الامر كان يحتاج الى اقدام. فقد كانت ثروتى ثروة طالب مهما يقتصد . . فجنيهات معدودة. وهى سيدة تبدو عليها نعمة عريضة . فهل ابلغ باكرامها المبلغ اللائق بذوات الثراء !

على انى اقدمت . . وقبلت السيدة الجليلة الجميلة دعوتى مترفقة باسمة . وبسمتها تقول لى : « برافو » أيها الفتى الشجاع « برافو » ـ سواء أكان كرمك تحية لاختى ام تحية لجمالى . . ولعلها كانت تفضل الباعث الاخير. ومن يدرى أى الباعثين كان اقوى !

✻

وحشرت نفسى فى ملابس السهرة. وتفضلت ضيفتى فتقدمتنى الى السيارة ـ سيارة ماجورة بالطبع ـ فلما بلغت بنا محل « فراسكاتى » سبقت انا الى النزول ، وتلقيت بيدى يدها الناعمة المختمة بالماس ، عونا لها وتلطفا بها ، كما يفعل غيرى من «السادة» مع غيرها من السيدات، بلا زيادة ولا نقصان

وهدينا الى مائدة أعدت لزائرين اثنين ـ اياها واياى ـ فى احدى شرفات الطعام التى تحيط بأعلى المكان ، وتطل على مئات الرواد الشاربين السامرين تحت اعيننا فى البهو العظيم

ويتقدم الينا الندل بقائمة الالوان من مآكل ومشرب . فيبدو لى أن صاحبتى تختار أرخصها لا اغلاها وامتعها . فيأخذنى « مركب العظمة » الموروث عن كرم العرب، كما يأخذنى « مركب النقص » الموروث عن فقر التلاميذ، ويعتلج فى نفسى هذان المركبان النفسيان اشد اعتلاج ـ فيأبيان على السيدة الا ان تأكل وتشرب ما غلا وحلا وطاب . وأنا من جيبى على ثقة. أفلم أجعل فيه رأس مالى كله مدى شهرى كله ، غلوا فى الحيطة، وتأهبا للسخاء !

وتلحظ ضيفتى ان طلبها للرخيص يجرح كبريائى. فتقبل على الغالى حرصا على ارضائى . «وأصنع صنيعها» ، والا حسبتنى مضيفا معسرا يبخل على نفسه ليسخو على ضيفه

وما أسعدنى كنت فى تلك الساعة ، وماكان اسعد صاحبتى !

وازف موعد المسرحية فى دار التمثيل . فأومات الى الندل فجاءنى بورقة الحساب . فنظرت فيها نظرة استخفاف عابرة. كمن يستصغر الرقم المكتوب فيها وان كبر ! وذلك شأن الجواد المضياف

واضع يدى فى جيبى التمس حافظة نقودى

وتخرج يدى خالية !
وأشعر كأن اغماءة تغيب بى عن الوجود
وأخشى أن تلحظ السيدة موجة الكرب التى غمرتنى بغتة ! لكنى أسارع فانادى رجولتى أن تسعفنى ، فتسعفنى فى مثل لمح البصر
واستأذنت الضيفة الجليلة الجميلة فى أن اتركها دقيقة
وتحسبنى سأقضى حاجة ما
وأقصد من فورى الى مدير الجناح الذى نحن فيه . ولعله كان المدير العام . فقد كان سيدا حصيفا ذا وجاهة ووقار. ويدور بينى وبينه الحوار الوجيز الآتى :
ـ نسيت حافظة نقودى فى جيب بذلة أخرى ، حين ارتديت بذلة السهرة .. فهل تأتمننى على الحساب ليلتنا ، وأعدك بدفعه من غدى ؟
ـ على الرحب والسعة . وحسبنا أن تترك لنا بطاقتك
ـ شكرا أجزل الشكر . وهل اطمع فى جميل آخر ، هو أن تدفع الادارة الى ندل مائدتنا كذا شلنا، ثم تضيفه الى الحساب !
ـ حبا وكرامة

*

ذلك نصف الأزمة الخانقة صادفه الحل
ولكن السيارة المأجورة مازالت تنتظرنا بالباب ، ولم ندفع لها أجرا
ومكاننا فى دار التمثيل محجوز.
ولم ندفع ثمن التذكرتين بعد !
يا رب ! أهكذا تخزينى فى ضيفى !
فيلفتنى ربى الى البهو المائج بالشاربين السامرين تحت عينى.
ويا للفرج ! ويا للفرح ! ويا لرعاية الله
هذا صديقى الحميم . هذا صديقى الذى لا تحلو له الاقامة فى لندن الا حيث أقيم . هذا ابراهيم ناصف الوردانى. ها هوذا قد لمحنى وانا شارد اللب فى ذهول . فيبادرنى صاعدا الى ، وابادره نازلا اليه . ونلتقى على احدى درجات السلم ...
ـ اتحمل نقودا ؟
ـ قبضت اليوم من البنك ستين جنيها ، فهل تكفى ؟
ـ بل تكفى عشرة !
وبسط حافظته بما تحوى . فلقفت منها العشرة.. وكأنما لقفت روحا كاد يزهقها القنوط

*

رحم الله تلك الايام ! وغفر لابراهيم ما فعل ! فقد عاش بيننا طيلة أيامه فتى وديعا وأخا وفيا ، ما علمنا عليه قط من سوء ، ولا حسبناه يرفع يده بالأذى الى انسان !

محمد توفيق دياب

في محكمة الهلال

دفاع عن المتزوجات

بقلم السيدة أمينة السعيد

يا حضرات المستشارين ..

جاء الشيوخ والشباب يعرضون أمامكم قضاياهم، ويسردون على مسامعكم أدلتهم وقرائنهم، فاتسعت صدوركم لأقوالهم بما فيها من دقة أو مبالغة. فرأيت الاسراع بالمثول بين أيديكم قبل انفضاض هذه «الدورة» العادلة، لأعرض قضية المتزوجات في مصر، وأدافع عن هذه الفئة التي طال ظلم الرجال لها، وآن أوان انصافها!

ويتبدى هذا الظلم فيما تلقاه المتزوجة من نقد اجماعي لاذع، يكاد يخفي لقسوته عديد فضائلها. ولست أزعم بذلك زيف التهم الموجهة الى المتزوجات، فهي حقائق لاشك فيها، ولكن لهذه الحقائق دواعي ومبررات تستدعي نقض حكم الرجال عليهن!

*

يقول الرجال ان الزوجة المصرية تختلف عن أختها الاوربية من حيث المساهمة في خدمة البيت، فهي تتطلب خدما يقومون عنها بالطهي والتنظيف وغيرهما من الاعمال التي تراها الغربية واجبا يتحتم عليها القيام به. ثم انها — وقد ألقت عن كتفيها هذا العبء — لا تستغل أوقات فراغها فيما يعود عليها بفائدة جسمانية وذهنية، تكسبها رشاقة ونضارة، وتزيدها ثقافة واطلاعا .. بل تعمد الى الخمول والكسل بما يضر بها، أولا كامرأة عليها أن ترعى أنوثتها، وثانيا كمواطنة بيدها رفعة بلادها وانحطاطها!

هكذا يقول الرجال، ياحضرات المستشارين، وقد نسوا ان البون شاسع بيننا وبين أوربا بما لا يحتمل موازنة أو تشبيها .. فالمناخ هناك يساعد المرأة على الاحتفاظ بنظافة بيتها بأقل جهد ممكن. فضلا عن تقدم المجتمع نحو استعمال الآلة، ففي كل بيت صغير أو كبير آلة لغسل الصحون، وأخرى لكنس البيت، وثالثة لغسل الثياب، ورابعة لخرط الخضروات .. الى آخره، مما يمكن ربة البيت من القيام بكل أعمالها في ساعة أو بعض ساعة.

هذا الى جانب مساهمة الرجل فى الخدمة المنزلية.. بالحرص على النظافة ، ان لم يكن بغسل صحنه وترتيب سريره !

أما نحن ، معشر المتزوجات المصريات ، فاننا نعيش فى بلد زراعى تكتنفه الحقول والصحارى، ويتشبع هواؤه بالتربة ورمال تهبط علينا مع كل نسمة نستنشقها !

وسلاحنا الوحيد فى محاربة القذارة مكنسة بدائية أغلب الظن اننا ورثناها عن الفراعنة ، وآلتنا فى الغسل يد بضة تخرج من « الطست » متسلخة ملتهبة من كثرة الفرك . اما هدية الطهى لنا فرائحة قوية تفوح من اجسامنا وملابسنا اثر تقشير البصل وخرط الثوم . فلو اردنا وفاء الاسرة حقها من العمل ، لما بقى لنا وقت لمسامرة زوج او تناول طعام او رعاية انوثة !!

أما كسل الزوجة ، فمظهر للكسل الاجتماعى العام ، بل هو انعكاس لصورة ما يفعله رجلها ، اذ يمضى ساعات العمل متثائبا فى مكتبه الحكومى ، ويقضى المساء فى المقاهى بدل القراءة وتثقيف ذهنه بالاطلاع !

حاربوا الكسل والجهل فى الرجال أولا، ثم انتقدوا بعد ذلك المتزوجات !!

*

وتتلخص التهمة الثانية فى ان المرأة تفقد لذة الدنيا بعد الزواج، فتهمل فى الاحتفاظ بجمالها ورشاقتها وحيويتها بما يدعو الى الاسف . وهذه حقيقة أخرى لا تقبل الانكار، ولكن لا يصح للرجال لومنا عليها ، فقد علمنا آباؤنا وأمهاتنا ان الزواج غاية المرأة ، لا وسيلتها الى النفع والانتفاع. وارضعونا منذ الطفولة لبان الجهاد فى سبيل الحصول على الرجل ، ثم الاستكانة والرضا بهذا القسط القليل من الحياة . وقد أكد لنا المجتمع صدق هذه التعاليم بما يبديه من أسف وحسرة على من تنكبت سبل الزواج ، كأن الزواج تاج المرأة وزينتها الاجتماعية الوحيدة !!!

كيف والله تنتظرون ـ ياحضرات المستشارين ـ ان تذكى المتزوجة نيران الحيوية فيها ، والجو كله يهمس فى اذنها بجمل مترادفة متكررة : « ماذا تبتغين وقد تزوجت ؟ ! ، لماذا تتجملين وقد تزوجت؟ ! كيف تعملين وقد تزوجت ؟ ! »

ان اردتم اللوم ، فاليكم المجتمع بما فيه من آباء وامهات !!

*

اما التهمة الثالثة ، فهى ابتزاز الزوجة مال رجلها ، بدفعه الى انفاق دخله باكمله دون اعتبار للمستقبل، وهذه فى الواقع روح مخجلة لو لم اكن ابتغى الصراحة لانكرتها !!

ولكن لهذه الروح أيضا ما يبررها ، فالقوانين الشرعية القائمة لا تكفل ضمانا او تأمينا لحاضر الزوجة او مستقبلها ، فهى

دائما معرضة لأخطار كثيرة ، منها تعدد الزوجات والطلاق دون سبب أو مبرر . وقد تقضي المرأة مع رجلها عشرين عاما ، ثم يطردها من بيته ، ومكافأتها القانونية على عشرتها الطويلة « نفقة » ضئيلة لمدة عام واحد ، ولها بعد ذلك ان تموت جوعا فى الطرقات !

ولو كانت هذه الزوجة خادما لأخذت بحكم قوانين النقابة شهرا عن كل عام من خدمتها . ولو كانت «ساعيا» حكوميا لشملها نظام الانصاف والمعاش ، ولكن الزوجة فى هذا البلد المسكين لا تستمتع حتى بحقوق الخدم وصغار الموظفين ، ولذلك فحياتها مع رجلها على كف عفريت ، كما يقول المثل العامي ، وهي والله مهانة قد يأباها الحيوان !

يا حضرات المستشارين : ان المرأة فى ابتزازها مال زوجها ، وعدم حرصها على مستقبله ، انما تفعل ذلك بدافع رغبة باطنة اما فى اقتصاد شيء الزمن ، واما فى افلاس زوجها حتى لا يدخر ما يكفي لدفع مؤخر صداقها اذا فكر فى طلاقها !!

*

وآخر ما يأخذه الرجال على المتزوجات تدخلهن فيما لا يعنيهن من شؤون السياسة والمجتمع ، وعدم التزامهن حدودهن من حيث التأثير على أزواجهن زعماء ووزراء ، مما يؤدي الى كوارث وطنية كثيرة !

وهنا ايضا استطيع رد هذه التهمة بشرح اسبابها ودوافعها : نحن نعلم أن المرأة على ضعفها المعروف ، قوية الروح ، وهذه القوة التى تكمن فيها ، تتطلب منفذا شرعيا تفرغ فيه شحنتها !

ولكن القوانين الاجتماعية المتزمتة تحرم على المرأة هذا الطريق الشرعي ، وتحول بينها وبين التمثيل النيابي والعمل الوزاري والحق المهني . فطبيعي أن تبحث القوة عن طريق جانبي اذا سدت فى وجهها سبل السير المستقيم . وما دامت صاحبتها غير مسؤولة أمام المجتمع ، فهي فى حل من تحمل نتائج سلوكها !

لوانكم ـ ياحضرات المستشارين ـ حكمتم بفتح الباب على مصراعيه للمرأة ، ومنحتموها الحقوق الطبيعية لكل مواطن محترم ، لتحملت المتزوجة مسؤولية أعمالها وتصرفاتها ، ولفكرت مرات ومرات قبل الاقدام خطوة واحدة ، وبذلك يتفادى مجتمعكم الموقر اخطار التيارات الخفية !!

وعلى كل حال لماذا يلومنا الناس على ضعف الرجال وانقيادهم لنا ؟!!

*

يا محكمة الراي العام

هذه قضية المتزوجات ، وقد سبق صدور حكم جائر فيها ، فارجو التخفيف لتوافر الاسباب والمبررات ، وبذلك تحققين العدالة المرجوة منك !!

أمينة السعيد

أزهار .. وأشواك

في انجلترا مدرسه فريدة في نوعها .. تعد الشبان والشابات للخدمة في القصور. وقد انشئت هذه المدرسة منذ قرن مضى ، وتعد الطلبة والطالبات لمختلف أنواع الخدمة التي يتطلبها الملوك والامراء

مرت حقبة من الزمن ، كان الايمان فيها بالخلود بين بعض القبائل البدائية من القوة ، بحيث ان الواحدمنهم كان يقرض صديقه مبالغ من المال على أن يعيدها اليه المدين في العالم الآخر !

يحدث في بعض رحلات الطيران ان تنقض طيور كبيرة - وبخاصة من فصيلة النسور - على الطائرات أثناء طيرانها فتعطل محركاتها . وقد حدث اخيرا أن نسرين في سماء مدينة « الله أباد » بالهند انقضا على طائرة كانت تطير في مستوى منخفض، فهجم احدهما على المحرك مباشرة فعطله ، وهوى الثاني من علو شاهق على جناح الطائرة فأحدث به ثقبا كبيرا

من الوثائق المهمة التي تكشف بجلاء عن سياسة اسماعيل في السودان ، خطاب وجهه الى موسى باشا حمدي حكمدار السودان حينذاك ، جاء فيه : « وخلاصة القول ان هذا القطر الجسيم (السودان) الحق بالمملكة من قديم العهد واصبح حقا مكتسبا لها . فالواجب يقضي بالا يضيع شبر من حدوده المعينة . وبما أن تعمير الاقليم المذكور واصلاحه وتوسيع نطاق تجارته من أقصى آمالي وافكاري، فيلزم أن تعاملوا سكانه وقاطنيه بالعدل ، وأن تبذلوا أقصى جهودكم في زيادة عمرانه وتوسيع نطاق تجارته وايصاله الى غاية الكمال»

يبلغ عدد حدائق الحيوان المنظمة التي تحتوى أكثر من ١٠٠ الف حيوان في جميع انحاء العالم ، ١١٥ حديقة .. في افريقيا ٤ ، وآسيا ٧ ، واستراليا ٥ ، وأوربا ٤٨ ، وامريكا الجنوبية ٦ ، وأمريكا الشمالية ٤٥

في نوع من أنواع السلاحف التي تعيش في شمال القارة الامريكية .. تختلف لون العيون فيه بالنسبة للجنس .. فعيون الذكر حمراء وعيون الانثى صفراء

زاد الاقبال أخيرا في انجلترا

على جلسات تحضير الارواح زيادة كبيرة ، حتى أصبحت الأماكن فى الجلسات العامة تحجز مقدما . وبعض قاعات تحضير الارواح تزود بمكبرات للصوت ، حتى يتمكن الرواد العديدون من سماع أصوات الموتى بوضوح . وقد غدا الايمان فى صحة هذه الاصوات شديدا ، حتى ان امرأة سمعت صوت ابنها الجندى الذى قيل لها عنه خطأ أنه استشهد فى ميدان القتال ، سمعته من عالم الموتى . فلما انبأتها السلطات المختصة بان ابنها لا يزال على قيد الحياة ، وانه مقيم بالمستشفى ابت ان تصدق هذه السلطات وتكذب محضرى الارواح !

أجرى أخيرا استفتاء فى بعض البلدان الغربية عن «الكرامة» التى تضفيها المهن المختلفة على أصحابها ، فكانت مهنة الطب فى طليعة المهن ، تليها ادارة البنوك ، ثم المحاماة . وقد أجرى استفتاء مشابه فى سنة ١٩٢٥ ، فكانت ادارة البنوك هى المهنة الاولى ، يليها الطب ثم المحاماة

فى مقر هيئة الامم بليك سكسس الآن جهاز جديد لاطفاء الحرائق ، يدار عند ظهور أول بادرة للحريق ، فتغلق الابواب والنوافذ من تلقاء نفسها ، وتملأ الغرفة التى شبت فيها النيران بغاز يخمدها ، ولا يؤثر على الورق .. وذلك امعانا فى الحرص على الاوراق والوثائق الدولية

ثبت ان الرسم الكاريكاتورى فن .. تعجز المرأة فيه عن مجاراة الرجل .. اذ ينشر فى الجرائد والمجلات الامريكية التى تصدر فى الولايات المتحدة نحو ٢٥٠ رسما كاريكاتوريا فى اليوم ، لا يرسم النساء منها سوى خمسة رسوم ، من بينها رسم او رسمان فقط ، فى المجلات المهمة

منذ مدة قصيرة ، أقيم فى اليابان فى مدينة طوكيو معرض للوشم ، يعرض فيه الرجال والنساء الرسوم الجميلة التى زينوا بها اجسامهم .. وقد منحت جوائز لاجل هذه الرسوم

تجيز الحكومة الروسية الحكم بالاعدام فى بعض الجرائم .. فى حين انها لا توقع عقوبة السجن المؤبد مطلقا

يسمح للأعمى ببعض بلاد الغرب حين يصطحب معه فى تنقلاته كلبا أو شخصا مبصرا ليقوده ، أن يدفع ثمن تذكرة واحدة عن نفسه فقط ، فى كثير من الخطوط الحديدية والاوتوبيسات على أن تكون معه بطاقة خاصة من اتحاد العميان

يغطى الآن نحو ٢٥٪ من فاكهة البرتقال والليمون والعنب التى تصدر من أمريكا الى الخارج بمحلول شمعى شفاف ، يحول دون تطرق الفساد اليها ويقلل من

تبخر ميــاهها وبحفظها طازجة اطول مدة ممكنة

في احصـــــاء اخير وجد ان الحوادث بين عمال المصانع ، تؤدى الى عاهات وجراح في اجزاء الجسم المختلفة بالنسب التالية :

١٠٠٠ في اليد و ٣٤٠ في الذراع، و٣١١ في الساق و٢٧٩ في الراس، و٢٣٦ في العين و ١١٩ في القدم

ثبت ان نحو ٢٠ ٪ من الرجال و ٨ ٪ من النساء الذين يحاولون الانتحار ينجحون في محاولاتهم ، والباقون يفشلون

كانت مصر في مقدمة امم العالم التي جاهدت في سبيل القضـاء على تجارة الرقيق .. ففي عام ١٨٥٧ قام سعيد باشـا برحلة الى السودان ، اعلن فيهـا محو « النخاسة » . وبذل اسماعيل باشـا جهودا كبيرة للضرب على أيدى تجار الرقيق .. وقد جاء في رسالة له بتاريخ ٢٠ اغسطس سنة ١٨٧٤ الى حكمدار مديرية خط الاستواء : « حان الوقت ليفهم الجميع ان الفرق في اللون لا يحول الانسان الى سـلعة ، وان الحياة والحرية مقدستان ! »

وجد علماء الحيوان أن ريش النعام ، اكثر أنواع ريش الحيوانات حساسية اثناء النمو . فان اى تغيير في غذاء الحيوان او في ظروفه المعيشية ، قد يضعف نمو الريش من ناحيــة الطول او الغزارة . وتبلغ اقصى سرعة لنمو ريشه نحو ربع بوصة في كل ٢٤ ساعة

بالرغم من ان الانجليز من اكثر الشعوب استهلاكا للوسكي .. فان معامل تقطير هذا المشروب البالغ عددها ١٣٠ معملا في المملكة المتحدة ، تقع جيمها في أسكتلندا وشمال ايرلندا

تستعمل اللغة الانجليزية اليوم في نحو ٥٠ ٪ من الجرائد اليومية التى تصدر في جيع انحاء العالم ، و ٦٠ ٪ من برامـج الراديو ، و ٧٠ ٪ من المجلات ، و ٨٠ ٪ من المراسلات

ليس في العـالم كله سـوى جامعتين يهوديتين .. واحدة في فلسطين أسست سنة ١٩٢٥ ، والاخرى في مدينـة نيـويورك منحت - في سنة ١٩٤٥ - حق اعطاء شهادات معتمدة للماجستير والدكتوراه لطلابها

دلت بعض الاحصاءات الاخيرة التى اجريت في بلاد الغرب على ان المرأة التى لم تظفر من التعليم الا بالمرحلة الابتدائيـة ، يبـلغ متوسـط عدد اطفالها ٣٣ر٤ ، والتى اتمت ثمانى سنوات في التعليم، يبلغ متوسط عدد أطفالها ٧٨ر٢ بينما المرأة التى اتمت تعليمهـا الجامعى ، يبلغ متوسـط عدد اطفالها ٢٣ر١ . ومن ذلك يتضح انه كلمـا زاد تعليـم المرأة قل انجابها للأطفال

قصة الورق

بقلم الأستاذ عز الدين فراج
المدرس بجامعة فؤاد الأول

لم يكن الورق بالصورة التي نراها الآن معروفا عند الفراعنة. ولكن نبات البردي كان يؤدي نفس الرسالة. اذ كانوا يدونون عليه أهم الوقائع والاحداث التاريخية

وكان هذا النبات ينمو في مياه راكدة ، قلما يزيد عمقها عن تسعين سنتيمترا . وكانت جذوره تمتد في الارض امتدادا افقيا . اما سيقانه فكانت تمتد الى أعلى بطول قد يصل احيانا الى اربعة امتار . ولكل ساق رأس متفرعة الى عدة فروع صغيرة خضراء متدلية

ولاستخدام عيدان هذا النبات، تشق الى شرائح توضع جنبا الى جنب ، ثم يصف عليها من أعلى طبقة اخرى من الشرائح بوضع عكسي ، ثم تلصق الطبقتان بمواد لاصقة .. وتدك وتدلك بقطعة من العاج لتصبح مستوية ناعمة الملمس

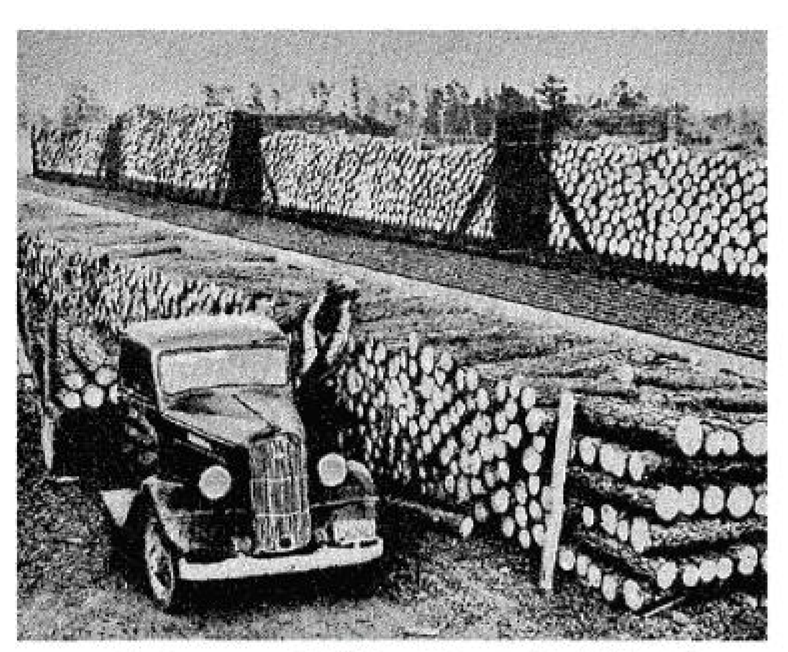
وكانت تضم صحائف البردي بعضها الى بعض وتلصق بعجينة خاصة فتتألف منها لفائف طويلة، حتى ان « بردية هيرس » بلغ طولها نحو اربعة أمتار

وكانت الكتابة على لفائف البردي على الوجه الذى تكون فيه الياف البردية افقية الوضع حتى يسهل سير القلم . وكان يثبت في نهاية اللفافة عصا رفيعة تلصق بها قطعة بردي صغيرة تحمل اسم المخطوط وبيانات عنه . وكانت لفائف البردى تطوى عادة بحيث يكون وجهها المكتوب الى الداخل

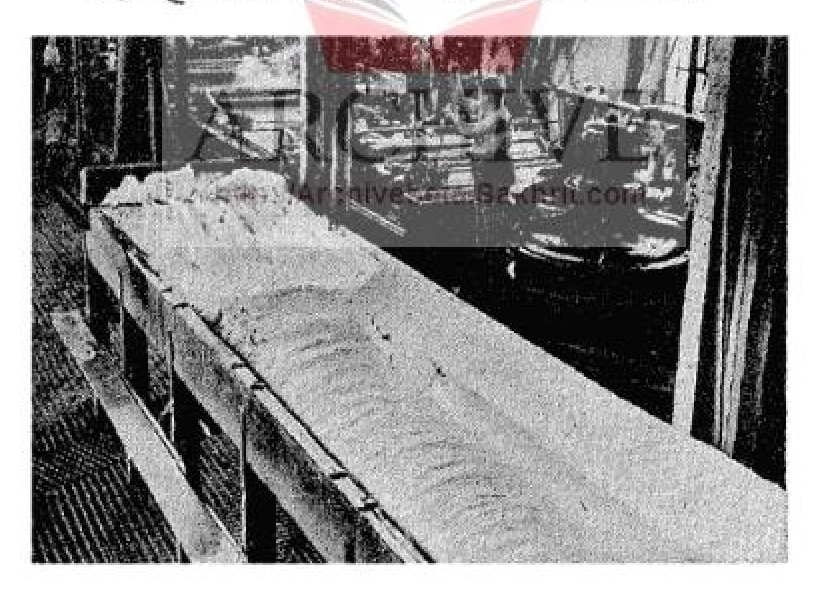
وعرف الأشوريون نبات البردي وسموه قصب مصر . كما عرفه الاغريق أيضا واستخدموه في تدوين كتاباتهم وتسجيل تراثهم الادبي والفني منذ القرن الخامس قبل الميلاد . وجاء من بعدهم الرومان فاستعملوه في الكتابة وزرعوه في نطاق واسع

وقد ظل المصريون القدماء يزرعون نبات البردي — للكتابة على لفائفه — حتى جاء القرن الثامن والتاسع بعد الميلاد .. فحل محله الورق العادي المصنوع من الخرق البالية والاعواد النباتية. وما ان جاء القرن العاشر ، حتى توقفت صناعة الورق من نبات البردى

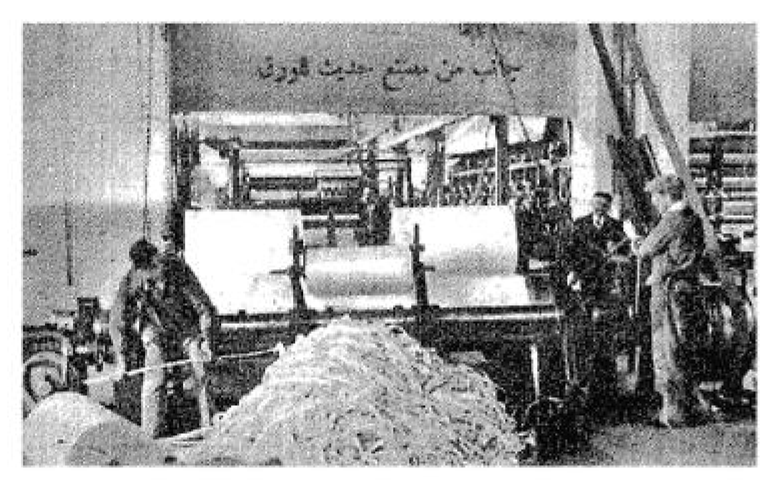
ولما بلغت فتوحات العرب



كتل الأخشاب التى تستعمل فى صناعة الورق فى بعض مصانع السويد



الاحواض التى تعد فيها العجائن الخاصة بصناعة الورق



مدينة سمرقند بالتركستان وتجاوزتها الى الصين ، فى عهد هشام بن عبد الملك ، نقلوا صناعة الورق من الصين ، واقاموا فى سمرقند اول مصنع له عام ٧٠٥ ميلادية ، وعملوا بعد ذلك على نشر هذه الصناعة فى بغداد . ومن بغداد انتقلت صناعة الورق الى دمشق ومصر . ولما دخل العرب بلاد الاندلس ، ادخلوا فيها صناعة الورق . . ومن بلاد الاندلس انتقلت هذه الصناعة الى دول أوربا وأمريكا

*

وكان الورق العادى يصنع فى بداية الامر من الخرق البالية . ولا ريب فى ان الورق المصنوع من الخرق القطنية والكتانية هو اجود انواع الورق وامتنها ، ولكن هذه الخرق لا تستطيع بكمياتها المحدودة ان تسد حاجة العالم منه . لهذا فكر رجال الصناعة فى استغلال الالياف النباتية وتحويلها الى ورق فكان لهم ما أرادوا

وما نراه اليوم من تباين فى انواع الورق من متانة ورخاوة ، راجع الى المواد المصنوع منها . فالخامات النباتية ذات الالياف الطويلة اللينة ، يصنع منها ورق متين لين ، وذات الالياف القصيرة يكون ورقها سهل التمزيق

وتنحصر عمليات صناعة الورق باختصار ، فى فصل هذه الألياف وتنقيتها قدر الطاقة ، ثم تبييضها وتعويمها فى الماء ، ونشرها على شبكات لتتصفى ، ثم ضغطها بآلات خاصة للتخلص من الماء الزائد ولتأخذ شكلها العادى . هذا مع اضافة بعض المواد الصمغية والكيميائية التى تكسب الورق نعومة ولمعانا ، كما تمنع انتشار الحبر . أما ورق الصحف اليومية فلا يصقل فى الغالب بمثل هذه المواد

عز الدين فراج

الراهبـــة !

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« خلقكم من نفس واحدة ! »

صور من حياتهن

حين رأيتها للمرة الاولى ، لم يلفتني اليها لافت خاص، ولم يثر انتباهي لها شيء بعينه . وكادت تمر من أمامي مرورا عابرا ، وتختفي في غمار الدنيا كما اختفت وتختفي الآف أخريات ، يعبرن بي ثم لايتركن من ورائهن أثرا

ونسيتها أو خلت أني فعلت

حتى رأيتها مرة ثانية، وكانت قد جاءت الى « الكلية » لتعود بنت أختها ، وهي زميلة لنا عزيزة، وفدت من أحد الاقطار الشرقية ، واستوطنت مصر من زمن ، عاملة بمدارس البنات

وكنا جالسات حول سريرها حين جاءت خالتها تعودها ، وأحسبني لم ألق بالا اليها بعد أن تبادلنا التحية التقليدية ، وقد جلست ما جلست ، تثرثر وتلغو ، وأنا بعيدة عنها وان جمعنا مجلس واحد في مكان واحد. حتى اذا انصرفت عنا سألتني المريضة فجاة :

ــ هذه خالتي، ما رأيك فيها ؟ فألفيتني أجيب على الفور :

ــ ما أراها تلائم زيها !

وكان جوابا عجيبا انكرته أذناي، فماحسبت اني فكرت في هذه الخالة أو التفت اليها ، فكيف ومتي كونت لي رأيا عنها ؟ كيف ..؟ ومتى ..؟

وعادت المريضة تسأل :

ــ فأي زي يلائمها في نظرك ؟ فاذا جوابي سريع حاضر :

ــ لو أن لي أن أختار لها الزي الذي يناسبها ، لنزعت عنها ثوب الرهبنة الفضفاض ببياضه الناصع ، وسواده الحالك ، وأخرجتها من المستشفى الالماني الذي تشتغل بالتمريض فيه ، ثم سرت بها الى ....

وامسكت لا أكمل ..

وعبثا حاولت المريضة ، وحاولت الزميلات الأخريات أن يحملنني على اتمام الجواب ، وهل كنت أستطيع أن أفعل ؟

لقد كان خاطرا قاسيا هيأ لي انها تصلح للاشراف على ممرضات مستشفى العباسية وترويضهن وانقاذ مريضات العقل من قسوتهن الجاهلة ، وسلطانهن الشرير الغشوم . على اني لم احدث بهذا الخاطر سواى ، ومضيت الى غرفتي وما تنفك صورتها تتراءى لي غريبة في ثوب الرهبنة الفضفاض ، وما زال السؤال يملأ سمعي في صمت الليل : كيف ومتى كونت رأيا في هذه « الراهبة » وما التفت اليها من قبل ولا فكرت فيها ؟

ومضت قطعة من الليل وأنا في شغل بها : اغير ملابسها ، وابدل عملها ، وانقلها من مكان الى مكان، وكأني موكلة بها ، أو كأنها شخصية مسرحية ، عهد الى في اختيار ما يناسبها من زى وما يلائمها من عمل

والفت أن أراها بعد ذلك من حين الى حين ، في الكلية أو في المستشفى ، فكنت اتأملها في وجوم ساهم ولا أكاد أملك أن أغير رأيي الاول فيها ، واختياري القديم لها

*

وزال عجبي بعد حين . . .

فما كان الناظر اليها بحاجة الى تأمل طويل ليرى أن لها ملامح صارمة ، لا ظل فيها للوداعة الجديرة بأن تشيع في وجوه الراهبات . وما كان المستمع لها بحاجة الى تنبه يقظ ليميز في صوتها نبرات حادة رفيعة ، لا اثر فيها للهدوء العذب الذي تسكبه في آذاننا تراتيل الكهان وصلوات العابدين ، وما كان القريب منها بحاجة الى تفرس دقيق ، ليلمح ما يسود حركاتها وسكناتها من قلق وانفعال . . اين منهما السلام الذي تسبغه الرهبنة على هؤلاء الذين خرجوا من الدنيا ونفضوا أيديهم من مشاغلها ومتاعبها ، ورحضوا انفسهم وأرواحهم من أشواقها وهمومها !

كلا كلا . . ما هذه براهبة ، فمن تكون ؟

سألت من يعرفونها هذا السؤال فما ردوا جوابا ، وعدت أسأل بنت أختها ما الذي جعل الخالة تنحرف من طريق الناس وتمضي الى الدير ، فما حدثتني عنها يومذاك بما يغني : « انضمت في عز شبابها – في عامها الخامس والعشرين – الى الراهبات الالمانيات بالقدس ، وتلقت على أيديهن فن التمريض حتى برعت فيه ، فأرسلت مع جماعة من زميلاتها الراهبات ، ليعملن في المستشفى الالماني بالقاهرة عاصمة وادي النيل »

سألت وقد استحال عندي أن يزهد شباب الحياة في الحياة :

– هكذا ، طائعة مختارة ؟

فكان الجواب :

– نعم نعم ، لنفسها اختارت، وبنفسها ذهبت

فبدا لي انها لا تفهم ما أعني ، وتركت السؤال والجواب، وخليت الراهبة تمضي لشأنها ، منصرفة

عنها الى ما كان يزحم حياتى من مشاغل وشواغل

*

ثم لقيت هذه « الراهبة » بعد اعوام ..

وكانت تمضى فترة نقاهة فى دار صديقة لها من صواحب الطفولة ورفيقات الصبا ، تعيش وحدها فى شيخوخة موحشة بعد أن مد الزمن يده الى قومهـا فمزق شملهم وبعثرهم ذات اليمـين وذات الشمال : طوى زوجها فى الثرى ، وغيب ابنها ثم اختها فى غيابات الظلام ، ومضى باحـدى ابنتيهـا الى الشرق الاوسـط ، وهاجر بالاخـرى الى امريكـا الجنوبية

وقد جمعتنى بها رابطة الجوار ، وقربتها منى عاطفة قوية من الرحمة بها والاشفاق عليها والاعجاب بما فى شخصيتها من قوة وصـلابة واحتمـال . ولم اكن اعلم أن « الراهبـة » اصطفتها من بين الناس جميعا ، واتخذتها فى الغربة اهـلا حتى جاءت الى هنـاك تستريح ، ولعلى احتجت الى شىء من الشجاعة وأنا أنظر الى هيكلها الشـاحب الهـزيل وأصغى الى صوتهـا الحاد الرفيع ، لـكنى ما لبثت أن ألفتها ، وتعودت أن أرقب مجيئها لزيارة جارتى كل ثلاثاء — يوم راحتها الاسبوعية — فنمضى سـاعة أو بعض سـاعة ، أستمع اليها وهى تحدثنى عن مشاغلها ومسئولياتها ، وتفضى الى بهمومها ومتاعبها ، حتى اذا اقترب موعد رجوعها الى العمل ، هرولت تعدو الى المستشفى وهى بادية القلق على من خلفت هنـاك من مرضى لا تدرى ماذا ألم بهم فى غيبتها ، وماذا أصابهم من عبث أو اهمال

واخذت تدنو منى رويدا رويدا ، فصرت اجد فى لقائها لونا من الانس ، واحس شـيئا من المتعـة وأنا ارقب « حواء » بكل عواطفهـا وأهوائها ، تضطرب وراء أسوار زيها الجامد الفضفاض ، وان خيل اليها حينا والى اكثر الناس من حولها احيانا ، انه يخفى كل ما تحته ويذهب بكل ما وراءه ..

*

ثم سمعت الفصل الاول من المأساة ...

كان ذلك فى أصيل يوم واجم من أيام الخريف ، وقد جلست أنظر اليها وهى تحدق ساهمة فى الاوراق الجافة التى تترنح على الاغصان ، ثم تهـوى على أرض الحديقة الصغيرة بالمنزل ، فى حشرجة مكتومة مختنقة . وكانت نذر الشـتاء تلوح على الافق وتبعث فينـا ضبابا خفيفا من الكآبة ، وقد اخذت صفرة الاصيل تخبو ، وراح النهار المتعب يسلم نفسـه الى مساء مقبض مرهوب

ومضت فترة طويلة يغشاها صمت كئيب ، قبل أن تؤوب الى الراهبة وتسالنى فى صوت واهن :

— هل رأيت انسانا يموت ؟

قلت فى ايجاز وأنا أتامل وجهها الشـاحب :

ـ كلا

فالقت المنظار عن عينيها ، واغمضتهما فى اعياء ، ثم راحت تقول فى بطء مرهق :

ـ اما انا فارى ذلك كل حين ! ارى كيف تنطفىء شعلة الحياة وتغشى الجسد صفرة الموت وتفوح منه رائحة البلى ! هى لحظة واحدة ، يحور فيها الانسان ـ سيد الارض ومخضع الكائنات، ومسخر العناصر والقوى، وقاهر البر والبحر والجو ـ رمة بالية نتنة ، فاذا الدنيا جميعا تنكره وتضيق به وتأباه ، وتنبذه ـ على ايدى اعزائه واحبابه ـ فى سجن سحيق تحت اطباق الثرى. ما فى الحياة يا ابنتى ابشع ولا افجع من هذا المصير !

قلت وانا اجاهد للتخلص من عدوى انقباضها واكتئابها :

ـ ما يحس الميت شيئا مما ترين يا اماه . .

فردت فى مرارة :

ـ لكنا نحسه ، ونرى فيه باعيننا مصيرنا الرهيب المحتوم . آه ليتنا كهذه الاوراق التى تتالق فى الربيع مزهوة بالحياة ريا بالشباب ، فاذا ما الم بها الخريف جفت ثم تساقطت فى احتضار هين وديع . او ليتنا كالهنود يحرقون البدن ساعة تموت الحياة فيه ، فاذا هو تراب مبدد ، ما رهقته غبرة ، ولا فاحت منه رائحة ، ولا عاث فيه دود ، ولا حتواه ظلام !

روعتنى هذه الخواطر الكابية الربداء التى تلم بالراهبة ، واحسست ما يشبه الخوف وانا اتابع تلك المشاهد المكتئبة التى مضت ترسمها امام عينى ، فقلت وانا احاول ان اخرجها من ذلك المأتم الرهيب :

ـ لو ذكرت يا اماه كم يقاسى الحى من هموم وآلام، وكم يلقى من محن وكروب، لرأيت فى الموت راحة لمن اثخنتهم جراح العيش، وعزاء لمن فقدوا فى الارض العزاء . .

فمضت تنظر الى فى تفرس صارم ، وبدا عليها انها تحاول ان تجد وراء كلماتى معنى استره او مدلولا اخفيه ، واحسبها قد وهمت انى اريد حملها على الافضاء الى بسرها الخاص ، فقلت وانا اواجه نظراتها فى ثبات :

ـ لا شىء يا أم ، سوى أن من ادواء الحياة ما يكون الموت شفاءه الوحيد . وبحسبك ان تذكرى ان فى الحياة ما هو شر من الموت ، ليهون عليك ما يهولك من شانه

فأعادت وهى تتماسك :

ـ فى الحياة ما هو شر من الموت ؟!

اجبت فى قوة :

ـ أجل يا أماه . . ما يشتهى من أجله الموت !

فامسكت دموعا ترنحت فى مقلتيها ، وقالت مسلمة :

ـ اعرف ذاك . . .

وبغتة رقت ملامحها ، وضلت نظراتها ، واسلمت وجهها الى كفيها فى تخاذل وضعف ، ثم راحت تتكلم :

« كانت فى الحادية والعشرين من عمرها حين رأته للمرة الاولى. رأته فى أغرفة المستشفى بالقسم الداخلى فى جامعة بيروت ، يضمد لها جرحا أصابتها به زلة قدم فى سباق رياضي على سفح الجبل .
وقد عرفت فيه ــ من اللحظة الاولى ــ فتاها الأوحد،واحست وهى تتأمله من وراء قناع الجد العابس الذى كان يرتديه ساعة انحنى على جرحها ، أن القدر يقف فى هذه الآونة ، ليوجه مصيرها وجهة جديدة ، ويسجل تلك اللحظة الحاسمة التى جمعتها به
من هو ، ومن قومه ؟ ماوطنه، وما ظروفه ؟ من أين جاء ، وأين يعمل ؟ أسئلة لم تكن تعرف لها جوابا ، ولا عناها حينذاك أن تعرف . شغلت عن من ، وما ، وأين ، بل شغلت عما كان الجرح يبعثه فيهما من ألم ، وأخذت ترقب الطبيب المداوي وكأنما لا ترى ولا تحس فى الدنيا سواه. فلما فرغ من عمله وحياها منصرفا، اتبعته عينيها حتى غاب ، فاستغرقت فى حلم عذب هنيء ، خايلتها فيه رؤى سماوية ، وأشرفت فيه ــ من خلال عينى الطبيب ــ على الجنة التى وعد بها السعداء . ثم آبت من حلمها بعد حين الى يقظة واعية ، شعرت فيها أن حياة جديدة لها قد بدأت فى غرفة المستشفى بالجامعة،وان يد القدر كانت وراء اليد التى ضمدت جرح ساقها
أترى تضمد هذه اليد جرحا آخر أحسته فى قلبها ؟ أم لعل حادث اليوم لم يكن سوى ثغرة نفذ منها سهم القضاء الى صميم كيانها ، عن طريق ذلك الجرح السطحى العابر ؟
لم تكن تدرى ..

*

« ورأته بعد ذاك ، وعرفت من هو ...
كان طبيبا أرمنيا شابا ، نزح الى بيروت يستكمل ثقافته الطبية ، ويقضى فترة التمرين فى مستشفياتها . وقد زهاه أول الامر ان تتعلق به فتاة مثلها ، ذات جاذبية خاصة .. بذكائها ، ونضرة شبابها ، وطموحها ، وكبريائها ، وقوة شخصيتها . وسمع من القوم حوله أنها تأبت على الخطاب وردتهم جميعا فى شموس وعناد ، طامحة الى بعيد مجهول . فلما أحبته بكل كبريائها وكل عنادها واذلت بين يديه دمعتها الاولى،أحست «رجولته» كل الرضا والغبطة ، ولذ له أن يراها الناس متعلقة بيده مشوقة هائمة ، ترنو اليه فى هوى وافتتان
ومضى عامان اثنان والخطيبان فى نشوة ذاهلة ، قد ابعدهما الهوى عن الدنيا ، ونأى بهما عن الواقع ، وحملهما على أجنحته السحرية الى قمة عالية فى أفق الاحلام

*

« ثم كان فراق ..
عاد الخطيب الى وطنه حين وجب عليه أن يعود ، فذكر ماكان

زهو الرجولة قد انساه اياه ! عاد الى قومه وعشيرته ، وأرضه ودنياه ، والى فتاة له من ذوات رحمة ، تعلق بها صبيا وربطتها اليه اواصر لا تنفصم ، من الالفة والجوار ، ومن وحدة الجنس والدم واللغة والمزاج ..

وبقيت الاخرى ، على ذرا الجبل فى وادى الاحلام وحيدة تنتظر ...

وطال عليها الأمد وهى تحدق فى الأفق الشمالى ليل نهار تلتمس عودة الحبيب الغائب، حتى أعياها التحديق واضناها السهر، فتعبت عيناها ، وكل بصرها ، وانطوت على نفسها فى ذلك المجهل البعيد، ينوشها البرد والحرمان وتفزعها أسراب البوم والغربان

ولما التمست الطريق الى دنياها الاولى ، زلت قدمها على المنحدر، والفت نفسها فى مستشفى الدير، والراهبات من حولها يحاولن أن يضمدن جرحها ، ويبرئنها من مرض الحياة !

« وهكذا بدأت قصتها بجرح وانتهت بجرح .. وكان المسرح هنا وهناك غرفة المستشفى ! »

*

وذاب صوتها المتعب فى ابتسامة هزيلة لاحت على وجهها، فخفضت بصرى ، وأنا احس يدها الجامدة النحيلة تعصر قلبى ..

*

ثم غابت عنى حينا فى طوايا الايام ..

تحاشيت جهدى أن اراها ، وان بقيت ـ على البعد ـ افتقدها واسأل عنها والتمس اخبارها .

وكانت الحرب الثانية قد اتلفت الاعصاب ، فلم تعد المآسى الفردية تظهر على المسرح امامنا، وشغلت كما شغل الناس جميعا بترقب انباء المعركة المحتدمة فى الميدان

ثم سمعت من اخبار الراهبة ما آلمنى : امتدت بعض السنة اللهب من الأتون المشتعل فى الغرب ، الى المستشفى الالمانى بالقاهرة ، فشردت من فيه ممن عملوا فى ادارته القديمة

والفت الراهبة نفسها تخرج ـ شبه مطرودة ـ من ذلك الجو الذى الفته وظنت انها سوف تقضى فيه ما بقى من عمرها. ولم تكن تدرى ماذا يراد بها ، فامضت فترة قلقة لا يطمئن بها على الارض مكان

وكأنما كانت هذه الفترة القلقة الشردة ، وقفة فاصلة ، وقفها الزمن حين بدا له ان يمضى بالراهبة الى مصيرها المقرر

ولم تطل هذه الوقفة .. كانت بضعة أيام معدودات ، لكن « الراهبة » لم تطق احتمالها

انهارت أعصابها فجأة ، وبانت عليها اعراض كانت تلوح فيما مضى لمحات خفيفة عارضة ، فلما امرت ان تذهب للعمل فى معتقل للأسرى ، ابت ان تبرح مكانها واعلنت التمرد والعصيان

وأحاط بها الراهبات مشفقات من مثل مصيرها ، يحاولن ان يعدنها الى حظيرتهن ويحملنها

على العمل لعلها تجد فيه النجاة ، لـكنها كانت قد فرغت ـ امام الطلائع المنفرة بباناخة الشيخوخة ـ من التمريض ومن الرهبنة ، كما فرغت ـ امام طلائع الشباب البعيد المضيع ـ من الدنيا والناس . . .

وفى نوبة من المرض والضجر والشك ، قامت الى المرآة تلتمس فى ذاتها صورة « الفتاة » التى عرفتها من زمن ، وترى ما فعلت الايام بسحرها ونضارتها وكبريائها، فطالعتها صورة غريبة منكرة ، لا تحمل ظلا ـ ولو باهتا ضئيلا ـ لتلك الصورة التى كانتها يوما . .

هنالك حطمت المرآة ، وانكرت ذاتها ، واعتكفت فى مخدعها تهذى بما لقيت من لؤم الدنيا وكذب العزاء ، وأبت أن تلقى احدا من اهلها او معارفها ، وكان جوابها الواحد الاليم ، لـكل من ارادوا زيارتها :

ـ كلا كلا ! تلك الفتاة التى عرفوها وجاءوا يزورونها قد ضاعت . . سرقها الزمن ، وترك مكانها مخلوقة أخرى ، غريبة كئيبة ولا يجوز أن يراها أحد !

*

ثم اقتربت الساعة :

لاح فى عينيها الخابيتين وميض مخيف ، فيه من جنون اليأس ونقمة الخيبة وقهر الحرمان ، ما القى الذعر فى قلوب اخواتها الراهبات، فتشاورن فى الامر،وقر قرارهن على أن تحملها احداهن الى « امها » فى قريتها النائية ، بلبنان

*

ورجعت الأخت مرتجفة الأوصال مهتزة الاعصاب، لتقص على اخواتها ما شهدت حين بلغت بها بعد رحلة طويلة منهكة الى بيتها الاول فى الجبل

فتحت الأم الباب ، فلم تكد ترى شبح ابنتها حتى صاحت فى لهفة وفرح ، وترنحت من فرط التأثر والانفعال وهى تمد ذراعيها لتضم فلذة كبدها . ثم اخـذت تناديها فى صوت يحرك الجماد ويذيب الصخر ، وتهتف بها ان تأوى الى صدرها، لتروى أشواق الأمومة. لكن الراهبة ظلت واقفة فى جمود قاتل ، تنقل بصرها بين الام والأخت،فى برود صامت مثير

ما الذى طاف بخاطرها فى تلك اللحظة ؟

اكانت تأسى على مافاتها وتشتهى مثل ما تجد امها من ذكريات هنيئة تؤنس وحشة العقد العاشر من عمرها ، وتبعث فيها الدفء فى شتاء الحياة ؟

اكانت تقارن بين « عنوستها » الجافة المحرومة الكئيبة،وبين هذه الأمومة التى تمضى أيامها الباقية فى سلام ، مغتبطة بذكرى ما نالت من شبع ورى ؟

اكانت تتمنى لو أتيح لها مثل الذى أتيح لأمها من هذه الشيخوخة الراضية الهادئة ؟

من يعرف ؟

واخيرا التفتت الراهبة الى «الأخت» وقالت فى صوت آمر :

ـ عودى الآن من حيث جئت، ودعينا وشأننا

فخرجت تعدو ، وكأنما تفر من مطارد

على أنها لم تكد تصل الى بيروت فى الصبح التالى حتى صك سمعها النبأ المروع ، لقد احرقت الراهبة جسدها ، تخلصا من محنة الحياة

*

سعيت الى الزميلة العزيزة ، ابنة أخت الراحلة ، فالفيتها محزونة جازعة ، فقلت اواسيها :

ـ الا يعزيك انها استراحت ؟

فأجابت وهى تغص بدموعها :

ـ لهفى عليها ، خسرت الدنيا والآخرة !

لهفى عليها ، اما وجدت ـ بعد ثلاثين عاما فى الدير والمستشفى وسيلة للخلاص اخف من النار تعذيبا وايلاما ؟ !

وصمتت وصمت . . ثم مضيت احدق فى التراب ، وقد خيل الى انى اسمع ـ من بعيد ـ صوت الراهبة يوم كانت تقول فى وهن واعياء :

« . . . او ليتنا كالهنود ، يحرقون البدن ساعة تنطفىء الحياة فيه ، فاذا هو تراب مبدد ، ما رهقته غبرة ، ولا فاحت منه رائحة ، ولا عاث فيه دود ، ولا احتواه ظلام ! »

ما احوج البشرية الى عون من رحمة الله ، وما احق الانوثة الى الكثير من هذه الرحمة ، سواء فى ذلك الام . . . والراهبة !

بنت الشاطىء

(من الأمناء)



خطرات وآراء فى

الأشباح

لماذا ينكر الناس وجود الاشباح ماداموا يقرون بوجود الارواح وخلود النفس ؟

●

يقول العلماء الذين يعتقدون بامكان استحضار الأرواح ومخاطبتها: «مادام الانسان يعتقد بأن النفس خالدة ، وبأن الروح لا تموت ، وبأن هناك حياة أخرى نحياها بعد فناء أجسادنا فى هذه الحياة الدنيا ، فلماذا ينكر الانسان اذن امكان مخاطبة الأرواح وايجاد علاقة مادية معها ، ومن ثم لماذا ينكر وجود الأشباح ، وهى فى عرفنا الصورة المرئية لتلك الأرواح ؟ »

فما هى الأشباح ؟

هى صورة تراها العين ولكنها لا تقع تحت اللمس ، أو خيال لجسم غير موجود ، أو مظهر محسوس لميت لا يمكنك ان تحصره فى مكان أو زمان . أو بعبارة أخرى ، هى شىء يخيل اليك انه مادة وهو فى الواقع ليس بالمادة ..

وقد استغل كثيرون من الكتاب والمؤلفين ـ خصوصا فى العهد القديم ـ معتقدات الناس فى وجود الاشباح ، فصوروها فى مؤلفاتهم باشكال عديدة . وروايات شكسبير ملأى بهذه الصور ، ففى معظم رواياته شبح أو عدة أشباح

وفى فجر المسيحية ، كان رؤساء الدين أنفسهم يهددون المجرمين والخاطئين بأشباح ضحاياهم ، قائلين لهم ان شبح الضحية لا يهدأ له بال الا بعد ان يتم القصاص من قاتله أو جارحه أو سارقه . وذهب بعض علماء الكنيسة « الكاثوليك » الى القول بأن الروح ، فى أثناء اقامتها المؤقتة فى « المطهر » ـ قبل انتقالها الى نعيم الجنة ـ تعود أحيانا الى الأرض وتحوم حول أهلها أو تؤنب ضمير الخاطىء لكى تحمله على سلوك السبيل القويم

أما فى عصرنا الحاضر ، فقد حصر المتكلمون عن الأشباح والأرواح أحاديثهم فى نطاق محدود . فالاشباح ـ فى عرف بعضهم ـ لا تظهر الا أثناء الليل ، وفى أماكن لا يسكنها

الناس ، وذلك بين منتصف الليل والساعة الواحدة صباحا ..

أما الأشخاص الذين ولدوا في يوم الأحد فانهم يستطيعون رؤية الأشباح في كل ساعة من ساعات الليل والنهار

●

وفي أمريكا الآن رجل يدعى روبرت كنج يسمى نفسه « بوليس سري للبحث عن الاشباح ! » ومستر كنج هذا يعرض خدماته على أصحاب البيوت « المسكونة » لكي يخرج منها العفاريت أو يضع فيها حدا لأعمال الأشباح التي تتخذها مرتعا لها . ولمكتب مستر كنج « مطارد الاشباح والعفاريت » عدد كبير من الزبائن يطلبون خدماته من جميع أنحاء العالم. وقد تحدثت عنه الصحف الامريكية والانجليزية أكثر من مرة . ومن الحوادث التي روتها تلك الصحف عنه ، الحادث الآتي ، الذي وقع في الحرب العالمية الأولى !

نزل فريق من الجنود الروس في قرية نمساوية ، وحلوا في قصر قديم مشرف على القرية ،وهناك علموا من بواب القصر ان المكان « مسكون » وان شبحا يزور احدى غرف النوم كل ليلة ، وهو شبح أمير من أصحاب هذا القصر قتل غدرا منذ بضعة أجيال . وأراد أحد الضباط الشبان ان يتحدى الشبح، فاتفق مع رفاقه على أن يدعوه وحده ليقضي الليل في تلك الغرفة ، والا يحضر اليه أحد الا اذا سمعوه يستغيث

وفي أثناء الليل ، صحا الضابط مذعورا ، واذا بعينين لامعتين تحدقان فيه وسط الظلام ، فوثب من سريره، وتناول سيفه ، وضرب أمامه ضربة قوية سقط بعدها على الأرض ، وسمعت قرقعة هائلة في الغرفة فخف رفاق الضابط اليها ، فوجدوا زميلهم مستلقيا على الأرض مغشيا عليه،وقد سقطت على صدره دروع قديمة كانت معلقة على الجدار ، وكان هو الذي أسقطها بضربة سيفه . ووجدوا أيضا قطة مختبئة في ركن من أركان الغرفة وهي التي كانت تحدق بعينيها اللامعتين فظنها الشاب شبحا يزوره في الليل !

●

ومن النوادر التي تروى عن القصور « المسكونة » ان صاحب قصر في النمسا أراد ان يبيع قصره لأنه « مسكون » ولأن شبحا مزعجا يزوره ويطوف فيه كل ليلة . وتقدم أحد أصحاب الملايين في أمريكا لشراء القصر وعرض على صاحبه ثمنا مرتفعا . وفي أثناء ذلك ، أعلن صاحب القصر ان الشبح قد غادر قصره .. واذا بصاحب الملايين الامريكي يبعث اليه برسالة يخبره فيها بعدوله عن اتمام الصفقة ، قائلا : « كنت أريد ان أشترى القصر مع الشبح الذي فيه .

أما الآن وقد رحل الشبح ، فالقصر وحده لا يهمنى ! »

وسئل مرة المخترع الأمريكى اديسون : هل يعتقد بوجود الاشباح، وبأن الأرواح يمكنها ان تتخذ اشكالا مرئية تظهر لنا بها ؟

فأجاب قائلا: انه ذهب مرة بدعوة من الممثل دوجلاس فيربانكس لمشاهدة رواية سينمائية فيها مناظر ومشاهد أخذت بين الهنود الحمر . وكان فيربانكس قد دعا لفيفا من أولئك الهنود لمشاهدة الرواية . وكانت تلك هى المرة الأولى التى يرى فيها الهنود أشرطة سينمائية تعرض . فدهشوا ، وأعجبوا ، وصفقوا . ولكن عند ما ظهرت صورتهم على الشاشة، ورأوا أنفسهم يجرون على ظهور خيولهم ، هبوا مذعورين ، ظنا منهم ان الفرسان الذين يرحون على الشاشة أمامهم هم أجدادهم عادت أرواحهم الى الأرض، وخرجوا من قاعة العرض وهم يصيحون: « الأرواح، الارواح! »

●

ويذكرنا هذا الذى رواه اديسون بحادث مماثل وقع أثناء الحرب العالمية الاولى . فقد حدث ان أرسلت القيادة الانجليزية من مصر بعض مصورى السينما الى منطقة العقبة ، حيث كان يعسكر جيش الثورة العربية بقيادة فيصل بن الحسين . فالتقط المصورون طائفة من المشاهد والمناظر ، وبعد مضى مدة من الزمن ، أرسل شريط سجلت عليه هذه المشاهد والمناظر لعرضه على فيصل ورجاله . وكان البدو أثناء العرض منتشرين حول الضباط والجنود ، وبالقرب من فيصل لفيف من عبيده . فما وقع نظر هؤلاء العبيد على الصور تتحرك أمامهم ، حتى اضطربوا ، وجعلوا ينظرون بعضهم الى بعض مذعورين . وعند ما ظهر على الشاشة منظر فريق من الجنود الترك والألمان المأسورين ، تناول العبيد مسدساتهم وراحوا يطلقونها على الصور ، معتقدين انهم فى الواقع أمام جنود يتقدمون نحوهم

●

وسئلت مرة الكاتبة الفرنسية مدام ديفان: «هل تعتقدين بوجود الاشباح؟» فأجابت ضاحكة : « لا أعتقد بوجودها ولكننى أخشاها ! »

ويخطىء من يظن ان الشرقيين يعتقدون باختلاط العفاريت بالناس، وبوجود الأشباح ، وبالبيوت «المسكونة» أكثر من سواهم من الشعوب فان الأوروبيين يسبقونهم في هذا المضمار ، ولكن الشرقيين أبعد خيالا منهم فى معتقداتهم . .

وقد يكون الانجليز من أكثر الشعوب ميلا الى تصديق كل ما يروى عن البيوت «المسكونة» وزيارة أشباح الموتى للأحياء . وعندهم فى بلادهم طائفة من القصور والبيوت القديمة

أصبحت أسماؤها مدونة فى سجل التاريخ مع أسماء الأشباح التى تسكنها أو التى تزورها من وقت الى آخر

فهناك اعتقاد بأن طيف الملك تشارلس الأول، الذى أعدمه كرومويل يزور قصر وندسور من وقت الى آخر، كما يزوره أيضا طيف الملكة اليزابيث الكبيرة . وكانت الأميرة بياتريس، عمة الملك جورج الخامس ملك الانجليز السابق ، تقول انها رأت طيف اليزابيث أكثر من مرة فى مكتبة قصر وندسور

أما قصره الذى أقام فيه هنرى اشباح الملكات اللواتى [illegible] عن هذا الملك الزواج تزور القصر وتطوف فى قاعاته وتملأها أنينا وانتحابا . هذا ما يؤكده الناس منذ عهد هنرى الثامن الى أيامنا هذه . واذا زرت هذا القصر الآن، فان أول شيء يحدثك عنه الحراس هو ظهور الأطياف فى الليل

وحكاية « الأمير الاسود » قد انتقلت من حديث العامة الى عالم التأليف ، فوضع أحدهم رواية تمثيلية عن ذلك الأمير الفارس ، الذى يجيء طيفه الى هول بالاس كلما كانت انجلترا مهددة بخطر . وقد أكد بعض الصحف خلال الحرب العالمية الأولى ، ان طيف الأمير زار القصر قبل قيام الحرب ببضعة أسابيع . وادعى بعضهم انهم رأوه قبيل اشتعال نار الحرب العالمية الأخيرة

وفى انجلترا من يؤكد ان الشبح الذى تحدث عنه شكسبير فى رواية « مكبث » ليس وليد خيال الشاعر ، بل هو حقيقة راهنة . وان ذلك الشبح الذى جعله شكسبير شبح « دنكان » وأرهق به ضمير «مكبث» هو فى الواقع شبح الايرل بوردى ، الذى أراد مرة ان يلعب فدعا ابليس الى مشاركته فى اللعب ، فحضر ابليس ولعب معه . ولكن الايرل بوردى أصبح ملعونا بعد معاشرته للشيطان، وشبحه لا يزال الى الآن ، على ما يدعى الناس ، يطوف فى أرجاء قصر جلامين باسكوتلانده . وفى قصر جلامين هذا عاشت سيدة اشتهرت فى القرن السادس عشر بأعمال السحر ، وحكم عليها بالاعدام وأعدمت حرقا

●

هذا بعض ما يروى عن الاشباح فى انجلترا . وهناك قصور أخرى ، فى انجلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وغيرها من بلدان أوربا، يعتقد الناس انها « مسكونة » ، ويذكرون أسماء الأرواح أو الأشباح التى تزورها . والفرق بين ما يعتقده الاوروبيون وما يعتقده الشرقيون ، ان هؤلاء يسمون سكان البيوت المسكونة « عفاريت » وأولئك يسمونها « أشباحا »

ج . . .

فى سن الأربعين ..

« اذا ابتسمت لك فتاة وأنت فى العشرين ، هرعت الى المرآة لترى الجمال الذى جذب الفتاة اليك .. أما اذا ابتسمت لك وأنت فوق الأربعين ، نظرت الى الخلف لترى اذا كان غيرك هو المقصود ، أو بحثت عن عيب فى ملابسك قد يكون سبب الابتسامة »

لسبب ما ، يقترب الناس من سن الاربعين بقلب واجف . والرجال والنساء على السواء يسرهم ان يبلغوا الحادية والعشرين . ويفرحوا — وعلى الاخص الرجال — ببلوغ الثلاثين ، ولا يعبأون بشىء اذا مابلغوا الثمانية والثلاثين ، وقد لا يعبأون كثيرا اذا ما اشرفوا على الثانية والاربعين .

ولكن الاربعين هذه شبح ماثل لا يفارق عيونهم لحظة واحدة ، وكأن هذه السن فى حياتهم نقطة فاصلة — ولكن ليس للخير ، او كأنها لافتة وضعت لأصحاب السيارات ، كتب عليها « ممنوع الدخول »

اما وقد جاوز كاتب هذه السطور الاربعين منذ ايام قلائل ، ووقف على الجانب الآخر من الحائط ، فان فى وسعه أن يصف ما يراه شاهد العيان . ان المرء عند بلوغه الاربعين يقف هنيهة ، وكأنه فى مفترق الطرق . وليس ذلك فحسب ، وانما يتساءل : هل فى الامكان البدء من جديد ؟ وانه لشعور لعين مزعج !

انها لا شك نقطة فاصلة ، ان يقال انك رجل متوسط العمر ، أو فى منتصف الطريق . انه انتقال سريع حقا ، ولكنه حادث هادىء خال من الجلبة . فلا يخطرن ببالك انك تستيقظ من نومك فى اليوم الاول من هذه السن ، فتجد غشاوة على عينيك ، تحتاج بعدها الى عكاز بجانبك تتوكأ عليه .. انه شعور غريب ، ولكن الفرق بين سن التاسعة والثلاثين وبينه ، لا يكاد يذكر . هو فرق لا يتعدى كونه انفعالا وجدانيا ، كذلك الذى يحس به جواد السبق الاصيل ، عند ما يشد كتفه الى عربة صاحبه لأول مرة ، بعد احالته الى الاستيداع

فى الاربعين يمكنك أن تنظر الى الوراء ، وتعجب كيف وصلت اليها . ولكن ما العمل وقد وصلت على كل حال ، وما فى وسعك ان تفعل شيئا سوى استئناف المسير ؟

وتبدو اعراض الاربعين فى صور شتى ، ولعل فى مقدمتها اللهجة

التى يخاطبك بها الطبيب ، ورنة صوته بعد « الكشف » عليك . فهو شديد العناية بك ، كثير الاهتمام ، وانت فى الثلاثين والسنوات القليلة التى تليها . فتسمعه يقول لك حين يحدثك: « رجل مثلك فى الخامسة والثلاثين ينبغى أن يكون أقوى من هذا » . أما اذا قلت له انك تخطيت الحدود الى الجانب الآخر من حائط الحياة ، تغيرت لهجته، وأخذ يحدثك بلغة الميكانيكى الذى يحاول أن يطمئن صاحب السيارة على سلامة «الموتور» ، برغم انها من «موديل» سنة ١٩٢٠ . ولسان حاله ، برغم أدبه الجم وما يخفى من شعور ، يقول : ان كل ما فى وسع الطب عمله فى هذه السن، المحافظة على البقية الباقية ، وانقاذ ما يمكن انقاذه

*

سن الاربعين مستهل مرحلة من العمر تقيك شر الناشئات من الجنس الآخر . وهي مصل فعال يكسبك مناعة قوية ، ضد كثير من المتاعب والمساوىء والمشكلات . فى هذه السن ينصح لك الاصدقاء المقربون أن تعنى بصحتك ، والا تكثر من السهر، أو احتساء الخمر . وفيها لا تبدو رشاقتك ضعف ما كانت عليه فى العشرين، ولكنك تشعر بان الاربعين نصف الثمانين، وانك فى المرحلة الثانية لسن المراهقة التى تليها الشيخوخة

اذا ابتسمت لك فتاة وانت فى العشرين، هرعت الى المرآة لترى الجمال الذى جذب الفتاة اليك. أما اذا ابتسمت لك وانت فوق الاربعين ، نظرت الى الخلف لترى اذا كان غيرك هو المقصود، أو بحثت عن عيب فى ملابسك قد يكون سبب الابتسامة . فى العشرين تتسلق شجرة ارتفاعها عشرون مترا ، لقطف زهرة اعجبت بجمالها فتاة ، أما بعد الاربعين فتؤثر ان تشترى لها مثل هذه الزهرة ، مهما بلغ ثمنها . فى العشرين تقطع بالسيارة مائتى ميل فى يوم عاصف ، بسرعة تسعين ميلا فى الساعة ، لمقابلة صديقتك ، أما بعد الاربعين فانك ترجوها بالتليفون أن تستقل عربة أجرة وتوافيك فى منزلك فى الموعد المضروب . فى العشرين يهون عليك أن تنتظر طوال الليل فى « طابور » الى أن يجيء دورك لركوب طائرة صاروخية ، أما بعد الاربعين فلا تقبل الانتظار فى طابور ، لأى شيء كان، اللهم الا اذا كان ذلك للجلوس. فى سن العشرين تسهر الليالى مكبا على العمل ، حتى لا تفوتك حفلة معينة ، أما بعد الاربعين فلا يعنيك السهر الى ما بعد الساعة العاشرة ، ولو كان ذلك للرقص مع أجمل فتاة . فى العشرين تغير رباط الرقبة ست مرات أو أكثر الى أن ينسجم مع السترة التى ترتديها، أما بعد الاربعين فتذهب الى حفلة الاستقبال فى « البيت الابيض» مثلا فى بذلة مستعارة ، تكبرك بثلاثة أرقام . فى العشرين تخرج فى ليلة ممطرة شديدة البرودة لمشاهدة حفلة ملاكمة، أما بعد الاربعين فتؤثر ارجاء ذلك الى

ان تظهر على الشاشة البيضاء ، او تكتفي بسماع وصفها عن طريق الاذاعة

فى سن العشرين تتحمس من اجل صديق زج به فى السجن لجريمة ارتكبها فى سبيل الوطن ، فتعقد الاجتماعات وتلقى الخطب ، وقد تبلغ منك التضحية ان تزج بنفسك فى السجن معه. وفى سن الثلاثين تؤثر ان تستأنف الحكم عنه . اما فى سن الاربعين فقد تلجأ الى حيلة هى فى نظرك اقصر الطـــرق ، وهى ان تخاطب بالتليفون خليلة القاضى لتتوسط لصديقك !

فى سن العشرين ترحب بفرصة مواتية فيها تقفز من قنطرة الى النهر لانقاذ غريق ، حتى تكون بطل الساعة وتنشر صورتك فى الصفحة الاولى لأكبر الصحف . اما فى الاربعين ، فاذا أجبرت على ذلك ولم تغرق، فانك تلطم الغريق لطمتين ، لطمة لانقاذه ، واخرى جزاء له على تسببه فى اتلاف ملابسك !

فى الثلاثين ، تصعق اذا اتضح ان وزنك فى ازدياد ، فتكب على رياضة بدنية عنيفة ، وتمتنع بتاتا عن اكل الحلوى ، وشرب المسكر . اما بعد الاربعين، فلا تعبأ بذلك ، بل تضاعف مقطوعيتك من الفطائر والحلوى والمشروبات الروحية

*

على أن بلوغ ســن الاربعين لا يخلو من الفائدة . حقيقة ان هذه السن ليست فجر الحياة ، ولا هى صبحها المشرق الديباجة، ولـكنها على كل حال نضـوج واكتمال واتزان واستقرار. ففى هـذا الرأس الجميل الذى كنت بالامس القريب أبلله بالطيب فيلمع ، شعرات شهباء توحى للناظر اليها الوقار والاحترام . وهذا لون الخد العميق الذى كان يزين وجهى منـذ عهـد ليس ببعيـد ، امسى شحضـاحا ، مستطيلا ، باهتا ، قليل الغور . وهؤلاء اندادى واصـدقائى ، تكتلت اجسامهم مثلى ، ومثلى استقرت لهم الامور ، فاصبحوا عماد الطبقـة الاجتماعيـة التى ينتمون اليها ، بعد ان كانوا منذ سنوات عالة عليهـا وهما ، او كادوا

ومتى ادركت هـذه الحقائق عند بلوغك الاربعين ، شعرت بانك سيـد قومك ، وان العالم يبتسم لك . كل ما هنالك انك بعد هذه المرحلة بقليـل ــ من الخامسة والاربعين فصاعدا ــ قد تبطىء فى السير قليلا ، وتسبح قريبـا من الشاطىء ، وتقود السيارة فى شىء من الحيطة والحذر، ولا تحمل المعدة او « الموتور » او اى جزء من اجزاء السيـارة فوق الطاقة ، فقطـع الغيار لا وجود لها

[عن مجلة « ستردای ايفننج پوست »]

فيصل الأول والأدباء ..

بقلم الاستاذ رفائيل بطي

عند ما يتمثل العربي الدور الذي تشغله أمته في سياسة الشرق الاوسط هذه الايام ، تثب في ذاكرته أسماء أعلام النهضة ، وفي طليعتهم الملك فيصل الاول . ومع انه فارق الحياة على عتبة كهولته ، فقد نال اعجاب أساطين الغرب، فوق امتلاكه قلوب بني جلدته

ولا عجب فشخصية فيصل الاول متعددة الجوانب .. من اى النواحي اتيتها ، الفيت فيها ما يجذبك ويحملك على التأمل ، وقد قال عنه « روبرت لانسنك » سكرتير الرئيس وودرو ولسن ، بعد أن قابله في مؤتمر الصلح بباريس عام ١٩١٩ :

« يحس المرء ــ وهو يستمع الى فيصل ــ بعمق تفكيره ، كما يتجلى على سيمائه هدوء الصحراء وسكينتها ، وتبدو عليه تأملات من لاذوا بالعزلة وسكنوا الفضاء ، وتشع منه قدسية رجل اعتاد مناجاة الطبيعة وحده ، ويبرز كانه أحد الانبياء القدامى الذين ينوءون تحت اعباء المعرفة الثقيلة، وقد بعث برسالة الى قومه . وتحيط به على وجه، يتفق والمظهر النبوي ، هالة الفروسية التي سادت في عهد ركزت ثروة العالم وثقافته في مدينتي بغداد وقرطبة ، يوم كان الخلفاء من اكبر دعاة العلم والفن .. »

لو كتب « للأمير » فيصل ان يدرج في الحجاز حتى تستوي فتوته ، لاقتبس من والده الملك حسين الهاشمي ولعه بالشعر العربي ــ وبخاصة الجاهلي ــ ولكن حداثته نمت في فروق على ضفاف البوسفور ، حيث لقنه أساتذة خصوصيون يقفون بين الرجعية والتجديد ، مبادىء العلوم والاداب ، فصار نصيبه من الشعر القديم اصطحابه « المعلقات» مع تواريخ النهضات القومية في اقامته وترحاله

وليست السياسة وحدها هي التي ربطت الامير القرشي بلورنس السكسوني، سحابة الحرب وبعدها، انما كان لتمازج عقلية الاديب الانكليزي بروح الشريف الثائر ، عمله في هذا التفاهم

يقود رائد الثورة العربية جيش الخلاص فيبلغ جنائن الشام وسفوح لبنان ، فيصطفي نخبة من الادباء وحملة الاقلام وينشيء

لهم « المجمع العلمي العربي » في دمشق ، ويجزل العطاء للكتاب وينفح الشعراء بالاعزاز و«الخيال» الوهاج . ويخطب الدكتور حبيب اسطيفان بين يدي الفاتح المحرر، ويفيض ماشاءت له بلاغته ويترنم بأن « لبس العباءة وعينه قريرة بالحرية ، أحب اليه من لبس الشفوف » فيخلع الأمير عباءته المقصبة بالذهب ويلبسها الخطيب المصقع . وتستهوى شمائل الزعيم نفس الخوري النابه ذي المقام في كنيسته فينزع ثوب الكهنوت وينزل معترك السياسة، فاذا هو صوت الاستقلال الرنان، حتى اذا انهار العرش الوليد ، هرع الدكتور حبيب الى اميركا حيث ابتنى له مجدا في الخطابة والمحاضرة في فلسفة العرب وتاريخهم وأدبهم بين ابناء العم سام ، فكان خير داعية « للعقلية العربية » في العالم الجديد

ويعرف للأخطل الصغير ـ بشارة الخوري ـ مكانته ، فيحلق في سماء الشعر لأن فيصل بن الحسين ، وقف منه موقف عبد الملك بن مروان من الأخطل الكبير

وتخلب الوثبة لب معروف الارناءوط فتتفجر قريحته بالبيان القومي الرائع فيبدع في سيد قريش وأخواتها القصص التاريخي العذب فيحظى الكاتب الفصيح بالمقام في بلاطه بالشام وبلاطه ببغداد بعد ذلك

❋

ويقصد فيصل الى اوربا يستنجز الحلفاء وعودهم للعرب وعهودهم لوالده الملك حسين ، ويحاول ساسة فرنسا لأخذ الاستقلال لسوريا بسهلها وجبلها جنوبها وشمالها ، ويقطن فيللا في الشانزليزه تجاور (فيللا سعيد) مسكن (أناتول فرانس) فيكثر تردد الاديب الكبير على (حفيد الرسول) وتتصل محبتهما فيؤثر الاستاذ في التقريب بين الأمير ورجال الحكومة الفرنسية وبخاصة (النمر) وينتج هذا التقارب (اتفاقية فيصل ـ كلمنصو) التي لا يزال بعض الساسة العرب يعتقدون ان طغيان الحماسة في رفضها اضاع على سوريا فترة استقرار وبناء ثلاثين سنة

وقد رغب الأمير في ان يحتفظ بصورة شمسية له مع الكاتب ، ذكرى لهذه الصداقة ، ثم قال له يوما : « عند رجوعي الى الشام سأؤلف لجنة تقوم بترجمة روائعك! » فأجاب فرانس : « لاتتعبهم عبثا ، انهم لن يجدوا فيها ما يعادل مكابدتهم ترجمتها »

وتدور الايام ، ويضيع عرش دمشق بين نقص الحنكة السياسية وجيشان الاستعمار الغادر ، ويبرق أهل العراق الى ملك العرب في مكة بان يبعث نجله فيصلا ليتوج ملكا عليهم، فيقدم وينصرف بقواه لتأسيس المملكة الحديثة، فيحتفي بأساتذة الادب، ويركض الشيخ جميل صدقي الزهاوي، متحاملا لشلل في رجله وينثر على بساط خليفة المنصور

اشعاره ، فيهتز العاهل لشعور الحكيم ، فيتلقى الزهاوى كتابا من القصر يبلغه بأن قد صدرت ارادة الملك بتعيينه شاعرا له براتب قدره ستمائة ربية ـ والعملة فى العراق يومئذ هندية احتلالية ـ يتقاضاها من الخزينة الخاصة ، فيعتذر الشاعر ويختم كتاب اعتذاره بهذه الفقرة :

« .. ومع ذلك فانى لا ازال ذلك العصفور الذى يغرد بمآثرجلالته اعجابا بها ، لا طمعا بحبات تلقى اليه .. »

فلم يغير هذا الرفض قلب الملك على الفيلسوف ، بل اختاره بعد وضع الدستور العراقى عضوا فى مجلس الشيوخ وحباه بصداقته، وطالما دعاه الى القصر يستنشده شعره الذى لا يجرؤ على نشره فى الصحف من مكنون ديوانه المخطوط (نزغات شيطان) . ولما بلغه أن جميلا قد نظم قصيدة موضوعها (ثورة فى الجحيم) يترسم فيها آثار (دانتى) و (ابى العلاء) اهتم بسماعها من لسان الشاعر ، وناقشه فى خياله وفنه فتبسط الناظم فى القول الصريح والدعابة الفطنة

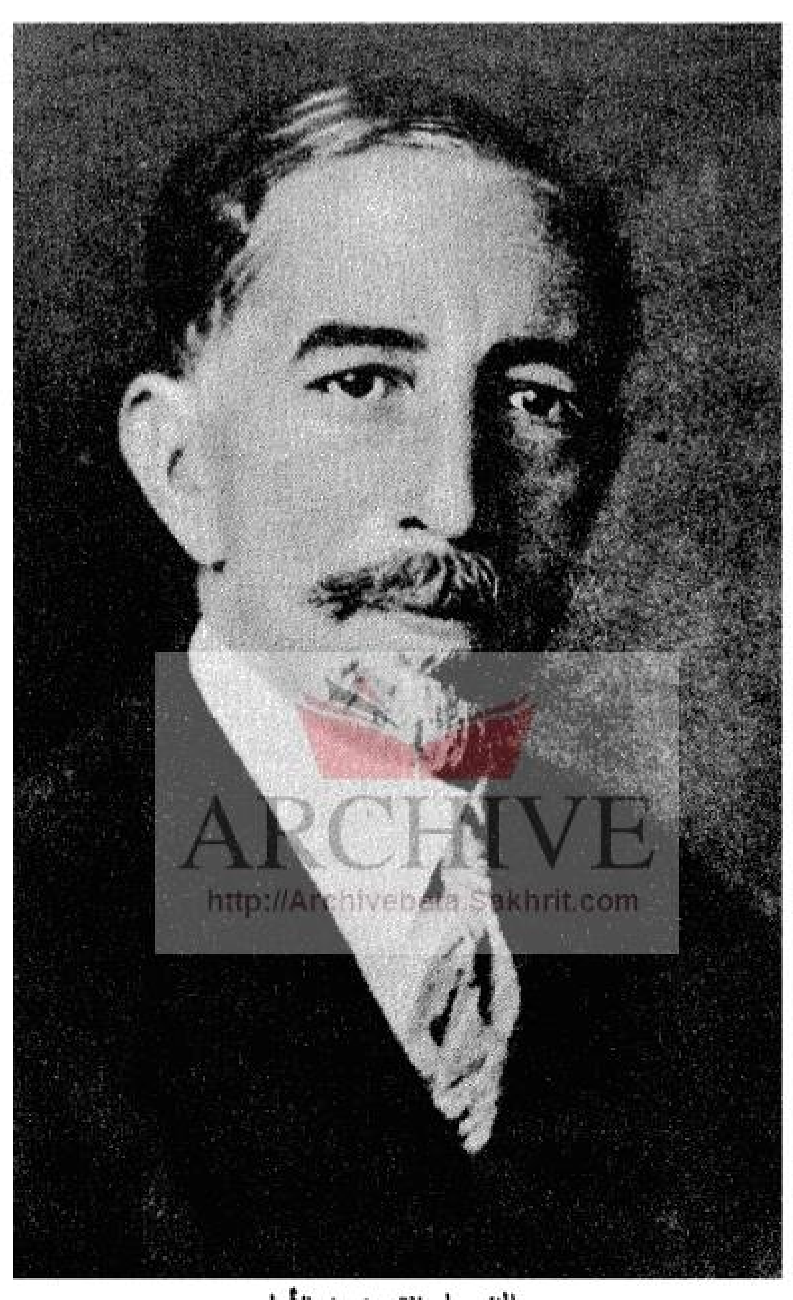
*

ورغما عن الموقف الذى وقفه الشاعر المتمرد معروف الرصافى من السدة الملكية وارساله القوافى المليئة بالتعريض ، وما تناقلته السنة خصوم الثورة من ميميته فى (الحسينين الثلاثة) فى خلال الحرب ، لم يترك فيصل فرصة دون أن يظهر حدبه على معروف وتقدير فضله فى بعث الشعر العراقى، صراحة وروعة ديباجة، بل لم يكن يرى غضاضة فى العتب على الشاعر عند ما يلقاه وجاها ، بتعبير تسيغ عذوبته ولباقة مدخلهما يبطنه من مرارة التقريع، ولم يحل مسلك الرصافى دون تمتعه بمناصب الحكومة وكرسى البرلمان فى عهده

*

وينشر كاتب عراقى مغمور فى دنيا العلم بحثا فلسفيا عنوانه (ماهية النفس) أورد فيه آراء جريئة حول النفس البشرية قبل الولادة وبعد الموت ، اهاجت المتزمتين من رجال الاديان السماوية الثلاثة ، فكفروا المؤلف الشاب ، فلم يسع النيابة ببغداد الا مقاضاته فى المحاكم ، فكبر على المليك المفكر محاكمة اصحاب الرأى، فقال لحاشيته : « يعز على تشديد الخناق على حرية الفكر فى مملكتى ، ولست اشك فى ان يظهر عدل القضاء ونزاهته فى هذه القضية » وصدر حكم المحكمة ببراءة الكاتب بعد ايام..

ولما زار شاعر الهند (الفائز بجائزة نوبل) رابندرانات طاغور بلاد النهرين عام ١٩٣٣ أحله الملك فيصل ضيفا عليه ، وبالغ فى تكريمه ، وطالما جلسا وتناطويلا يتداولان فى روحانية الشرق وميكانيكية الغرب، وطاغور يفضي لخاصته بعدها بهذا الكلام « عند ما أجلس فى حضرة فيصل ، انتقل بخيالى الى عصر الرسول العربى ، فازداد فهما لصفحة



المغفور له الملك فيصل الأول

حية من تاريخ الانسانية »

ويلقى ملك العراق فى اشهره الاخيرة الدكتور طه حسين فى القاهرة ، فيقول له طه فى عرض الحديث: «ياصاحب الجلالة . . نراك تشجع شعبك على الأخذ بالجديد المفيد ، ليس بالقول فحسب بل بالعمل ايضا ، وهذا استخدامك الطائرة فى اسفارك المتلاحقة دليل على انك تريد الآخرين على ان ينتفعوا بمبتكرات العلم ومخترعات العصر » فكان مما قاله فيصل لمؤلف (فى الشعر الجاهلى) فى هذه الجلسة :

« انى اثابر على قراءة آثارك يا دكتور طه ، اطالع مقالاتك وادرس كتبك واتابع جرائك فى اعلان الراى الذى تصل اليه ، واذا كان مركز المرء احيانا لا يسعفه على ان يقول مثل قولك ، فلايعني هذا انه غير مدرك المرامى البعيدة لهذا القول» فخرج عميد الادب وهو يردد فى نفسه : « انه ملك اقرب الى الديمقراطية الصحيحة ، واعذب الناس حديثا ، واصدق الناس تفكيرا ، واحب الناس للتجديد فى غير اسراف ، وللمحافظة فى غير اغراق ، واعرف الناس بحاجة الشرق وبما يعوق هذا الشرق من مصاعب ، وبما يدخرهذا الشرق من قوة خصبة تضمن له التفوق والفوز . . انه يتحدث بعقله وقلبه جميعا ، يعرف حق المعرفة ما يقول ، ويعرف حق المعرفة ما يأتى من الأمر ، انه رجل عظيم حقا . . »وهذا الحكم املاه من فوره على كاتبه فى مقاله الذى ابن به الملك العربى الجليل بعد زمن قصير جدا

وكان نصيب فيلسوف الفريكة (امين الريحانى) من حب فيصل الاول وصداقته ، اوفى نصيب ، كما سجله الكاتب فى رحلاته وتآليفه الثمينة بالعربية والانكليزية ، فقد خصه برعاية ما بعدها رعاية وكاتبه بخط يده ، واكرم ضيافته مرات ، بما لا يقل عن تعرف الرشيد والمأمون مع نوابغ الادب والعلم ، واستفاد التاريخ السياسى العربى والادب بأن أفرغ الريحانى جهده فى تدوين « سيرة عقل الثورة ومدبرها » فى سفر يعد آية فى تحليل الشخصية وتعليل الحوادث

*

وبينما الملك فيصل يزور بلاد الانكليز فى احدى السنوات استأذنه منهم فنانان مشهوران هما « لزلوش » و « اغسطس جان » أن يرسما له صورتين زيتيتين ، اكملاهما وبقيتا فى لندن لانه على حد تعبير الملك : « لم يكن فى طاقته ان يدفع ثمن الرسم الواحد الف ليرة انكليزية » ، وقد اشترى متحف برمنجهام احداهما، فاراد الريحانى فى احد اجتماعاتهما ان يعرف اى الرسمين يفضل، عمل لزلوس المحافظ ام جان المجدد ؟ فنطق ذوق الملك : « اذا لم يكن المرء ملما بفن التصوير ، لايدرك محاسن المجددين ولا تروقه طريقتهم ، العين وحدها لاتكفى . . والعاطفة مع العين لا تعين ، بل

تضلل كما هو الأمر فى تفضيلى رسم لزلوس على رسم جان.. وبودي لو كنت عالما بشىء من الفن لأنى احب الرسوم الزيتية الجميلة ، ولكن أين الوقت لدرس الفنون لنتمكن من فهمها فيزداد سرورنا بها »

ومع ان الامير شكيب ارسلان لم يواكب الحركة الهاشمية ، بل سار فى عثير الحرب وبعدها فى صف خصومها ، فان بيان أمير البيان وعاطفته القومية المتقدة وحرصه على تدوين امجاد السلف ولا سيما المخلفات الاندلسية ، جعلته يحتل مكانا رفيع المناط فى قلب فيصل ، فما سافر الى اوربا الا وقصد الى سويسرة واجتمع بالأمير امدا واسعا ، وكثيرا ماكان يردد عند ذكر شكيب: « ليس لمجاهد عربي فضل الا وله مثله عليه ، لئن جاهدنا بسيوفنا فقد جاهد بقلمه بما لا يقل تأثيرا من فعل تلك السيوف» وكان فيصل يتناول الطعام يوما فى بيت أرسلان بجنيف ، فوجد صاحب الدار أن المنديل فى يدى الملك مرفو فقال : « أن المنديل مرفو ياسيدي ولكنه نظيف » فأجابه الملك: «مثل يدك وخلقك»

وفى عامه الاخير قدمت بغداد كاتبتان احداهما فرنسية مريم هاري لاحظت مصنع العراق وعمل فيصل الاول فى بنائه فألفت كتابا نشرته بعنوان(العراق) وقد روت لصحفى عراقى ان فيصلا قال لها بصدد تحرير كمال اتاتورك للمراة التركية : انني لست أقل من مصطفى كمال معرفة بحاجة العرب الى (المرأة الجديدة) ولكنني مشغول الآن بتحرير العراق رجاله ونسائه ، من رق الانتداب البريطاني »

اما المؤلفة الثانية فمسز ارسكن الانكليزية كتبت فى أثر فيصل فى العراق الحديث دراسة موجزة مستخرجة من الوثائق والاسانيد

*

وممن خصهم فيصل بحبه وتقديره احمد شوقى، وقد عرفه بادىء الراى فى مصر قبل الحرب العالمية الاولى وقبل دعوة (أمير الشعراء) الى مادبة اقامها فى (كرمة ابن هانىء) ثم اجتمع به فى باريس وفى الباخرة فى طريق أوربا البحرى فدعاه الى زيارة بغداد فوعده شوقى واخلفه تجافيا من كلفة السفر فى البرية وهو يخشى ركوب متن الجو اذ يرى (ليث الشرى) أدنى أمانا فى ركوبه من الطائرة ، فلما كرر عليه الدعوة بعث الى ملك الرافدين بتحية شعرية مع صفيه الموسيقار محمد عبد الوهاب عام ١٩٣١ غناها فى الحفل الملكي :

يا شراعا وراء دجلة يجرى
فى دموعى تجنبتك العوادى

وفيها يقول :

أمة تنشىء الحياة وتبنى
كبناء الأبوة الامجاد
تحت تاج من القرابة والملـ
ـك على فرق اريحى جواد
ملك الشط والفراتين والبطـ
ـحاء اعظم بفيصل والبلاد

فتلقفها العراقيون ، فاذا هى

من أغانيهم المعادة والمستجادة على الايام

وغلا بعضهم فزعم ان فيصل ابن الحسين يقرض الشعر، وروت له صحف الشام والمهجر الامريكي بعد فتح دمشق قصيدة طويلة في مداعبة شقيقه عبد الله والعتب عليه، لانه خص اخاه الاصغر زيدا باهدائه خنجرا ذهبيا.. مطلعها :

أعبد الله قد اوريت زندا
له شرر بقلبي ليس يهدا

ومنها :

علام وفيم خنجرك المعلى
خصصت به أخاك الشهم زيدا
ألست لمثله كفؤا فاني
أبو الهيجاء، كم لاقيت أسدا

غير ان هذه الرواية لم تثبت على محك التمحيص ، وان حفظتها بطون الكتب والصحف ، ولم يعرف عن الملك فيصل انه نظم الشعر ، ولكنه ابرز شدة عارضة وقوة على الخطابة في ارتقائه المنابر، وان شاب بيانه ولغته وهن ، كما هو موهوب في أحاديثه واحكامه في المواقف المحرجة.. فقد شهده أعوانه في ادق ساعات الثورة متصدرا خيمته في قلب الصحراء ينطق بجملة واحدة تثير في مخيلات أصحابه تاريخ أمتهم ومجدها الباذخ وفصاحة لغتهم المقدسة، فيكهربهم في انهماكه في بث تعاليم اليقظة وترديده حركات القتال، فيكتسب الانصار يدخلون أفواجا في مذهبه السياسي الذي يهدف الى مثل اعلى هو : حرية العرب واستقلالهم ، وقد انصرف اليه بكل حواسه واحتسب له حياته بما وسعت ، فقضى ولما يبلغ شوطه الاخير ..

رفائيل بطي

درس عملي

زار ثري بخيل أحد فلاسفة الهند . فأراد الفيلسوف أن يغتنم هذه الفرصة ، فيلقي على ضيفه درسا عمليا . فأمسكه من ذراعه وقاده الى نافذة الغرفة التي كانا يجلسان فيها، وقال له :

ـ انظر .. ماذا ترى خلال زجاج النافذة ؟ فأجاب الثري :

ـ أرى اناسا يملأون الطرقات

ثم قاده الفيلسوف الى مرآة معلقة على الحائط وقال له :

ـ انظر .. ماذا ترى ؟ فقال الضيف :

ـ أرى نفسي

فقال الفيلسوف : « أتدري ما الفارق بين زجاج النافذة وزجاج المرآة .. لا فارق سوى ان زجاج المرآة صقل بغشاء رقيق من «الفضة» فلم يعد يرى المرء فيه غير نفسه .. اياك يا أخي وغشاء « المادة » فانه يطمس البصيرة ، فلا يعود الانسان يرى سوى نفسه !

زوجة البطل

هذه قصة من قصص البطولة والوطنية ، وهي الى ذلك من قصص الحب الجامح الذي يدفع الى الجريمة في قسوة وجراة . وقد مزج المؤلف بينهما مزجا فيه كثير من الروعة والعبرة

لست أدرى لماذا وقع اختيارى على ذلك الفندق الصغير لقضاء ايام الراحة التامة التى أوصانى بها الطبيب . ولعل الذى دفعنى الى ذلك الفندق ثقتى باننى سأكون هناك فى عزلة عن العالم . فهو قائم فى بقعة هادئة ، على طريق قرية صغيرة تحيط بها الغابات ، ويخترقها نهر عذب المياه . وبه عشر حجرات تتوافر فيها اسباب الراحة ، حيث الخدمة الطيبة ، وحيث انواع الطعام الشهية التى تقدم للنازلين فيه ، واجودها السمك ، وهو كثير فى النهر الصغير

كانت القرية تدعى « سنبريز » وكان الفندق يدعى «الذئب الضائع» وهو اسم غريب اختارته صاحبته ، تلك التى ترددت فى قبولى عندها

هى امرأة فى نحو الخامسة والثلاثين من العمر ، براقة العينين ، تنم نظراتها عن قلق نفسى دائم ، وعن خشية من الناس ، وان كان على وجهها طابع الجرأة والقسوة

انزلتنى المرأة حجرة فى الطابق الاول . وحدث فى أول ليلة قضيتها فيها ان اصابنى الارق ، فغادرت فراشى ، وهممت بالنزول الى القاعة الكبيرة حيث المكتبة لآخذ كتابا اقرأه فسمعت شخصا يقول همسا : « مهلا، مهلا! اظن ان أحدا يمشى فى الخارج!»

ثم ظهرت صاحبة الفندق لدى باب غرفتها، وليس على جسدها الا قميص نومها ، فصاحت بى قائلة :

ــ اننى أحرم على سكان الفندق الانتقال من غرفهم اثناء الليل ..

ــ عفوا يا سيدتى ، اننى ابحث عن كتاب ..

ــ ليس لك ان تبحث عن شىء فى الطابق الارضى .. فلديك كل ماتطلب فى الطابق الاول الذى انت فيه

واغلقت باب غرفتها بعنف . وعدت

أنا ادراجي متسائلا : لماذا هذه القيود؟
وفي اليوم التالي ، جاءتني بطعام الفطور ، فسألتها :
ـ انت تعيشين وحدك يا سيدتي في هذا البيت ؟
ـ لقد مات زوجي منذ ثلاثة أعوام. وفي الصيف ، يقيم معي هنا رجل وزوجه لخدمتي وخدمة النزلاء .. اما في الشتاء ، فان الخادم ماري تكفيني
واشارت الى الخادم ـ وكانت في ركن تنظر الينا بعين زائغة ـ فقلت :
ـ ولكن اذا حدث لك حادث ، فهذه الخادم لاتكفي لحراستك والدفاع عنك
ـ لست في حاجة الى من يدافع عني .. فانا لا اعرف الخوف
فضحكت وواصلت الحديث :
ـ الا اذا كان أحد النزلاء يطوف في الفندق ليلا كما فعلت أنا امس !
فلم تجبني ، فاستطردت قائلا :
ـ أنا لم أقصد انتقادك يا سيدتي، ما اسم السيدة ؟
ـ مدام اوكتافي لندون .. لا ياسيدي ، أنا لا أعرف الخوف .. ان زوجي قتل في ٦ اكتوبر ١٩٤٢، قتله الالمان اثناء احتلال فرنسا .. فخفت .. نعم خفت كثيرا الى حد أنني فيما بعد لم أعد اعرف الخوف .. وسوف تسمع الناس في القرية يحدثونك عن زوجي يا سيدي .. انه بطل !.. البلاد كلها تفاخر به وتحيي ذكراه !

في مساء ذلك اليوم ، قص علي أحد النزلاء قصة بيير لندون، زوج صاحبة الفندق ، وبطل القرية ، فقال :
ـ كان بيير لندون رجلا قويا شهما مقداما خدوما .. انشأ هذا الفندق خلال الحرب ، وجعل يجلب اليه الضباط الالمان ، فيقدم لهم أطيب الطعام والذ الشراب .. ثم يستطلع أخبارهم وينقلها الى هيئات المقاومة السرية في فرنسا..لقد خدم الوطن أجل الخدمات .. وكان ضابط الماني برتبة ملازم يقيم في الفندق اقامة دائمة للاشراف على الحاميات الصغيرة المنتشرة في هذه البقعة . وفي ذات يوم ، جاءني بيير وقال لي : « هل أنت شجاع حقا ؟ » فضحكت ، لان بيير كان يعلم انني شجاع ، اذ كنت واسطة الاتصال بين مركز المقاومة في أورليان والفروع المنتشرة في القرى. فاخبرني بيير بأنه تلقى طردا فيه مفرقعات لوضعه في طريق القطار الخاص الذى سيمر في تلك الليلة بين أورليان وباريس . وعرض علي ان ارافقه ، طالبا مني ان أقف بعيدا بمدفعي الرشاش لاراقب الطريق ، حتى يضع هو المواد المتفجرة في المكان الذي اختاره ، بين القضبان، في أحد منحنيات الغابة

توقف الرجل عن الحديث لحظة كأنه يستعيد الذكرى ، ثم واصل روايته:
ـ كان ذلك فى ٦ اكتوبر، حوالى الساعة التاسعة مساء . فذهبنا معا مشيا على الاقدام ، حتى بلغنا المكان المعروف باسم « كومب » فبقيت أنا بعيدا مختبئا بين الاشجار ، وتقدم بيير وحده الى القضبان الحديدية ، وبيده قنبلته .. آه يا سيدى ! سأذكر ماحييت تلك اللحظة الرهيبة.. وذلك الصوت .. صوت الرصاص .. نعم ازيز الرشاش الذى قوبل به بيير عند ما وصل الى الخط .. فقد خرج الحراس الالمان من كل صوب وفاجأوه فقتلوه .. فكرت فى موقفى .. ماذا على ان اصنع ؟ ان اقابل رصاصهم بمثله ؟ ان انتقم لرفيقى ؟ ولكن ما الفائدة ؟ انا وحيد وهم عشرات .. ومحاولة نسف الخط قد فشلت .. فرأيت ان خير ما اصنعه هو ان اعود ادراجى الى القرية .. فعدت اليها ، ولكن بعد ان قضيت بضع ساعات مختبئا بين الصخور والاعشاب ريثما ينصرف الحراس الذين جعلوا يفتشون عن شركاء بيير فى طول الغابة وعرضها .. وفى اليوم التالى ، قتل الضابط الالمانى رئيس شعبة الجستابو فى بلجارد ولم يعرف من الذى قتله. واخذ الالمان بعض سكان القرية كرهائن ثم اعدموهم .. واعتقلوا أيضا اوكتافى زوج بيير وحبسوها مدة من الزمن،ولكنهم اطلقوا سراحها بشفاعة الضباط الذين كانوا ينزلون فى فندقها

سكت الرجل ، وشرب قدحا من النبيذ الابيض ، ومسح شفتيه ، واستطرد يقول :
ـ تلقت اوكتافى الصدمة برباطة جأش عجيبة . ولكنها تغيرت منذ مصرع زوجها . فهى اليوم غير ما كانت بالامس .. انها تلزم الصمت دائما .. تسبح بأفكارها فى عالم غير هذا العالم .. ولم تنزع ثياب الحداد منذ تلك الليلة المشئومة ، ليلة ٦ اكتوبر ١٩٤٢ .. نعم ، ظل فندقها مفتوحا ، وظلت تخدم فيه نزلاءها من الضباط الالمان ، ولكن كالآلة الصماء أو كالدمية التى تتحرك ولا روح فيها ، كما تراها الآن . فهى تعيش بيننا هنا، ولكن افكارها شاردة فى مكان آخر

وبينما كان صديق لندون يتكلم ، كنت اذكر البريق المنبعث من عينى اوكتافى . وواصل الرجل حديثه :
ـ عبثا حاولنا ان ننتشل اوكتافى من هوة ذلك اليأس الصامت .وعند ما تم تحرير فرنسا وطرد الالمان منها ، اجتمع شباب القرية وفتياتها وحاولوا ايجاد جو من المرح فى هذا الفندق الذى تخيم عليه الكآبة . وأردت من ناحيتى ان اضع من جديد آلة «الراديو»

فى المكان الذى كانت فيه قبل مصرع بيير ، بعد ان اخفتها اوكتافى عن أنظارهم ، فثار ثائرها ياسيدى ، وصاحت : « لا أريد أن أسمع موسيقى هنا بعد الآن ! » وعند ما جاء وفد من أورليان ليسلمها وسام التحرير الذى انعم به على زوجها بعد موته اعترافا ببطولته ، رفضت مقابلة الوفد وتمارضت . لانه لم يكن فى وسعها ان تتحمل التأثر الى هذا الحد . ومع ذلك ، فاننا نعلم جميعا ان بيير قد استحق ذلك الوسام ، وانها شاركته فى جميع المغامرات والمخاطرات التى خاضها فى سبيل وطنه !

ــ وانتم تحفظون لها الجميل ؟

ــ نعم . فانا مثلا من رواد هذا الفندق . اجىء الى هنا كل ليلة حيث يلاقينى اثنان من الرفاق غير المتزوجين فنحن نتولى حراسة اوكتافى ، ونحاول ادخال السرور الى نفسها . ولكنها ضحية وساوسها . فهل يعقل ياسيدى ان تظل امرأة لا تزال شابة تحت تأثير ذلك الشبح ، شبح زوجها القتيل؟فكثيرون يرغبون فى زواجها، فهى جميلة ، وتملك فندقا يدر عليها ارباحا لا يستهان بها

ــ نعم .. الحق معك ! .. لا بد من رجل هنا ، مع هذه السيدة الجميلة

ونظرت اليه ، فاشاح بوجهه ، وبدا عليه انه باح بأكثر مما يجب ، فاستأذن لينصرف ، ولكنى رافقته الى منزله ، فى وسط القريه ، ثم عدت وحدى الى الفندق ، وكان الوقت متأخرا ، فخشيت ان تقابلنى اوكتافى بكلمات جافة ، ولكننى وجدت الباب مفتوحا فدخلت . وطرق اذنى صوت شخصين يتحدثان فى المطبخ

هذا صوت امرأة تقول :

ــ أرجوك .. يجب ان تصبر مدة أخرى .. انت تعلم اننا لا نستطيع ان نتزوج الآن..فلو فعلنا، لطردنى شقيق بيير من الفندق

وهذا صوت رجل يجيب :

ــ ولكننى سئمت هذه الحياة .. اننى اختبىء دائما عن الانظار .. اطوف حول هذا البيت .. انتظر مراقبا ساعات وساعات .. ثم القاك لكى اتركك قبل طلوع الفجر ..

●

خيل الى اننى اعرف هذا الصوت: انه صوت حطاب رأيته فى اليوم السابق يشرب زجاجة من النبيذ فى قاعة الفندق الكبيرة

وقد ردت اوكتافى عليه قائلة :

ــ يا لك من غبى ! .. الست تحظى منى بكل ما تريد ؟

ــ أريد ان اعيش معك كزوج.. أنا راحل غدا الى قرية تبعد ١٥ كيلومترا عن هذا المكان .. ولن اراك الا بعد يوم السبت القادم

ــ سأعطيك دراجة بيير !

سكت الاثنان وادركت انهما

يتعانقان . ثم اردفت المرأة قائلة :

ـ لا . لا .. لا يمكن ان اعطيك دراجة بيير ، فجميع أهل القرية يعرفونها .. لا ، لا يمكن ..

ـ ولكن ماذا يهم ؟ ألست حرة فى أن تفعلى ما تريدين ؟

ـ لا . لا .. لا استطيع ..

وفى ذات ليلة ، استيقظت من نومى على حركة غريبة . فخرجت من غرفتى وألقيت نظرة على الطابق الأرضى ، فاذا بى أرى اوكتافى ممسكة بالشاب الحطاب تحاول ابقاءه معها ، وهو يحاول الافلات والخروج ، ويزمجر قائلا :

ـ لا اريد ان ابقى معك .. لا أريدك بعد اليوم .. لقد ضحكت منى وهزأت بى طويلا .. الوداع ..

وكانت المرأة تتمسك بثيابه راجية مسترحمة :

ـ جاك .. عفوك .. جاك .. حبيبى !

وفجأة ، رأتنى واقفا فى أعلى السلم ، فتركت الرجل ، والتفت الشاب أيضا فرآنى ، واسرع مهرولا الى الخارج

نهضت اوكتافى ببطء ، واصلحت شعرها ، وسألتنى بصوت هادئ :

ـ أتريد شيئا يا سيدى ؟

ولكنها لم تنتظر منى جوابا على سؤالها . بل دخلت مسرعة الى غرفتها ثم خرجت بعد دقائق متسربلة برداء قاتم ، وانطلقت وراء عشيقها !

فى صباح اليوم التالى ، نزلت كعادتى الى القاعة العمومية ، فجاءتنى اوكتافى بطعام الفطور ، وكانت بلا شك ترقب نزولى . وخيل الى ان وجهها هادئ كالمعتاد ، وان لا شئ يبعث الاضطراب فى نفسها . ولكنها جلست امامى ، وخاطبتنى بلهجة صريحة واضحة :

ـ هل ادركت الآن يا سيدى لماذا كنت امنعك من النزول ليلا الى هذه القاعة ؟ ان ما حدث كان يجب ان يحدث .. فهذا الشاب ، جاك الحطاب ، قد سلبنى لبى .. وهو يريد الآن ان يهجرنى ، وانا لا اطيق العيش بعيدة عنه .. آه .. انه لن يعلم أبدا ماذا صنعت من اجله !

ـ وماذا يأخذ عليك يا سيدتى ؟

ـ يريد ان افعل الشئ الوحيد الذى لا يمكننى ان افعله !

ـ ان تعيشى معه ؟

ـ نعم .. من قال لك هذا ؟

ـ ادركت هذه الحقيقة من تلقاء نفسى !

ـ لو رضيت ، لاضطررت قبل كل شئ الى ترك هذا الفندق ، لانه ليس ملكا لى وحدى . فانا شريكة فيه مع عائلة زوجى بيير . ولن يرضى أفراد العائلة بأن اسدل الستار على ذكرى بيير ، واتزوج حطابا بسيطا ، اصغر



لا أريدك بعد اليوم .. لقد ضحكت منى وهزأت بى طويلا

منى سنا بعشر سنوات . وانا متمسكة بالبقاء فى هذا الفندق ، لاننى أنا التى جعلته على هذه الحال، أنا التى صنعته. ولكى تفهم ، يجب ان أقص عليك سيرتى كلها .. لقد كنت خادما فى هـذا البيت .. نعم خادم قبـل ان أصبح سيدة.. وقد اشتغلت، وتعبت، وشقيت ، فأحبنى بيير ، وتزوجنى ، وكنت زوجا صالحة ، وقد قام هـذا الفندق على ساعدى !.. أراد بيير ان يحتفظ بى ليضمن نجاح فندقه.. وقد احبنى أيضا .. ولكن كانت فى حبه مآخذ وكانت له مساوىء ..

شـعرت عنـدئذ بان المرأة بدأت تكذب ، ولكننى أصغيت اليها صامتا واستطردت تقول :

ــ كان بيير فظا قاسيا ، يعاملنى معاملة جافة ، ويخوننى كلما سنحت له الفرصة، ثم جعل يشرب ، ويسكر، ويضربنى !.. ولولاى ، لما بقى شىء من ثروة هذه الاسرة التى انقذتها انا من الخراب..وكان يميل الى المغامرات ولا يحسب للخطر حسابا .. ولعل هـذا ما جعله يصبح بطلا من ابطال المقاومة !

سكتت لحظـة ، وبدت لى بارعـة الجمال فاتنة . ثم استأنفت حديثها :

ـ في خلال الحرب والاحتلال ، ظهر جاك الحطاب في طريقي ! ومنذ اللحظة التي رأيته فيها ، شعرت بانني لن استطيع ان امنع نفسي عن هذا الشاب ، فقد أحببته حبا شديدا جامحا. كانت قواي تخور كلما رأيته داخلا الى هنا .. وشاءت الاقدار ان تهيىء لحبي الفرصة السانحة للظهور ! فقد سافر زوجي الى باريس ذات يوم ، بدعوة من مركز المقاومة السرية هناك وجاء جاك كعادته في المساء .. نعم، لقد احببته سرا،وخنت بيير، واصبحت بكليتي ملكا لهذا الشاب.. ولا ازال ملكا له الى الآن !

سكتت اوكتافي مرة أخرى، لكنني شجعتها بصمتي على المضي في حديثها:

ـ كان ذلك في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٢ . وبعد ذلك اليوم بقليل ، اي في ٦ اكتوبر ، سقط بيير صريعا برصاص الالمان ، ولا شك في انك سمعت قصة مصرعه من سكان القرية

ـ نعم ، سمعتها بحذافيرها

ـ وقد اعتقلني الالمان ، وسجنوني ثم افرجوا عني . وعند ما عدت الى قريتي هذه، جعل الناس جميعا ينظرون الى نظرهم الى زوج بطل مات شهيدا واصبحت عنوان المقاومة ورمز الشجاعة والوطنية ! وهذا هو السبب الثاني الذي منعني من الزواج بعد وفاة بيير. فانه لا يمكنك ان تتصور يا سيدي ذلك الاثر الذي تركته في نفسي نظرات الاحترام التي كانت ترمقني من كل جانب ، وذلك الاعجاب الذي كان يحمله لي سكان القرية . ألست بينهم زوج البطل ؟ ألست في نظرهم جميعا المرأة التي تواصل عمل زوجها ؟ كانوا يعتقدون انني اخدم المقاومة السرية كما كان بيير يخدمها ، وانني بطلة اسير على منهاج ذلك البطل . فكانوا يصافحونني باجلال ويلحون علي بان أواصل عملي بلا خوف ولا وجل ، مرددين انهم يحفظون السر ولا يبوحون به لاحد . وبعد تحرير فرنسا من الاحتلال ، جعل رجال المقاومة يشركونني في جميع مظاهر الحماسة والفرح ، فهل أضرب بذلك كله عرض الحائط واهرب مع جاك الحطاب ؟ لو فعلت ذلك ، لاثرت على نقمة الوطنيين ، ولعدوا عملي هذا خيانة لذكرى البطل الصريع ! انني ياسيدي اسيرة مجدي ، نعم أسيرة مجد لا استحقه !

ـ وما هو موقف صديقك الحطاب؟

ـ كان قليل الصبر .. وكان يصعب علي ان التقي به بسبب مظاهر الاحترام والاكرام التي تحوطني . ولكنه كان يحاذر امام الناس ولايدع الشك يتطرق الى اذهانهم .. ان جاك شاب طيب القلب ، نزيه ، مخلص ، وفي ...

ـ وماذا عولت ان تصنعي الآن ؟

ـ لا ادري .. لقد ضاق صدري،

وعيل صبرى ، ولم أعد أطيق احتمال هذه الحياة .. سأسعى لتصفية كل شيء.. سأترك الفندق لاسرة زوجى وآخذ نصيبى نقودا .. ثم ارحل انا وجاك .. الى بعيد .. لقد حاولت اللحاق به الليلة، ولكننى لم استطع، ولا يمكننى ان اذهب الى القرية التى يعمل فيها..وقد ظننت يا سيدى .. نعم ظننت ان فى وسعى الاعتماد عليك لانك تعرف كل شيء !

ـ الاعتماد على انا ؟

ـ نعم .. لقد كتبت رسالة لجاك فهل لك ان توصلها اليه ؟

وضعت اوكتافى بين يدى ظرفا رمادى اللون، كتبت عليه اسم الرجل بالحبر البنفسجى . فرضيت بان انقل الرسالة الى صاحبها . وانطلقت فى الغابة نحو القرية التى ذكرتها المرأة قبلئتها بعد ان اجتزت الغابة بما فيها من جداول ومستنقعات ، وكنت راغبا فى معرفة الاثر الذى ستحدثه تلك الرسالة فى نفس البطل الثالث من ابطال هذا الحادث الغريب. فهل يحب ذلك الشاب اليافع تلك المرأة التى تكبره بعشرة اعوام حبا يضارع حبها العنيف ؟ وهل يعود اليها بعد ان تركها فى تلك الليلة التى حاولت فيها عبثا ان تستبقيه عندها ؟

وعند ما بلغت المكان الذى يعمل فيه الشاب ، وسط غابة كثيفة قطع جزء من اشجارها وغصونها ، وجدت الحطابين ملتفين حول جثة أتى عليها زمن طويل، وعليها بقايا ثوب عسكرى المانى ، واذا هى هيكل بشرى لم يبق منه غير العظام ولم يكن بالامكان معرفة شيء عنه لولا تلك البقايا

وقيل لى :

ـ هذه جثة الضابط الالمانى التابع لشعبة الجستابو فى بلجارد ، والذى اختفى بكيفية غامضة فى سنة ١٩٤٢، وقد عثرنا عليها بين الاعشاب هنا

ـ ومن قال لكم انها جثة ذلك الضباط بالذات وليست جثة ضابط آخر

ـ لاننا وجدنا محفظة الرجل سليمة فى طيات ثوبه الممزق

وسمعت رجلا يهمس فى أذنى :

ـ كان الاولى به ان يأخذها معه الى الآخرة !

وكان الهامس فى أذنى جاك بعينه . فقلت له :

ـ اننى احمل اليك رسالة من القرية فنظر الى مندهشا ، وجعل يعض على شفتيه باسنانه، وقد شخص بصره. فاردفت قائلا :

ـ رسالة من حيث تعلم ..

فأجاب جاك :

ـ لا لزوم لهذه الرسالة .. فقد تلقيت رسالة أخرى ، وصلتنى الآن فقط .. رسالة لم تكن موجهة الى بالذات ، ولكننى أنا الذى تلقيتها الآن ، بعد ان تأخرت فى الطريق ثلاثة أعوام !

لم أفهم ما يقول ، ولكنه دفع الى بورقة مطوية ، وأخذ رأسه بين يديه، واجهش بالبكاء

تناولت الورقة من يده ، وبدأت افهم شيئا فشيئا جميع المعميات التى عجزت من قبل عن ادراكها . .

الورقة رمادية اللون كالتى اعطتنى اياها اوكتافى . وفيها بضعة أسطر كتبت بالحبر البنفسجى ، وبخط عرفته لانه الخط الذى كتبت به رسالة الى جاك . .

وقرأت فى الورقة الرمادية :

« اذا كنتم تريدون اكتشاف أمر يهمكم ، فارسلوا فريقا من جنودكم المسلحين ، غدا ، فى الساعة الحادية عشرة ليلا ، الى المكان المعروف باسم كومب »

ويلى هذا ، التاريخ : « ٥ اكتوبر ١٩٤٢ » !

وقال جاك وهو يبكى ، وقد تولاه اليأس :

— وجدت هذه الورقة فى محفظة الضابط الالمانى الذى عثرنا على جثته هذه ! هل فهمت يا سيدى ؟

نعم فهمت !

أرادت اوكتافى ان تتخلص من زوجها بيير لتقترن بعشيقها جاك ، فابلغت رجال الجستابو الالمان خبر قدامه فى تلك الليلة ، ليلة ١٦اكتوبر ١٩٤٢ ، على نسف القطار السريع بين اورليان وباريس . وقد كتبت تلك الورقة الى الضابط الالمانى ، الذى ارسل رجاله ففتكوا بالزوج المسكين ، ولم يعلم أحد بأمر الزوجة الخائنة ، بل ظلوا جميعا يحيطونها بالاكرام والاجلال ، حتى عشيقها نفسه ، الذىارتكبت اوكتافى خيانتها بغير علمه

وها هى ذى الاقدار تضع بين يديه الدليل القاطع المحسوس على ذلك العمل البشع الذى قامت به المرأة من أجله هو ، وفى سبيل حبه !

فهم جاك ، وفهمت أنا . ولكنه سكت ، وسكت أيضا !

لم أر اوكتافى بعد تلك الساعة. وقد أذيع فى القرية خبر اكتشاف جثة الضابط الالمانى الذى اختفى قبل ذلك بثلاثة اعوام ، وفى اليوم التالى، كان صبيان القرية يلعبون على ضفاف النهر ، فوجدوا جثة أخرى طافية على سطح الماء !

تلك هى جثة اوكتافى التىانتحرت غرقا !

وقال الناس : « مسكينة ! ماتت من اليأس حزنا على زوجها بيير البطل لقد ماتت شهيدة الاخلاص والحب والوطنية . . ! »

وسكت جاك ! وسكت انا ! . . بل أسكتتنا الدهشة مما قاله الناس. ورحلت عن القرية فى المساء وأنا افكر فى هذا الحادث الغريب !

[عن مجلة « كارفور »]

الصحافة فى روسيا !

عاد كاتب هذا المقال من روسيا بعد أن قضى فيها عشرة أسابيع اطلع فيها على أساليب الصحافة ونظمها عندهم . .

يقبل الروس على قراءة الصحف اقبالا شديدا . . وهم يؤمنون بصحة كل ما يقرأونه فيها . وكثيرا ما يختتمون احاديثهم عن الأنباء المحلية او العالمية ــ للتدليل على صحتها ــ بالقول : « لقد نشر هذا النبأ فى جريدة برافدا » وهذه الجريدة هى لسان حال الحزب الشيوعى. وكلمة « برافدا » تعنى عندهم الصدق

ويتراوح عدد الجرائد التى تصدر فى مختلف انحاء الاتحاد السوفيتى ما بين ثمانية وتسعة آلاف جريدة،توزع نحو ٣٨مليون نسخة . ولكن ذلك لا يشبعجوع الشعب الروسى ونهمه لقراءة الصحف والمجلات . . لذلك كثيرا ما ترى الجموع من الشبان والشابات والكهول يصطفون فى صفوف طويلة امام المنشورات التى تعلق على الجدران أو على حوامل خاصة ، ينتظرون دورهم للاطلاع على احدث الأنباء. وتنفد احيانا الجرائد حال ظهورها . . فيعاد بيعها بعد قراءتها بأضعاف ثمنها . وتصدر اليوم معظم الجرائد الروسية فى أربع صفحات من الحجم العادى . . ولكنك لن تجد فيها رسوما كاريكاتورية أو قسما خاصاالفكاهات والتسلية. ويندر جدا ان تقرأ فيها شيئاعن السرقات وحوادثالقتلاوالحريق وما اليها . وانما تعنى الجرائد بأخبار المصانع والمزارع والمؤسسات الروسية . وتتناول السياسة الدولية وأنباء المكتشفات العلمية والبحوث الثقافية

*

ومعظم الصحف الروسية تصدرها جماعات لا افراد . . ويبلغ عدد الصحف المركزية منها التى تصدر يوميا فى موسكو نحو ٤٠ صحيفة ، ولكنها توزع فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتى ويقرأها نحو عشرة ملايين نسمة . وأهم هذه الجرائد جريدتان توزع الواحدة منهما نحو مليونين ونصف مليون نسخة يوميا .

والى جانب ذلك تصدر نحو ٥٠٠ جريدة اقليمية يقرأها ١٢ مليون نسمة ، ونحو ثمانية آلاف صحيفة قروية تطبع نحو ١٦ مليون نسخة. وهذه الجرائد تطبع فى أكثر من ٧٠ لغة . وللكنيسة الارثوذكسية الروسية جريدة خاصة ، كما ان للاسكيمو القاطنين فى سيبيريا جريدتهم الخاصة

*

ويملى الحزب الشيوعى ارادته على هذه الصحف جميعا ، ويوجه سياستها العليا . . فرؤساء تحرير الصحف المركزية أعضاء فى الحزب .. وهم يشرفون على الجرائد الاقليمية ويختارون هيئات تحريرها . وهؤلاء يشرفون بدورهم على الصحف القروية الصغيرة . ويشرف على الجميع الرفيق «أندريه زدانوف» يعاونه فى ذلك الرفيق « جورج الكسندروف» مدير ادارة الدعاية فى اللجنة المركزية العليا للحزب الشيوعى

وفى جميع الأخبار المحلية، يجب ان يرجع رئيس التحرير الى أقرب لجنة فرعية للحزب ، وقد يرجع — اذا احتاج الامر — مباشرة الى مكتب المشرف العام على شؤون الصحافة . وعليه أن يسترشد فى كتاباته — بوجه عام — بما تنشره وكالة « تاس » التى تعد المصدر الوحيد الذى تستقى منه جميع الجرائد الروسية أنباءها الخارجية. وقد يقتبس المحررون من المقالات الافتتاحية التى تنشرها الجريدتان الكبيرتان «برافدا» و«اسفستيا» اللتان تعبران عن رأى الحزب .. وهذه الافتتاحيات تذاع كل مساء على موجات الاثير من راديو موسكو

لذلك يلاحظ المرء ان معظم الجرائد ذات صبغة واحدة، تشيع فيها روح واحدة وتتضمن مقالاتها نفس المعانى ، وان اختلفت الاساليب

وليست مهمة رئيس التحرير أن يخلق فى نفوس القراء وأذهانهم ميولا وأفكارا تساير وجهات نظر الحزب الشيوعى واتجاهاته فقط، وانما مهمته أيضا أن يثير فى نفوس القراء النشاط والهمة والمثابرة، كل فى عمله . لذلك يواصل محررو الجرائد الاقليمية — ابان وقت الحصاد — حملات لحفز همم الفلاحين . ثم تراهم بعد ذلك يوجهون حملتهم لعمال الغزل لحثهم على زيادة الانتاج قبل دخول الشتاء مثلا .. وهكذا . ويخصصون هناك مساحات كبيرة من الجريدة لمقالات هدفها تشجيع المصانع التى زاد انتاجها، أو الثناء على الزراع الذين طابت محاصيلهم ، أو العمال الذين أبدوا نشاطا كبيرا فى عملهم، أو العلماء والمكتشفين الذين ساهموا بنصيب فى ثروة البلد الاقتصادية

*

ولن تجد أثرا للنقد السياسى فى الصحف الروسية بوجه عام. ولكنهم يلجأون الى النقد اللاذع طالما كان وسيلة لتحسين الانتاج

الزراعى أو الصناعى . ولذلك يرحب رؤساء التحرير بكل الشكاوى التي ترد اليهم من القراء والتى تدل على قصور او اهمال اوخروج على النظام من اى شخص كان ــ مهما كان مركزه . وقد انتقد بعض القراء أخيرا المشرف العام على شؤون الصحافة بانه يضيع وقته سدى فى كتابة مؤلف عن الفلسفة الغربية ، فلم تر الجرائد ضيرا من نشر هذا النقد

وتعنى الصحف لذلك بجميع الشكاوى التى ترد اليها، وتنشرها عادة ، بعد فحصها، فى الصفحات الاولى من الجريدة فى مكان بارز . وكثيرا ما تجرى الجريدة بعد مدة تحقيقا ، يتعرف منه القراء على ما اتخذته السلطات المختصة من الاجراءات بصدد الشكوى. وتنشر احدى الجرائد الكبيرة فصلا خاصا بصفة مستمرة يتضمن هذه الاجراءات . وتتألف هيئة مكتب المشرف العام على شؤون الصحافة من ٤٠٠ موظف يقومون بفحص جميع الجرائد التى تصدر فى مختلف الانحاء ، فتوجه اللوم لرؤساء التحرير اذا قصروا فى عملهم ، فتجاهلوا خبرا هاما اوعجزوا عن حمل فئة من العمال او الصناع فى اقليمهم على مضاعفة العمل بنشاط فى ظروف خاصة ، أو اذا لم يتوخوا حسن العرض والتعبير فيما ينشئون من مقالات

هذا ، ويقيم فى مقر كل جريدة مندوب تابع لادارة خاصة بالنشر ملحقة بوزارة المعارف عندهم ، مهمته مراقبة الجريدة والاطلاع على محتوياتها قبل صدورها . . ولا تطبع الجريدة قبل ان يوقع على النسخة الاصلية هؤلاء المندوبون

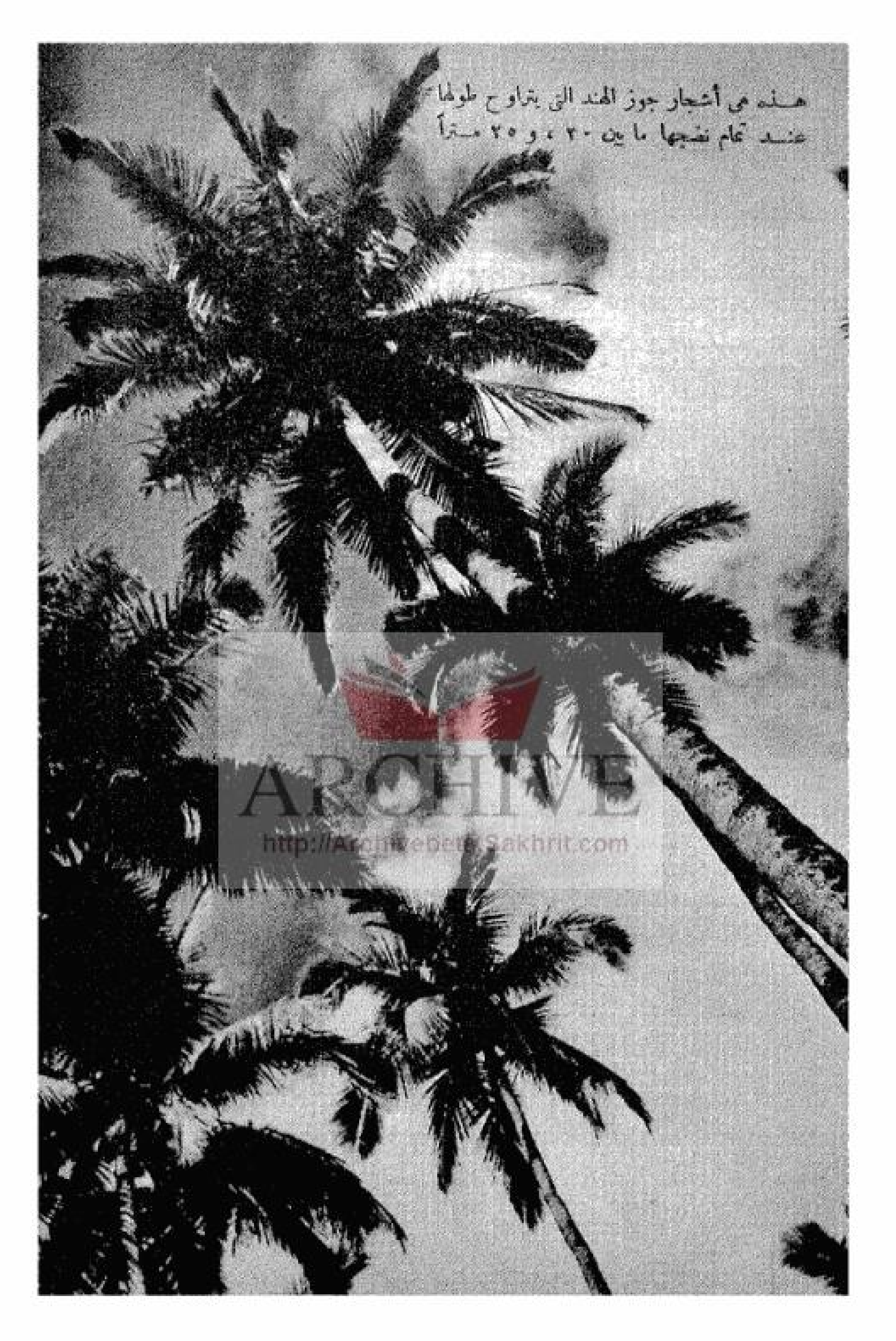
ويعرف الروس كثيرا عن هذه الرقابة . . ولكنهم بالرغم من ذلك، يعتقدون ان صحافتهم تتمتع بقسط من الحرية أوفر مما تستمتع به الصحافة الاوربية او الامريكية . . ذلك لان الصحف فى البلدان الاخرى يملكها ويديرها رأسماليون ، يتخذونها وسيلة لخدمة مصالحهم الخاصة . أما صحفهم . . فان الحزب الشيوعى يديرها ويوجهها لصالح الشعب . . ان الدستور السوفيتى يزعم انه يضمن حرية الصحافة ، ولكنه ينص ايضا على ان هدف الصحافة هو تدعيم النظام الشيوعى . . والشعب الروسى يقبل ذلك راضيا مسرورا

[عن مجلة « ورلد ريبورت »]

الحق والقوة

الحق يكون حيث القوة تؤيده، وهو لا يعترض القوة لانه قوة مستمرة. وانه لا يستنجد بالعدل قوى ، ولا قيمة للحق ولا للعدل بين أمم اختلفت قواها

[جوستاف لوبون]



هذه هي أشجار جوز الهند التي يتراوح طولها عند تمام نضجها ما بين ٢٠ ، و ٢٥ متراً

الخبز من جوز الهند



ظل أهالى جزر الفيلبين قرونا عدة ، لا ينتفعون من ثمار جوز الهند الا فى صناعة الخبز .. ولكنهم الآن يصنعون منها الوانا من الحلوى ويستخرجون زيتها الذى يستخدم فى صناعة بعض مستحضرات التجميل . ويصدرون ما يزيد عن حاجتهم الى الخارج . وتستورد أمريكا وحدها نحو ٩٠٪ من حاجتها من هذه الثمار ، من الفيلبين

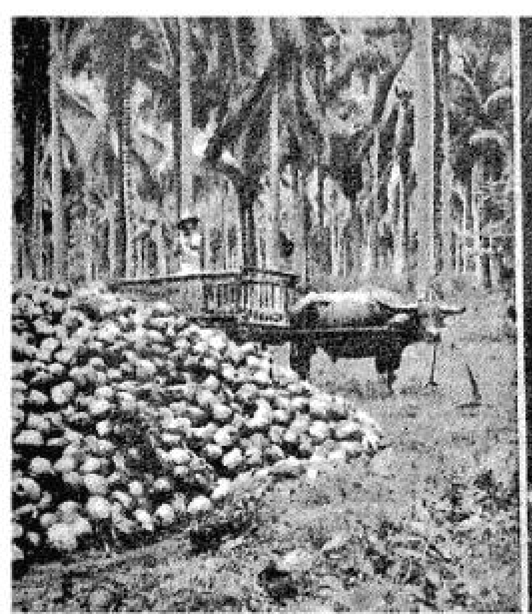
وقبل الحرب العالمية الاخيرة ، كان انتاج الفيلبين من هذه الثمار نحو ثمانية بلايين جوزة سنويا .. كان يستخدم نصفها فى عمل الخبز والحلوى ، و ٢٠٪ منها لاستخراج زيت جوز الهند ، و ٣٠٪ من هذه الثمار يصدر الى الاسواق الخارجية

ويتوقع أولو الامر فى الفيلبين — بعد أن افتتحت الاسواق ، وتوافرت نوعا ما سفن النقل — أن تروج تجارة جوز الهند — وهو المحصول الأساسى فى هذه البلاد — فيتمكنوا من سد العجز فى الميزانية العامة .. فواردات هذه البلدان ظلت طوال مدة الحرب ، تزيد عن صادراتها ..

والصور التى ننشرها على هذه الصفحات .. تسجل انتاج جوز الهند فى هذه الجزائر



عامل يمسك بآلة قطف الثمار



كومة من ثمار جوز الهند

فى ميناء مانيلا . . يقف هؤلاء العمال متأهبين لوضع صناديق جوز الهند التى يحملونها ، فى البواخر المعدة لتصديرها الى الخارج



المشردون فى أوربا

يرى الخبراء أن مشكلة المشردين فى أوربا لن تحل قبل مضى ثلاث سنوات على الأقل !

•

فى أوربا الآن ٨٢٥ ألفا من اللاجئين .. لا يرغبون فى العودة الى أوطانهم خشية الاضطهاد لأسباب سياسية أو دينية .. والرسم المنشور مع هذا المقال يوضح جنسياتهم ونسبة كل فريق منهم . ومعظم المشردين من أواسط أوربا ممن يمقتون النظام الشيوعى ويكفرون بمبادئه ، ولذلك رفضوا كل الدعوات التى وجهت اليهم من الروس للعودة الى ما وراء السور الحديدى . وقد سعت روسيا لدى الدول الكبرى لاتخاذ اجراءات حاسمة لارغامهم على العودة ، فلم تفلح

*

ويأمل المشردون أن تتاح لهم الفرصة للاقامةفى مكان يستطيعون أن يستمتعوا فيه بالحرية السياسية والدينية ، ويرجون أن تفسح لهم امريكا صدرها فتسمح لهم بالاقامة فى بعض ولاياتها . ولكن أعضاءالكونجرس الامريكى رفضوا الموافقة على تخفيف قيود الهجرة . أما اليهود منهم – ومعظمهم من بولندا – فهدفهم فلسطين

ويتم تنقل المشردين ببطء شديد منذ عام ١٩٤٥ . . ففى ذلك العام اعيد نحو سبعة ملايين أسير الى أوطانهم ، كانوا بالمانيا عند تسليمها ، اذ نقلهم رجال النازى من بلادهم خلال سنى الحرب ليعملوا فى مصانع المانيا ومزارعها ومؤسساتها . ولم تكن لأولئك الأسرى مشكلات خاصة ، فرحبوا بعودتهم الى بلادهم . وقد عاد منهم نحو ثلاثة ملايين الى روسيا ، وأكثر من مليونين الى فرنسا

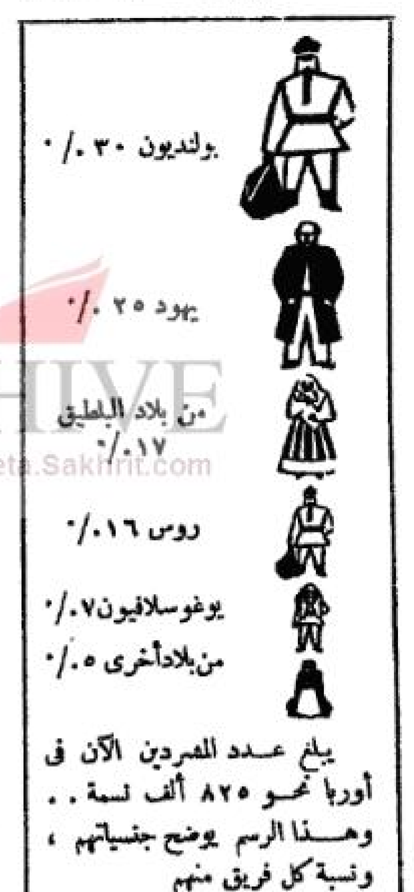
وفى سنة ١٩٤٦ ، لم يتجاوز عدد من نقلوا من اولئك المشردين ٦٠٠ الف مهاجر . وفى سنة ١٩٤٧ ، لم يرحل أولو الأمر سوى ٢٠٠ ألف مهاجر ، سافر معظمهم فى النصف الأول من العام . فلم يزد عدد الراحلين فى الاشهر الخمسة الاخيرة عن عشرة آلاف نسمة . والغريب أن عدد المشردين من اليهود ، لم يتغير طوال هذه الفترة ، فالذين يرحلون من معسكراتهم ، يحل محلهم آخرون يفدون من مختلف الدول

*

وتتلخص العقبات التى تحول دون تهيئة أماكن لاقامة هؤلاء المشردين فيما يلى :

١ – قوانين الهجرة فى معظم الدول تقف حائلا دون هجرتهم اليها . . فالولايات المتحدة لم تقبل فى العامين الاخيرين سوى ٢٠ الفا . وقد رفض اعضاء الكونجرس اخيرا مشروعا بقبول ٤٠٠ الف من هؤلاء المشردين فى مدى اربع سنوات

٢ – واعمال المشردين ومهنهم تؤثر فى رغبة الدول فى قبولهم . . فعمال المناجم والمصانع والمزارع



يبلغ عدد المشردين الآن فى أوربا نحو ٨٢٥ ألف نسمة . . وهذا الرسم يوضح جنسياتهم ، ونسبة كل فريق منهم

يفضلون على غيرهم . فالبرازيل وغيرها من ولايات أمريكا الجنوبية يرحبون بلاجئين يعملون فى القرى والمزارع ، لا باناس يقطنون فى المدن . وذلك يعنى عدم السماح لليهود واهالى البلقان من المشردين بالاقامة فيها ، فمعظمهم من ذوى المهن او التجار

٣ – والعمر عامل آخر مهم . . فعدد كبير من اولئك المشردين من الشيوخ والكهول . وهؤلاء غير مرغوب فيهم ، فهم يعتبرون عبئا على الدولة التى ينزلون فيها . وثمة بعض الدول ، كجنوب افريقيا تفتح ابوابها لعدد معين من الاطفال فقط . والاطفال فى الواقع مشكلة اخرى . . فان ٢١٪ من اولئك المشردين تقل اعمارهم عن الثامنة عشرة

٤ – والدين اعتبار آخر . . فعدد كبير من الدول لا يوافق على نزوح اليهود اليه . وفى بعض انحاء امريكا التى يغلب فيها المذهب الكاثوليكى ، تمنع السلطات الحاكمة فيها دخول اليهود والبروتستانت حتى تحتفظ البلاد بطابعها الكاثوليكى السائد فيها

٥ – والجو ايضا يقف عقبة فى سبيل حل المشكلة . . فكثير من المشردين لا يستطيعون العيش فى بعض المناطق الاستوائية الشديدة الحرارة التى ترحب بقدومهم

٦ – وقد كانت قلة سفن النقل عاملا مهما فى بطء حركة نقل اللاجئين من اوربا الى البلدان الاخرى

٧ ـ ونفقات النقل أيضا عامل مهم .. فان نقل المسافر من اوربا الى جنوب امريكا مثلا يتكلف ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دولار . . وبالرغم من أن لجنة خاصة دولية تألفت للبحث فى شؤون المشردين فى اوربا ، فانها لم تتخذ حتى الآن اجراءات حاسمة لجمع النفقات اللازمة لاسفارهم وتحسين حالهم . ويندر أن تجد احد هؤلاء المشردين يستطيع أن يدفع اجر سفره

*

ويقيم هؤلاء المشردون الآن فى معسكرات، تحت اشراف الهيئات الحربية ، ويحيون حياة رتيبة مملة . وتختلف هذه المعسكرات اختلافا بينا .. فبينما لا يقطن فى بعضها سوى عدد قليل ، اذ يبلغ عدد المقيمين فى البعض الآخر اكثر من ١٥ الف شخص. وبينما تجد بعض هذه المعسكرات مثالا للنظافة والنظام ، وبها مراكز للبوليس للمحافظة على الامن ، ومتاجر صغيرة ومدارس لتعليم اللاجئين بعض الصناعات التى تعينهم على كسب عيشهم ، نرى البعض الآخر مهملا قذرا لا يصلح للسكنى . وحصص هؤلاء المشردين من الطعام ، لا تكاد ـ بوجه عام ـ تقيم أودهم

[عن مجلة « ورلد ريبورت »]

كيف نتق الشيب والصلع ؟

لاحظ الرحالة المعروف الجنرال « جريلى » ان رأسه قد شاب عقب رحلة حافلة بالاخطار فى الاصقاع المتجمدة ، على انه ثبت له فيما بعد أن شيبه لا يرجع الى المخاطر التى خاضها وانما يرجع الى افتقاره للغذاء الكافى ، اذ عاد شعره الى الاسوداد تدريجا بعد عام من عودته

ودلت التجارب العلمية على أن أربعة أنواع من فيتامينات «ب» تعيد الى الشعر لونه الطبيعى الى حد ما ، واذا ضعف فعلها فهى توقف المشيب عند الحد الذى بلغه . ولعله قريب ذلك اليوم الذى يتوقى فيه الانسان الشيب بتعاطيه قرصا من هذه الفيتامينات يوميا

أما الصلع .. فقد وجد الدكتور « وولى » عضو معهد روكفلر أن «الاينوسيتول» ونظائره من فيتامينات «ب» تمنع تساقط شعر الفيران . وقد جربه فى علاج رجل اصلع فنمت شعيرات وسط المساحة الصلعاء من رأسه . وبذلك ثبت أن للفيتامينات تأثيرا على الشعر من حيث النمو والكثافة ، وان كان لطبيعة الشعر نفسه أثر كبير فى ذلك

هـذه طائفة من المسائل الاجتماعية والنفسية تهم كل قارىء وقارئة .. يجيب عنها عالم من كبار علماء النفس

مسائل تهمك

■ هل من الحكمة أن يهدف الشباب من الجنسين عند الزواج الى المال ؟

ـ لا .. وان بدا ذلك منطقيا في بعض الأحايين، فقد يخيل لكثيرين أنهم يصبحون سعداء لو ملكوا مالا وفيرا، يشترون به كل ماتهفو اليه نفوسهم، ويمكنهم من الظفر بالمراكز الاجتماعية التي يتوقون اليها .. ولكن التجارب دلت على ان ذلك وهم باطل لا يتحقق الا في حالات نادرة. فكما ان الاطعمة التي تشتهيها النفس، قد تسمم المرء وتقتله اذا وضع فيها قدر قليل من السم .. كذلك المتعة التي يتوهم الشاب او الشابة انه يستطيع أن يشتريها بالمال الذي تملكه الزوجة او يملكه الزوج، تنقلب في الغالب شقاء وتغدو منغصا للمرء في حياته اذا كانت على حساب الكرامة وعزة النفس

ان الآباء يخطئون خطأ فاحشا حين يزنون أزواج بناتهم أوزوجات بنيهم بما يملكون أو بما يملكن من ثروة وعقار .. حاسبين ان المال هو عصب السعادة والهناء في الحياة الزوجية

■ هل التواضع دائما فضيلة ؟

ـ قد يكون الشخص الذي يكثر من الزهو بفعاله وفضائله ومواهبه اشد تواضعا من شخص يردد في حديثه الكثير من العبارات التقليدية التي تنم عن التواضع وانكار الذات . فالواقع ان معظم هذه العبارات ليست سوى وسائل لتصيد الثناء والمديح .. فنحن لا نعني مطلقا المدلول الحقيقي للعبارات التي نوجهها لانفسنا بدافع التظاهر بالتواضع. ولكنا نامل ـ ونحن نتفوه بها ـ ان يعكسها أصدقاؤنا والمستمعون الينا، فننتشي بما يقولون وتزول الشكوك التي تساورنا بصددها، والتي يحملها حديثنا عن انفسنا في ثناياه . وللتدليل على ذلك .. تصور ماذا يحدث لو انك وافقت على ماتقوله زوجتك أو خطيبتك وهي تهمس في أذنك « انني لا أبدو الليلة جميلة » ، أو اذا جمعت بين الرقة والصراحة فلم تنبس بكلمة، ولم تقل شيئا تعقيبا على هذه العبارة . من الخير ان يدرس المرء نفسه جيدا، وأن ينظر الى ملكاته وفضائله ونقائصه نظرته الى مواهب الغير ونقائصهم . فلا ينتقص من كفايته أمام الناس ،

كما لا يجد غضاضة فى التصريح بمساوئه والاعتراف بما يجهله . وعلى الرغم من ان واحدا منا لا يستطيع أن يفعل ذلك دائما وفى كل مناسبة ، الا انه يستطيع ان يفعل ذلك فى كثير من المناسبات لو اراد ذلك وروض نفسه عليه

اما ان يتعمد الانسان التظاهر بالتجرد من المواهب كى يحمل مخالطيه على الاعتقاد بتواضعه وبعده عن الغرور والزهو ، فأمر يفوت عليه فرصا هامة فى الحياة، كما قد يوحى اليهم بخداعه وعدم اخلاصه، وبخاصة فى الامور التى يجيدها ويتحاشى بالفعل الحديث عنها. لذا ينبغى ان يظهر المرء امام الناس كما هو بصورته الحقيقية دون مغالاة فى تزويقها أو تشويهها. فذلك اكثر وقعا فى نفوس الغير وادعى الى الفوز فى معركة الحياة

■ **هل هناك اشياء لا يستطيع البعض من ذوى الكفايات العادية أن يتعلموها ؟**

— لو أننى لا ازال تلميذا فى المدرسة الابتدائية ، لقلت نعم . . ولأيدنى فى ذلك مدرس الرسم الذى قال عنى مرة لناظر المدرسة : « ان هذا التلميذ يبذل كل ما فى وسعه ليرضينى ويتحسن فى الرسم ، ولكننى — بعد محاولات عدة — تيقنت من عجزه التام عن مجاراة رفاقه فى الفصل» . . ولكننى الآن بعد مضى اربعين عاما — اعتقد ان حالتى لم تكن تدعو الى اليأس كما تصور مدرسى ، وكما تخيلت انا فى ذلك الحين . ان ما عاقنى عن التقدم فى مادة الرسم — كما ارى الآن — ليس افتقارى الى موهبة الرسم ، وان كنت أعترف أننى لست ذا هبة خارقة فى هذه الناحية ، وانما هو مجموعة عوامل نفسية غامضة تضافرت على شل يدى فى حصة الرسم واعجازى عن تصوير ما اراه او تسجيل ما اتخيله على الورق. وعلى رأس هذه العوامل ، الخوف من تعريض كرامتى — التى كنت اغلو فى الاعتزاز بها — للهوان ، وذلك حين اضطر لمواجهة الحقيقة، واقر بأن هناك شيئا يستطيع معظم رفاقى ان يفعلوه خيرا منى، وفى سهولة ويسر عنى. وقد ادت هذه العوامل النفسية — دون وعى منى — الى العصيان والتمرد وعدم الاصغاء الى كل ما يلقى على من نصائح وارشادات فى الرسم . لقد كانت هذه العوامل اقوى بكثير من رغبتى ومحاولاتى التقدم فى الرسم . . فكرهت هذه المادة واصبحت حصة الرسم فترة بغيضة الى نفسى

ولو ان لى ولدا فى المدرسة الآن ، وكان دائم الرسوب فى مادة معينة ، ما لمته او حكمت عليه بعجزه عن دراسة هذه المادة . وانما كنت ابحث اولا عن النواحى النفسية التى قد تكون سببا فى اخفاقه واحاول ان اصححها

حقا . . ان لكل منا ملكته الخاصة ، ولكن العقول التى تجيد التفكير فى اتجاه خاص ،

يمكن تدريبها فى اى اتجاه آخر ، اذا لم تحل بعض العوامل النفسية دون ذلك

■ هل النميمة وليدة احساس بالنقص ؟

ــ قد تكون كذلك .. حين تكون غايتها الخفية ان نجذب الى مستوانا شخصا تحسده ونعتبره فى مستوى اعلى من مستوانا . والانسان لا يحسد اخاه على شيء لا يتمنى هو نفسه أن يكون له . فاذا حسدت الآنسة فاطمة مثلا الآنسة علية على فتنتها وجمالها ، فانما يكون ذلك لانها تتمنى أن تكون فى مثل جمالها وجاذبيتها . وغالبا ما تغريها طبيعتها البشرية أن تختلق اشاعة اوخبرا او رواية تنتقص من مكانة غريمتها ، ثم تعمل على تعميم هذه الرواية بين معارفها . فهى توجد بذلك متنفسا للكراهية التى أذكاها الحسد بين ضلوعها . فبالنميمة والثرثرة والاكثار من القيل والقال عن الفتاة التى تحسدها، تطبع فى مخيلتها صورة وهمية للآنسة علية لا تفضل صورتها ، بل تقل عنها جمالا واغراء . وبذلك تحس بنشوة يبعثها فى نفسها خيالها بانها قد جذبت غريمتها الى مستواها بل دفعتها الى مستوى ادنى

والمشاهد أن الاشاعات التى تسيء الى سمعة من يفضلوننا فى مراكزهم الاجتماعية واحوالهم المادية ، تجد عادة آذانا صاغية ، وبخاصة عند اولئك الذين يتملكهم الاحساس بالاخفاق فى الحياة

■ هل ينبغى عقاب الاطفال على ما يقولون من اكاذيب ؟

ــ حين يروى لك ابنك رواية تدرك انه يثق بعدم صحتها وانه يهدف بها الى خداعك، كان يقول مثلا ان اخاه الوليد الذى لم يتعلم المشى بعد ، هو الذى اخذ الصورة من المكتب ومزقها .. فى هذه الحالة ينبغى أن توضح له ان روايته كاذبة وغير معقولة . ولعله من المستحسن عقابه اذا استمر فى خداعك بمثل هذه الاقوال. ولكن ينبغى الا يؤنب الطفل اذا ذكر حوادث او قصصا تدور حول اشخاص لا وجود لهم . فقد تبدو للطفل هذه الحوادث والاقاصيص وكأنها حقائق شهدها بعينيه. فالطفل يولد .. وهو عاجز عن التمييز بين الحقيقة والخيال . والواقع ان بين البالغين كثيرين لم تنضج فيهم بعد هذه الملكة . فزجرك له فى هذه الحال ــ وبخاصة اذا كان بطيئا فى اكتساب ملكة التمييز بين الحقيقة والخيال ــ كزجرك له لبطئه فى تعلم المشى ، لا أساس له ، لانه لا جريرة له فى الحالين . ويقول علماء النفس ان للطفل ــ وهو فى الثالثة من عمره ــ « أصدقاءه الخياليين » وانه لا ينبغى ان تخيفه أو تحول دون افصاحه عما يساوره من تصورات عن هؤلاء الاصدقاء الخياليين . ولا ينبغى ان تقلق عليه الا اذا انساه أصدقاء احلامه

اصـــدقاءه ورفاقه فى الواقع . فلا بد من تعويد الطفل الاتصال بالعالم الحقيقى واعداده لهجر قعالم الاحلام فى الوقت المناسب — ذلك العالم الذى يتخذه ملاذا فى مستهل حياته ليتحصن فيه من حقائق الحياة التى لاتخلو من مرارة وايلام

■ هل صنيع المرء وفعاله تدل على خلقه ؟

— نعم فى كثير من الاحوال .. ولـكن ما يقرر خلق المرء — فى الواقع — ليس فعاله وانما نواياه. وقد يستطيع المرء ان يكتم نواياه فترة طويلة من الزمن ، ولـكنها تضطرم بين جوانحه من وقت لآخر فيعجـــز صاحبهـــا عن مقاومتها . فقد ترى صرافا عاش وقتا طويلا مثـــالا للأمانة — فى الظاهر — يقدم على اختلاس ما فى حوزته من اموال ، او زوجا ظل سنوات مخلصا لشريكة حياته، يقدم على خيانتها . لانهما فى الحالين كانا يتصنعان الامانة والاخلاص . فهل هناك وسيلة لاستشفاف هــذه النوايا والتعـرف على الطبـاع والخلق التى يخفيهـــا البعض وراء عباراتهم المنمقة واقوالهـم الكاذبة وخلعاتهم الزائفة ؟

ان الشخص ذا السريرة الصافية والوجدان الخالص يكون فى العادة هادئا مرحا راضيا بحاله . بينما الشخص الذى يكبت فى نفسه نوازع الاثم، تبدو على وجهه من حين الى حين امارات التزمت والضيق . فاذا ما سنحت الفرصة، زحزح بعض ما ينوء به صـــدره من اثقال فى ثورة عصبية يتبدى فيها خلقـــه الحقيقى ونواياه . والخلاصة ان فعال المرء تدل على خلقه اذا كان هادىء الطبع مرحا بطبيعته

■ هل تخشى بالفطرة التغيير والتبديل فى اوضاع الحياة ؟

— يقول بعض علماء النفس ان الجميع يبغضون التغيير والتبديل فى مرحلة الطفولة ، وان الطفـل يتضايق — وان لم يفصح عن هذا الضيق — حتى من انتقال عائلته من منزل الى آخر . ولكن الخوف من التغيير بعد أن يغدو الطفـل شابا ، يتـوقف على الظـروف المحيطة به . ويقـول الدكتـور « الفرد ادلر » : ان الابن الاكبر يبغض التغير والتجديد عادة ، فهو لا ينسى أن ولادة اخيه الاصغر افقدته مكانته عند ابويه ، بينما يميل الاطفال الآخرون الى فكرة التبديل وقلب النظم ، لان ذلك يعينهم على زحزحـة اخوتهم واخواتهم الكبار من امكنتهم

وقد دلتنى الاختبارات على ان المرء الذى كانت فترة طفولتـه اسعد من مرحلة المراهقة أو دور الشباب فى حياته ، يكون عادة من المحافظين الذين ينزعون الى الماضى ويبغضون التطور والتجديد .. ذلك لانه يميل — فى قرارة نفسه — الى العودة الى الوراء والاستغراق فى أحلام « الايام الحلوة الخالية ». بينما تجد الرجل الذى كان شقيا فى طفولته ، ينزع الى التحليق فى آفاق جديدة ، والعيش فى دنيا جديدة

هل أنت عصبي المزاج ؟

من الاخطاء الشائعة بين الناس، ومنهم المثقفون، ان الرجل العصبي المزاج لا بد ان يكون ضعيف الاعصاب . وكثيرا ما نسمع احدهم يقول ان فلانا كتلة اعصاب، او انه متوتر الاعصاب ، او ان اعصابه كالهشيم . والمعنى المقصود من هذه العبارات وسواها مفهوم ، ولكن المفردات المستعملة في تأدية هذا المعنى لا تنطبق على الحقيقة ، اذ هي في الواقع مجرد استعارات يجب الا تؤخذ بحرفيتها . فالاعصاب ـ وهي الخلايا او الخيوط الدقيقة الطويلة التي يتألف منها الدماغ والنخاع الشوكي ـ لا تتوتر ، ولا تكون مشدودة، وقد نحس بالتوتر وحدة المزاج وما شاكل ذلك ، ومع ذلك تكون اعصابنا سليمة ، لا غبار عليها

*

وقد يبدو فيما نقول تناقضا، اذ كيف يكون الانسان عصبيا او متوتر الاعصاب ، وتكون اعصابه سليمة ، ولا شأن لها فيما يشكو منه صاحبها ؟ ومع هذا التناقض في الظاهر فان قولنا لا يتجاوز الصواب . فمهما كان توتر الاعصاب شديدا ، ومهما اصبح صاحبها عاجزاً عن العمل بفعل الهستيريا او النوراستانيا او ما عداهما ، فاننا اذا فحصنا اعصاب المخ او النخاع الشوكي وما يتفرع منها الى الاطراف وسائر اعضاء الجسم ، فحصا طبيا دقيقا ، باحدث ما لدى الطب من وسائل التشريح المكرسكوبي ، فلن نجد اقل دليل على اصابة هذه الاعصاب او اختلافها عن اعصاب الرجل السليم المعافى . فاذا كان المجهر لا يكشف لنا عن سر المرض فلنبحث عنه اذن في غير الاعصاب

*

ومما يؤيد هذا القول ، ان كل مرض عضوي يصيب الاعصاب حقيقة ، يكشف عنه المجهر بما لا يترك مجالا للشك، اذ نرى التغير النسيجي جليا للعيان ، ونجد الخيوط العصبية مشوهة كالبناء بعد أن تلتهمه النيران . والخيط العصبي السليم يبدو كالسلك المستقيم داكن اللون ، في حين ان المصاب يكون متكسرا بغير نظام كسلك تليفون اعطبته ريح عاتية

بيد ان اصابة الخيوط العصبية اصابة عضوية حقيقية ، ليس معناها أن يكون صاحبها عصبي المزاج ، اذ أن هذه الاعراض التي ذكرنا ليست اعراض العصاب

« المرض العصبى » . وحقيقة التشخيص تتوقف على موضع الخيوط العصبية المصابة ونوع الاصابة . مثال ذلك،اذا أصيب العصب ببرد شعرنابالم وغضاضة وشدة حساسيةفي الجزءمن الجسم الذى تمر به تلك الخيوط

ومن الظاهرات المألوفة بين طلاب المدارس والجامعات ، انهم يشكون قبيل الامتحانات من خفقان فى القلب، ومن احاسيس غريبة الاطوار فى المعدة وغيرذلك، ومع ذلك فان اعصابهم لم يصبها اذى . فاذا انتهى موسم الامتحانات وظهرت النتيجة — خصوصا اذا كانت حسنة — زال الخفقان وغيره من الاحاسيس. أما اذاكان هذا الخفقان أوالاحاسيس كثيرة الحدوث ، أو تستمر زمنا طويلا، فقد يكون صاحبها مريضا حقيقة بالعصاب (المرض العصبى)، أو قد تكون غدته الدرقية مصابة، أو قد يكون السبب غراما عنيفا. والخطوة الاولى التى يجب اتباعها فى هذه الحالات،تتبع أثر الشكوى أو الالم والوقوف على أصلها أو سببها ، فقد يكون سبب الحريق اتصال سلك كهربائى عار بآخر ، أو شررا يتطاير من الموقد. كذلك المرض العصبى قد ينشأ من عدة أسباب . لهذا السبب يتردد اطباء الامراض العقلية كثيرا قبل وصف الدواء ، اذ من العبث احيانا أن يصفوا هذه العقاقير أو تلك لوجع الرأس ، أو مرض المعدة ، أو الارق ، وخير من هذا ان يبحثوا عن مصدر هذه الاوجاع، ونتيجة البحث فى الغالب تدل الطبيب على أن سبب هذا المرض أو ذاك الالم ، صدمة وجدانية ، أو تنازع في مسألة هامة من مسائل الحياة ، أو زوبعة نفسية قلبت الاوضاع ، وهكذا . وفى هذه الاحوال يبذل الطبيب النفسانى جهده فى توجيه المريض توجيها يتفهم به ذاته ، ويضبط عنان وجدانه

نسمع كثيرا أن زيدا من الناس عصبى المزاج ، فماذا نعنى بذلك؟ وهل كل عصبى المزاج يشبه سواه ؟ هل الامراض واحدة ؟ كلا . هناك أربعة أنواع يمكن تمييز بعضها عن بعض

أولا — أعراض «حركية» Motor وهى حركات لا ضابط لها يبديها صاحبها ، وتتناول جزءا أو أجزاء من جسمه أو كل جسمه احيانا ، وهذه نبضات وقفزات عضلية غير منظمة لا علاقة لها بمرض عضوى ، وانما هى تبرم وتململ ونزوع الى سرعة التهيج. وتبدو هذه الحركات احيانا فى صورة نشاط فوق العادة ، يشوبه شىء من القلق والخوف. ويكون صاحبها فى أكثر الاحايين عاجزا عن الاسترخاء والاستلقاء فى راحة وهدوء ، اذ يكاد لا يعرف للراحة والهدوء معنى

ثانيا — أعراض حسية. ويقصد بها شدة الحساسية للمنبهات التى تصل الى الوعى عن طريق الحواس. مثال ذلك أن رجلا يزعجه صوت

ابرة فوق لوح اردواز ، وآخر يجفل ويقفز لحدوث اخف الضوضاء . فجميع الاصوات عندهم عالية مزعجة حادة، وجميع الاضواء عند بعضهم قوية تعمى العيون ، كما أن روائح كثيرة عند البعض الآخر كريهة تعافها النفس، والكثير من الطعوم لا يستسيغها اللسان . ويعرف الكاتب رجلا لا يحتمل بتاتا قطعة من الملابس الحريرية على بدنه

ثالثا ـ اعراض نفسية ـ او عقلية ـ محضة.. وتسبب هذه الاعراض عن افكار وحوادث وصدمات فى الحياة اليومية ، وخواطر طارئة ـ كلها تخيف صاحبها ، وتزيد من حساسيته، وريبته فى كل ما يحدث ، وفقدان ثقته فى الغير وفى نفسه، والشعور بالنقص بلا مبرر ، وعدم اكتراث بالحياة ، والعجز عن ضبط النفس ، والتردد ، وخشية الاقدام على اى عمل ما

رابعا ـ اعراض احشائية . وهى ما تتعلق باعضاء الجسم الداخلية ، كان يحس احدهم بخفقان فى القلب وسرعة النبض والم فى المعدة ، بغير ان يكون لهذه اتصال بمرض عضوى ظاهر

*

والمثال الآتى يوضح العلاقة بين الجهاز العصبى وهذه الامراض الاربعة المشار اليها :

اطلق بجوارك عيارى نارى ، فتقفز وتجزع ، فيقال انك عصبى المزاج فماذا حدث ؟ بلغت الامواج الصوتية اذنيك، وسرت فى اعصاب السمع ـ كمنبهات سمعية ـ ثم توزعت هذه المنبهات ، فبلغ بعضها الدماغ ، وذهب البعض الآخر عن طريق الاعصاب الحركية الى شتى اعضاء الجسم ـ الى عضلات الذراعين والساقين ، الى القلب والرئتين والامعاء الخ . فلولا الاعصاب الحسية التى تربطنا بالعالم الخارجى ، لما كنت سمعت العيار النارى ، ولولا الاعصاب الحركية لما كنت قفزت، ولولا الاعصاب الذاهبة الى القلب والرئتين والامعاء، لما أسرع نبضك وخفق قلبك، واضطربت انفاسك، وحركات امعائك. ولولا الاعصاب الحسية الخارجة من القلب والرئتين والامعاء ، لما شعرنا باضطراب هذه الاعضاء التى تكون شطرا مما نسميه الوجدان . واخيرا لولا المخ لما كنت تحس او تعى شيئا من هذا كله ، ولما شكوت لأحد او قصصت عليه ما تحس به

*

من هذا يتبين لك جليا اهمية الجهاز العصبى ، ولكنك تعلم الآن انه من الخطأ أن نقول ان الجهاز العصبى كان بسبب خوفنا او عصبية المزاج فينا . كذلك اذا جالت بخاطرك تصورات او أفكار تسبب عنها قلقك وخوفك، فمن الخطأ ان تنسبها الى الجهاز العصبى. ان العيب فى هذه الحالة راجع الى أصل هذه الافكار والتصورات

[عن كتاب «اكتشاف أنفسنا» لمؤلفه إدوارد شستريتر]

اختبر ذكاءك ..!

نستحب التسلية الذهنيـة في أوقات الفراغ . . واليك مجموعة مختارة من الأسئلة والمسائل المبسطة ، فيهـا ما يسليك ويسرى عن جلسائك

[الأجوبة على صفحة ١٦٢]

— ١ —

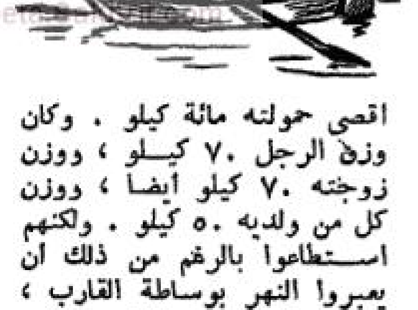
سأل رجل زوجته عن الساعة ، فقالت له :

— من الساعة الثانيـة عشرة ظهرا حتى الآن ، مضى من الوقت ما يعادل خمس الوقت منذ الآن حتى منتصف الليل ..

فكم كانت الساعة ؟

— ٢ —

أراد رجـل كانت تصحبه زوجته وولداه أن يعبر نهرا ، ولم يكن لديه سوى قارب صغير



اقصى حمولته مائة كيلو . وكان وزن الرجل ٧٠ كيـلو ، ووزن زوجته ٧٠ كيلو أيضا ، ووزن كل من ولديه ٥٠ كيلو . ولكنهم استطاعوا بالرغم من ذلك أن يعبروا النهر بوساطة القارب ، من غير أن يتجاوزوا اقصى حمولته .. فماذا فعلوا ؟ مع العلم بأن الرجل وزوجته وكلا من ولديهما يجيدون التجديف

— ٣ —

تزوج أرمل بارملة ، وكان لكل منهما عدد من الاولاد من الزوج السابق .. وعاش الاولاد مع الزوجين فى منزل واحد . وبعد سنوات اجتمع ثمانيـة اطفال — ليس فيهم غريب عن هذه العائلة — حول المائدة سـاعة الغداء .

فقال الرجل للمرأة :

— ان أطفالى الستة يجلسون الآن مع اطفالك الستة حول المائدة فكيف تفسر هذه العبارة ؟

— ٤ —

أجب عن هذه الأسئلة :

أ — ما قرابة طفـل لوالده الحقيقى ، حين لا يكون ابنه ؟

ب — ما اسم أطول انهار اوربا ؟

ج — ما هى الاعداد الثلاثة ، التى يساوى مجموعهـا حاصـل ضربها ؟

د — ما هو النبـات الذى لا تستعمل أوراقه للغذاء أو للملبس أو للتدفئة .. ومع ذلك فاننـا نراها فى كل طريق وفى كل يوم من أيام السنة ؟

هـ — من كان فى سنة ١٩٣٧

اصغر ملوك العالم الجالسين على العرش ؟

و ـ هل تعلم في اية سن قضت « جان دارك » نحبها ؟

ز ـ من انشأ الاكاديمية الفرنسية ؟

ح ـ هل تستطيع ان تكتب الرقم (٢) ثلاث مرات ، بحيث يكون الناتج (٢٤)

ـ ٥ ـ

اذا كان عمر ليلى ضعف عمر سمير ، وعمر سمير ضعف عمر نزيه ، وعمر نزيه ضعف عمر نادية ، فاي هذه العبارات صحيحة :

ـ ليلى ونزيه في سن واحدة
ـ ليلى اصغر من نادية
ـ نزيه اكبر من سمير
ـ ليلى اكبر من نادية

ـ ٦ ـ

قسم العدد (٤٥) الى اربعة اعداد ، بحيث انك :

اذا اضفت (٢) الى العدد الاول ، وطرحت (٢) من العدد الثاني ، وضربت العدد الثالث في (٢) ، وقسمت العدد الرابع على (٢) .. فانك تحصل على نفس الجواب

ـ ٧ ـ

اطلب من احد اصدقائك ان يختار ورقتين من اوراق اللعب ، من غير أن يطلعك عليهما ـ على الا يكونا من الاوراق المصورة ، ثم أطلب منه أن يضرب رقم احدى الورقتين في (٥) ، ثم يضيف (٧) الى الناتج ، ثم يضرب الناتج في (٢) ، ثم يضيف الى حاصل الضرب رقم الورقة الثانية . ثم سله عن حاصل الجمع الاخير .. انك تستطيع ـ حين تعرف حاصل الجمع ـ ان تبين له الورقتين اللتين اختارهما .. فهل تعرف الطريقة .. ؟ ! انظر الاجوبة

الأجوبة

١ ـ كانت الساعة الثانية بعد الظهر .. فمن الساعة الثانية عشرة ظهرا حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، ساعتان . ومن الساعة الثانية بعد الظهر حتى منتصف الليل ١٠ ساعات . وبذلك يكون الزمن الاول معادلا لخمس الزمن الثاني

٢ ـ عبر الولدان معا بالقارب ـ ووزنهما ١٠٠ كيلو ـ ثم عاد أحدهما ، ولنسمه محمدا ، بالقارب وبقي الآخر ، ولنسمه محمودا ، على الضفة الاخرى . ثم عبرت الزوجة وحدها ، بعد أن ترك لها محمد القارب . وعند ما بلغت الشاطىء الآخر ، اخذ منها محمود القارب وعاد به الى والده واخيه . وعبر الولدان النهر مرة أخرى . ثم رجع محمد وحده بالقارب الى أبيه ، فاخذ منه الرجل القارب وعبر به الى حيث زوجته وولده محمود . فأخذ منه محمود القارب مرة اخرى وعبر النهر لياخذ أخاه . وعادا سويا الى ابيهما وامهما . وبذلك تمكنت هذه العائلة من

عبور النهر بالقارب الذى لا تزيد حمولته عن ١٠٠ كيلو

٣ ـ كان لكل من الارمل والارملة قبل الزواج ، ولدان من الزوج المتوفى .. ثم انجبا اربعة اطفال آخرين ، فاصبح مجموع الاولاد ثمانية ، « ستة » لكل منهما

٤ ـ ا ـ ابنته ، ب ـ نهر الفولجا ، ج ـ ١ و ٢ و ٣ .. فان (١ + ٢ + ٣) = (١ × ٢ × ٣) ، د ـ نبات التبغ ، هـ ـ جلالة الملك فاروق الاول ، و ـ ماتت « جان دارك » وهى فى التاسعة عشرة من عمرها ، ز ـ انشا الاكاديمية الفرنسية « ريشيليو » ، ح ـ (٢٢ + ٢) = ٢٤

٥ ـ العبارة الصحيحة : « ليلى اكبر من نادية »

٦ ـ الاعداد الاربعة هى بالترتيب : ٨ و ١٢ و ٥ و ٢٠ وذلك لأن (٨ + ٢) = (١٢ ـ ٢) = (٥ × ٢) = (٢٠ ÷ ٢)

٧ ـ لذلك اطرح (١٤) من الرقم الذى يخبرك عنه صديقك ، فلو فرضنا ان باقى الطرح ٦٣ ، كانت الورقتان (٣) و (٦) .. فبتطبيق الارشادات المطلوبة : (٣ × ٥ = ١٥) و (١٥ + ٧ = ٢٢) و (٢٢ × ٢ = ٤٤) و (٤٤ + ٦ = ٥٠) واخيرا (٥٠ ـ ١٤ = ٣٦) .. الورقتان (٦) و (٣) ولو اننا ضربنا الرقم (٦) بدلا من (٣) ، لكانت (٦ × ٥ = ٣٠) ، (٣٠ + ٧ = ٣٧) ، (٣٧ × ٢ = ٧٤) و (٧٤ + ٣ = ٧٧) واخيرا (٧٧ ـ ١٤ = ٦٣) .. الورقتان (٣) و (٦)

اقوال حكيمة

ـ فى وسعك ان تحكم على المرء باعدائه ، كما تستطيع أن تحكم عليه باصدقائه !

ـ حين تفكر فى الاقتصاد لوقت الشيخوخة .. لا تنس ان تقتصد بعض الذكريات الطريفة والمناسبات المرحة

ـ الحرية لا تعطى وانما تؤخذ .. وحينما تؤخذ ، ينبغى أن نعرف ماذا نصنع بها !

ـ الحب الخالص .. شىء يتحدث عنه المرء ـ فى هذا العصر ـ كثيرا ، ولكنه قل أن يراه !

ـ السنة .. فترة من الزمن مؤلفة من ثلاثمائة وخمس وستين ـ واحيانا ست وستين ـ خدعة !

ـ ما نحتاج اليه الآن ، ايد اقدر ـ لا تستنكف من العمل ـ وعقول انظف .. قديرة على ادارة العمل !

ـ فى كل دولة .. عدد من المجرمين والمشردين والخارجين عن القانون ، بالقدر الذى تستحقه !

ـ الطفولة .. حقبة من العمر ، يعلم الناس فيها جميعا الاطفال كيف يكذبون !



هذا باب يفتتحه الهلال ابتداء من هذا العدد ليقف القارىء على حركة التأليف والنشر شهراً بعد شهر . . نعرض فيه ما يصل الينا من المؤلفات الحديثة فى العلوم والفنون والآداب

عائشة والسياسة

تأليف الاستاذ سعيد الافغانى

وضع الاستاذ سعيد الافغانى هذا الكتاب ، ونقل فيه صوراً حية ، تمثل أعنف نشاط سياسى شهدته الجماعة الاسلامية فى صدر الاسلام ، مبينا نصيب « السيدة عائشة » فى هذا النشاط ، وموضعها منه . وقد نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وقد جاء فى بعض فصوله :

« .. لم يتح للسيدة عائشة ان يكون لها أدنى أثر على عهد الخليفتين العظيمين ابى بكر وعمر ، فانهما كانا من الكفاية وحسن القوامة على أمور الرعية ، بحيث ساقا الفحول المحنكين أولى الدهاء من الرجال ، فما بالك بالنساء ؟ ! لقد كان شأنها – شأن أخواتها من امهات المؤمنين – مقتصراً على الرواية والتحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وكان الناس حين يفزعون الى أزواج النبى لايبدأون الا بها ، فكان لها فيهن مكان الزعيم

« فلما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، سارت السيدة فى الشطر الاول من خلافته ، سيرتها على زمن صاحبيه : تفتى وتحدث وتنشر العلم ، لكنه لم يكد لين عثمان يجرىء الناس عليه ، ولم تكد القالة تفشو ناقمة عليه بعض تصرفاته ، وتنتشر الامور عليه آخر خلافته ، لم يكد يكون ذلك حتى انقلبت الحال ، فرأينا السيدة عائشة تقود حركة المعارضة العنيفة ، ورأينا عثمان يتبرم بموقفها كل التبرم ولم تزل السيدة توغل فى تدخلها السياسى حتى أدى الامر الى أن يستغل موقفها أولو الكيد والفساد ، وآلت الاحداث الى ما لم تكن تحب السيدة نفسها ، وحتى خرج الامر من يدها فى النهاية الى أيدى الغوغاء وقادتهم الخطرين ،

فكانت فيما بعد ـ أشد الناس ندما وحسرة وألما على ما فعلت

« نجد اذن للسيدة فى هذا العهد سيرة جديدة مرتجلة ، لم يكن لها ما يشبهها فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر ، انها تبرز الآن بغتة فى ميدان السياسة وتمارس شؤونها وتملى على الخليفة رأيها فى عزل الولاة ونصبهم ، وتصب احتجاجاتها بعنف شديد على تصرفاته ، ثم يئول بها الامر الى أن تتزعم معارضة شديدة خطرة ، تتقاذفها الاغراض والدسائس ـ من حيث لاتشعر السيدة ولا تريد ـ حتى تنجلى عن أشأم يوم عرفه تاريخ المسلمين: ذلك يوم الدار ، يوم قتل الغوغاء الخليفة الصابر الشهيد ، عثمان ابن عفان رضى الله عنه »

فيكتور هيجو

تأليف الدكتور جورج زايد

وهذا كتاب « فيكتور هيجو » عرض فيه المؤلف ترجمة موجزة لحياة الشاعر المجيد ، ونقل مقاطع وأناشيد من روائع آثاره ، وقد جاء فيه :

« .. فى ذلك الوقت كانت مدام فيكتور هيجو تتألم كثيرا من علاقات زوجها بجولييت ، وتكتم ألمها هذا اذ لم تكف يوما عن حبه ، وظلت تفاخر بشهرته ، وتبدو فى كل ناد محبة وفية له ، وواسعة الصدر ، تدرك ان لكل رجل عظيم ميوله وضعفه . ولم يتردد هو يوما عن أظهار مودته لها واحترامه .. وقد كتبت اليه ذات مرة عام ١٨٣٨ ـ وهو مع جولييت فى بريتانى ـ رسالة يندر ان تكتب مثلها زوجة لزوجها ، كان حبها له أصبح عاطفة والدية ، قالت : « لا تحرم نفسك شيئا ، اما انا فلست فى حاجة الى اللذة ، بل انا فى حاجة الى الهدوء . وليس لى فى هذه الحياة الا رغبة واحدة ، هى أن يسعد الذين أحبهم . ان سعادتى قد مضت ، لا .. بل ان سعادتى هى فى سعادة الآخرين ، فيمكنك أن تفعل مايحلو لك فى هذه الدنيا ، فانى سعيدة مادمت أنت سعيدا . ولا تظن أن قولى هذا خلو من العاطفة نحوك ، بل على العكس هو التضحية بعينها والزهد فى الحياة . ولن أطالبك بحقوقى الزوجية فمن رأيى أن تكون حرا كأنك طليق .. »

والكتاب مطبوع بمطبعة الشمس الحديثة بمصر

لماذا كانت الراسمالية تعنى الحرب ؟

تأليف هنرى نويل فورد

الف هذا الكتاب هنرى نويل فورد ، وابان فيه العلل الخفية ، والدوافع الكامنة ، والاسباب البعيدة الاولى لاشتعال الحرب . ونقله الى العربية « الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف » ومما تضمنه هذا الكتاب :

« .. أن الذين يلقون تبعة الحرب على هؤلاء الذين يصلونها، لم يحسنوا قراءة شىء من التاريخ، حتى التاريخ الحديث فى عصر

الديمقراطية ، فليست الشعوب هي التي تنشب الحروب بل الدول التي تعرف في لغة الدبلوماتية باسم القوى « Powers » . وان القرار بنشوب الحرب ليتخذ عادة في العالم الحديث قبل أن يصل تصادم المصالح الى طور سفك الدماء بزمن طويل ... وكان الناخب العادي ، ولابس الحلة الحاكية ، على جهل تام بما هنالك من اتفاقات وتنظيمات . ومن ثم لم تكن الشعوب هي التي تثير الحروب ، بل الحكومات هي التي تهيىء لها بدم بارد قبل أن تلتهب عواطف الجماهير ، وما دام القتال محتدما ، والأمل في النصر قائما ، فان روح المحافظة الجماعية على النفس ، وغريزة القطيع ، تكفلان الا يتخلى ناخب عن زعمائه

« قد يقول قائل : بما أن الناخبين ليسوا هم اللذين يضرمون الحروب ، فان في آلة الديمقراطية عندنا خللا ، فيجب اصلاحه . وهذا حق ، ولكن الناس يخطئون عادة حين يعالجون هذا الأمر ، اذ يحسبون أن الديمقراطيات هي بالضرورة محبة للسلام ، فليس الامر كذلك حين تكون لتلك الدول امبراطوريات واسعة غير مستقلة تحتفظ هي بها وتذودعنها . وهم كذلك يخطئون حين يحسبون أن الديمقراطية يمكن أن تؤدي عملها جيدا في دولة طبقية ، اي في دولة قائمة على التباين ، تهيمن فيها القلة على الوسائل التي تعيش بها الكثرة . من المعلوم أن الاوتوقراطيات والدكتاتوريات تجنح الى الحرب ، ولكن هذا لا يعني ان الديمقراطيات الراسمالية تجنح الى السلام ، فسبب الحرب كامن في هذه البلاد جميعا ، الا وهو تكوينها الطبقي ، ونظام التوزيع المعيب الذي تتشبث به »

نساء محمد

تاليف السيدة سنية قراعة

« .. وعاد الى بيته يقاسي آلام المرض من جديد ، واشتدت به وطأته وهو في بيت أم المؤمنين ميمونة .. واجتمعت حوله نساؤه ، فنظر اليهن وقال يسألهن:

ـ أين انا غدا ؟ !

فكانت تجيبه منهن من عليها « الدور » ، فيعود من جديد يقول:

ـ أين انا غدا ؟ !

« وفهمت أمهات المؤمنين ما كان يرمي اليه . كان يريد أن يذهب الى بيت « عائشة » وان تتولى هي تمريضه بالاشتراك معهن جميعا

« ولم ترض نفس محمد الزوج الكريم ، أن يخص عائشة دون النساء جميعا بشرف تمريضه والبقاء عندها دون أن يستأذنهن في ذلك ، ويحصل على موافقتهن جميعا ..

« ولم تجد نساء النبي أمام هذا الكرم النفسي والرعاية العالية ، الا أن ينزلن عند رأيه ، وان يدعنه يذهب الى حيث يستطيع أن يجد راحته . وخرج رسول الله معتمدا على عمه العباس وابن عمه علي بن ابي طالب حتى دخل بيت « عائشة »

« .. وبرغم ماكان يقاسيه محمد من وطأة المرض، فقدكان العطوف المحب لزوجه ، يحاول بشتى الطرق إن يخفف عنها ، وانها لتنظر اليه وتتمنى له عاجل الشفاء فيضاحكها بقوله :

ـ ماذا على لو مت أنت فقمت اليك وكفنتك ووسدتك التراب؟

«وأجابته «عائشة» وفى نفسها ألم ممض :

ـ لكأنى بك وقد فعلت ذلك فعدت الى بيتك فاعرست فيه ببعض نسائك !

«وعرف محمد أن دعابته قد آلمت عائشة ، فقام اليها يحاول ان يرفه عنها ، ويذهب ما أحسته من غضب ووجد ، حتى صفت نفسها وابتسمت

«.. وانه لينظر اليها بعد ذلك ويقول لها :

ـ لا ابالى بالموت ، منذ علمت انك زوجتى فى الجنة »

هذه سطور مما تضمنه كتاب « نساء محمد » للاديبة « بنت الشاطئ قراءة» عرضت فيه صورة المرأة العربية الكريمة ممثلة فى أمهات المؤمنين . وتحدثت عن الحكمة فى تشريع تعدد الزوجات، وابانت الضرورات السياسية لتعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام

من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب

تاليف الدكتور محمد خلف الله

« ... فلما درجت نهضتنا الحديثة واشتد ساعدها ، واتصلنا بتيارات النقد العربى الكلاسيكى، بدانا ندرك ان دراسة البلاغة المدرسية أمر ليس تحته كبير طائل ، وان مطالبة الناشئين بتحصيل علوم المعانى والبيان والبديع وما حوت من تعريفات وتخريجات ، ارهاق لامبرر له ، وان هذه الدراسة لا تعين على تنمية الذوق ولا توسع الفهم الادبى ، ولكنها ـ على العكس ـ قد تصرف عن تتبع النواحى الاصيلة فى الادب

« وقد كان رجال الجامعة فى مصر ، فى طليعة من حملوا لواء حركة الاحياء فى هذا الميدان ، فى محاضراتهم ودراساتهم ، وكان مما اتجهت اليه جهودهم ان يتعرفوا مدى الصلة بين الادب وفروع الدراسات الانسانية الاخرى، وما يمكن أن يكون لتعرف تلك الصلة من أثر فى توجيه النقد الادبى »

هذا بعض ما جاء فى كتاب « من الوجهة النفسية فى دراسة الادب ونقده » للدكتور محمد خلف الله ، الاستاذ بكلية الآداب، حاول فيه ان يتتبع الجهود التى بذلت للتحرر من نير البلاغة الشكلية ، وان يبين المدى الذى يمكن دارس الادب وناقده ان يسمو اليه فى استخدام وجهة النظر النفسية

وقد نشرته « لجنة التاليف والترجمة والنشر »



صديق المساجين

بقلم
جورج لنوتر

عرف المسيو ابير بعطفه على المساجين وشغفه بالدفاع عنهم . وقد وضع سنة ١٨٣٦ مذكرات ، سجل فيها ما رأى وسمع فى السجون مدة عشرين عاماً . ويحدثنا المؤلف فى كتابه الذى نلخصه هنا ، عن بعض هذه الذكريات وما فيها من حوادث ونوادر

لكل من الناس ذوقه وميوله ، والناس أحرار فى اتجاه ميولهم وأذواقهم ، فليس لأحدهم أن يعترض على ما يتجه اليه ميل سواه وذوقه ، على شرط الا يكون فى ذلك ما يسىء الى المجتمع أو يقلق الأمن أو يمس النظام . على أن من الميول والأذواق ما يثير الدهشة لخروجه عن المألوف . وميول « المسيو ابير » وأذواقه من هذا النوع !

عاش المسيو ابير فى فرنسا ، فى عهد الملك لويس الثامن عشر والملك شارل العاشر ، أى فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر . وكان طيب القلب ، حسن السيرة ، ينتمى الى أسرة معروفة ، ويملك ثروة تجعله فى بحبوحة من العيش ، ثم هو يحترم القوانين ، ويعد مثلا صالحا بين المواطنين

والشىء الوحيد الذى كان يميز المسيو ابير عن سواه من الناس، هو ميله الى الاهتمام بالمسجونين ، والمجرمين ، والخارجين على القانون . وهو ميل عجيب لم يذكر التاريخ مثيلا له

كان المسيو ابير ، اذا سمع عن سرقة ترتكب ، أو جريمة تقترف ، شعر بدافع قوى يدفعه الى الاهتمام بالحادث ، والدفاع عن مرتكب السرقة أو الجريمة ! ان قلبه الطيب كان يخفق شفقة على ذلك المجرم ، الذى لم يقدم على فعلته الشنعاء ـ كما يعتقد هو ـ الا لأنه لم يجد من يسدى اليه النصح ويوجهه نحو الخير ، فاندفع فى طريق الشر ، أو لأنه كان فى حالة من البؤس أوصلته الى الاجرام

كان المسيو ابير من أولئك الذين تأثروا بتعاليم جان جاك روسو القائل : « ان الانسان يولد صالحا ، والمجتمع هوالذى يجعله شريرا ! » وقد اعتنق ابير هذا الرأى ، وراح منذ عام ١٨١٦ يدرس ويبحث للتثبت من عقيدته

جعل يطوف السجون ويزور المسجونين ويتحدث اليهم ويصغى الى شكاياتهم . وكثيرا ما كان يرثى لحالهم ويثور على العدالة القاسية التى أرسلتهم الى السجون !

وأدت هذه الزيارات بالمسيو ابير الى الاعتقاد بأن المسجونين جميعا أبرياء مضطهدون ، وبأن السلاسل التى تقيدهم لا لزوم لها ، وأن القوانين التى تطبق عليهم جائرة ، وبلغ به الهوى فى النهاية ، الى التصميم على وقف حياته ونشاطه وأمواله على الترفيه عن المسجونين والدفاع عنهم !

كان فى باريس ـ لذلك العهد ـ سجنان مخصصان للمحكوم عليهم من رجال الجيش : واحد يدعى « آبيى » والآخر « مونتيجو » وقد كان مدرسة من قبل . فطلب ابير من وزير العدل تصريحا بالقاء محاضرات على المسجونين فى « مونتيجو » فأجيب الى طلبه ، لأنه كان يحمل توصيات من شخصيات كبيرة فى باريس . لكن الوزير اراد أن

بجعل مهمته صعبة أو مستحيلة التنفيذ ، فاشترط عليه أن يكون القاء المحاضرات فى الساعة الرابعة صباحا . فقبل الرجل بغير تردد ، وكان يغادر فراشه كل يوم فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل !

لم يضق ابير بذلك ، ولكن سامعيه من المسجونين هم الذين تململوا ، فقد ضايقهم النهوض فى تلك الساعة المبكرة ، للاستماع الى ذلك المصلح الغريب ، الذى راح يحدثهم عن المثل العليا فى الحياة ، وعن فوائد السلوك الحسن ! ولا شك فى أن كثيرين منهم كانوا يغطون فى النوم وهو يتكلم !

وكانت تلك المحاضرات تنتهى بأحاديث يتبادلها الرجل مع سامعيه، فيفتح له أولئك المسجونون قلوبهم ، ويقصون عليه حوادثهم ، ويقولون جميعا انهم مظلومون أبرياء ، وانهم ضحية أخطاء قانونية فظيعة !

وكان المسيو ابير يصدقهم !

وحدث مرة أن اقنعه اثنان منهم بأنهما بريئان ، وبلغت شفقته عليهما حدا جنح معه الى التآمر معهما ، ومساعدتهما على الفرار من السجن ، فاكتشف أمره ، وقبض عليه ، وحوكم ، وصدر الحكم بحبسه ثمانية اشهر !

ولشد ما اغتبط مسيو ابير اذ أتيح له أن يدخل السجن مسجونا لا زائرا ، ولم يكن من قبل يطمع فى أن يخدمه الحظ الى هذا الحد

السجن ! .. انه سجين لحسابه الخاص ، لا لحساب الآخرين ! يالها من فرصة رائعة ، استغلها المسيو ابير ليعيش مع «رفاقه» المسجونين عيشا لا يختلف فى شىء عن عيشهم ، فكان يدرس عاداتهم ، ويصغى الى احاديثهم ، ويتعلم اللغة الخاصة التى يتفاهم بها المسجونون ، ويأكل وينام ويشرب ويفكر كما يأكلون وينامون ويشربون ويفكرون !

تضاعفت شفقته على تلك البيئة من الناس ، خلال المدة التى قضاها فى السجن ، ورسخت فى صدره العقيدة القائمة على أن المجرم لا يكون مجرما من تلقاء نفسه ، بل لأن الهيئة الاجتماعية هى التى تدفعه الى الاجرام .. حتى اذا ما الفه ، تعذر عليه الاقلاع عنه .

وعند ما فتح باب السجن أمام المسيو ابير ، للخروج منه ، بعد انتهاء الاشهر الثمانية ، شعر بانه لن يستطيع الحياة فى المستقبل الا بين جدران السجون وفى صحبة اصدقائه المسجونين

وما لبث أن حصل على تصريح خاص بزيارة السجون والمعتقلات والاصلاحيات فى اى وقت ، وبغير قيد ولا شرط . ثم جعل يطرق السجون فى سائر انحاء فرنسا كبيرها وصغيرها ، ليس كزائر كما كان شأنه من قبل ، ولكن كأحد المسجونين انفسهم ، فكان ينام كل يوم فى سجن ، ويشارك المسجونين طعامهم وشرابهم وألعابهم وأحاديثهم

وفراشهم وثيابهم ، ويدون ما يقصونه عليه ، ويجد لكل منهم اعذارا تبرر جريمته ، ويتوسط لهم لدى الحكام ، ويقدم لهم الحلوى والشراب والتبغ والكتب وأدوات اللعب والتسلية . ويدعوهم الى التذرع بالصبر حتى يأتيهم الفرج !

كان عند ما توضع السلاسل فى ايدى المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ، وتعلق الكرات الحديدية فى ارجلهم ، يقف بينهم مشجعا معزيا . وعند ما يساقون الى الطرقات اوالجبل لقطع الاحجار ونقلها ، يسير معهم ، ويساعدهم فى القطع والنقل

احبهم واحبوه !

كانوا ينتظرون قدومه بشوق زائد، ويرحبون به مهللين مصفقين . انه يحمل اليهم كلمات عذبة تخفف من آلامهم ، ويشترك فى المؤامرات التى تحاك فيما بينهم ، للهرب من السجن أو الليمان ، واذا ما تمكن واحد منهم من الهرب ، فهو الذى يساعده ــ خارج السجن ــ على الاختفاء ، أو على الابحار الى الخارج ، فيمده بالوثائق المزورة ، وبالمال اللازم ، دون أن يعلم أحد بذلك غير المسجونين انفسهم ، وهم لا يفضحون امره ، لأن كل واحد منهم يأمل ان يأتي دوره !

وكانت هوية المسيو ابير تتجلى ، وتبلغ شفقته أقصى مبلغ ، عند ما يحكم على أحد المجرمين بالاعدام . فهو عندئذ يقضى مع المحكوم عليه آخر ساعاته ، ويستمع الى آخر كلماته ، ويرافقه الى المركبة التى تقله الى ساحة الاعدام ، ويصعد معه الى المقصلة ويظل واقفا الى جانبه حتى يقطع رأسه

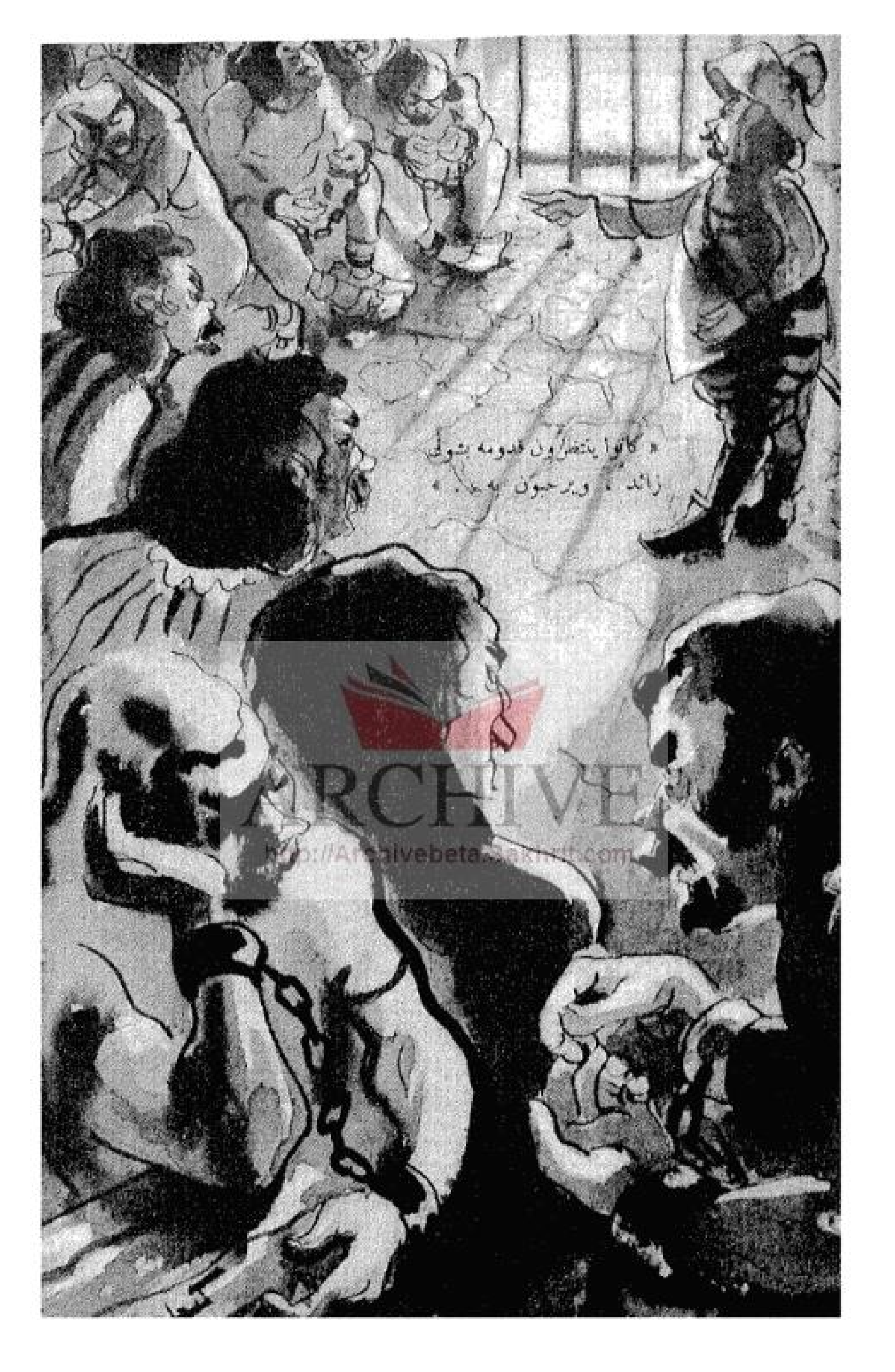
وقد كتب المسيو ابير قصته فى مؤلف ضخم طبع سنة ١٨٣٦ بعنوان : «سجون وليمانات ومجرمون» . وجمع فى ذلك الكتاب ذكرياته وكل ما رأى وسمع فى السجون مدة عشرين سنة . وفى الكتاب اقاصيص ونوادر عن المجرمين والمحتالين الذين عرفهم ، وعدد كبير من الرسائل التى تلقاها منهم ، فهو كتاب فريد فى بابه ، اذ يلقى بعض الضوء على طائفة من حوادث الاجرام والاحتيال التى وقعت فى ذلك العهد ، والتى ذاعت شهرتها فتعدت حدود فرنسا الى الخارج

وفيما يلى ، خلاصة لحادثين من هذا النوع ، كما رواها ابير فى تلك المذكرات العجيبة :

١ ــ أنتلم كوليه

هــذه قصة واحد من أولئك اللصوص الذين خدعوا مواطنيهم ، واظهروا فى حيلهم نبوغا ، بل عبقرية ، لو وجهت الى الخير لحققوا منه الشىء الكثير

ولد « أنتلم كوليه » فى بلدة « بيللى » فى اسرة يشتغل أفرادها بالتجارة



« كانوا ينتظرون قدومه بشوق
زائد ، ويرحبون به . . »

دخل المدرسة صبيا ، ولكنه تركها عند ما اغلقت المدارس بسبب الثورة الفرنسية الكبرى ، عام ١٧٩٣ . وتطوع أبوه فى جيوش الجمهورية الجديدة ، وأرسل الصبى الى جده الذى عامله بقسوة ، اعتقادا منه ان القسوة ضرورية لتهذيب الصغار، وذلك عملا بنصيحة « جنرال » قديم متقاعد . وقد انتقم الصبى من ذلك الجنرال بكيفية مبتكرة ، فطاف اماكن بيع الحلوى ، موصيا بارسال كميات منها الى منزل الجنرال ، بحجة انه يقيم مادبة كبيرة ، ثم انتقل الى الضواحى وأعلن أن زوج الجنرال فى حاجة الى مرضع . وفى اليوم الذى حدده لبائعى الحلوى والمراضع ، تلقى الجنرال وزوجه عشرات من طرود الحلوى وثمانى وستين امرأة تقدمن كمرضعات ، وضحك الناس كثيرا لهذه اللعبة التى انتقم بها الصبى من القائد .. فلما بحثوا عنه ، كان قد اختفى من البلدة

ضرب فى الاقاليم باحثا عن عمل ، فكسب رزقه كيفما استطاع ، ولما بلغ السابعة عشرة من العمر ، تطوع فى الجيش وأرسل الى ايطاليا حيث ميزته شجاعته ، ثم جرح فى احدى المعارك ..

وهنا تبدأ مغامراته واحتيالاته

تعرف فى مدينة نابولى الى احد الاساقفة ، وادعى لديه انه من أسرة فرنسية شريفة ، وان أباه « المركيز دى كوليه » طرده من المنزل بسبب بعض اعمال اقدم عليها مدفوعا بطيش الشباب . وصدقه الاسقف ، واشفق عليه ، وتطوع لاصلاح ذات البين ، واقناع الوالد « المركيز » بالعفو عن ابنه . فكتب خطابا الى المركيز المزعوم ، وتسلم الشاب الخطاب متعهدا بانه سيوصله الى ابيه بالبريد

وبعد مدة قصيرة ، تلقى الاسقف ردا من المركيز ، يقول فيه : انه نزولا على رغبته ، يصفح عن الابن الضال . وكان الشاب هو الذى كتب ذلك الرد ، وأرسله بالبريد الى الاسقف . وجاء فى ذلك الرد أن « المركيز دى كوليه » يكون سعيدا ، لو تفضل الاسقف وبذل نفوذه ومساعيه ، لادخال ابنه « انتلم » فى سلك الكهنوت المسيحى ، واثقا من أن اسمه وذكاءه سيضمنان له النجاح والتقدم

وأدخل الشاب فعلا احد الاديرة فى نابولى ، واتقن دوره بمهارة فائقة ، فخدع الرهبان ورجال الدين بمظاهر تقواه وورعه ، وتمكن من جمع ثروة لا يستهان بها ، مما اخذه من الأسر الكبيرة باسم الاعمال الخيرية ، ونجح فى التقرب من ملك نابولى ، جوزيف بونابرت ، شقيق الامبراطور نابليون ، الذى عرض عليه رتبة ووظيفة فى الجيش ، فترك الدير ولبس من جديد ثوبه العسكرى

وقضى بضعة أشهر فى الجيش ، استغلها فى اغواء طائفة من النساء

الموسرات ، واقتراض مبالغ طائلة من الاغنياء ، ثم اختفى بما جمعه من مال . .

وحدث بعد اختفاء كوليه ببضعة اسابيع ، أن عثر الصيادون بالقرب من شاطىء فيشيا ، على غريق تتقاذفه الامواج ، فانتشلوه وهو في آخر رمق من الحياة ، وأسعفوه بالعلاج ، وقص عليهم قصته فقال : انه قبطان مركب تجارى فرنسى تحطم خلال عاصفة هوجاء ، وان اسمه « تولوزان » وأخرج من جيوب ثوبه الممزق ملفا من الاوراق المبللة بماء البحر ، فاذا بها اوراق المركب الرسمية ، التى تدون فيها محاضر السفر واسماء البحارة وغير ذلك من شؤون . وقد فقد تولوزان كل شيء في تلك الكارثة !

ونقلوه الى روما حيث رآه الكردينال فيش فاشفق عليه ، وقرر أن يساعده ، ثم أنزله ضيفا عليه في قصره . . وما كان « تولوزان » هذا غير كوليه ، الذى انتحل شخصية ذلك القبطان واستولى على أوراقه. وبوساطة الكردينال ، وضعت مصارف روما تحت تصرفه ٣٨ الف فرنك ، سافر بها في مركبة من مركبات الكردينال بحجة انه عائد الى فرنسا ، واستدان في الطريق مبالغ أخرى ، فأصبح يملك ٦٠ الف فرنك عند ما وصل الى تورينو. وهناك اختفى مرة أخرى من الانظار!

***

وظهر بعد ذلك مديرا لاحد المسارح في جنوى ، حيث وضع المجلس البلدى تحت تصرفه كميات هائلة من الملابس ومعدات التمثيل ، ففر بها وتنكر في زى أسقف ، وعاد الى الظهور في مدينة سيون ، حيث أعلن انه موفد لفتح اكتتاب بمائة الف فرنك لترميم كنيسة القديس بطرس بروما . وبعد جمع المبلغ المطلوب ، ارسل يدعو مهندسا مشهورا لدرس المشروع ، ولكن المهندس بحث عن الاسقف فلم يجده . .

وكان كوليه في تلك اللحظة يقطع في مركبته الطريق الى ستراسبورج ، متنكرا في زى أحد قواد الجيش الفرنسى ، فاجتاز الحدود الى المانيا ، ثم ذهب الى فينا ، وانتقل منها الى ايطاليا ، وعاد الى فرنسا

ولكن ، على الحدود ، تغيرت شخصيته مرة أخرى ، فقد حصل على مائة الف فرنك من صاحب مصرف كبير في سافونا ، وارتدى في اليوم التالى ثوب الاسقف من جديد ، وانتحل اسم « مونسنيورى باسكوالينى » وسافر بهذا الاسم وهذه الصفة الى مدينة ليون ، قائلا انه ذاهب الى باريس لمقابلة الامبراطور نابليون

وفى الطريق ، أصبح الاسقف مرة أخرى قائدا من قواد الجيش ، مكلفا من الامبراطور بشراء ما يلزم لاحدى الفرق المعسكرة في اسبانيا ، وضم اليه في الطريق بعض الضباط ، وسار في موكب مؤلف من عشرين شخصا ، فوصل الى طولون فمرسيليا ، حيث عرض الحامية العسكرية ،

وانتقل من مدينة الى اخرى ، مراقبا مفتشا ، يصدر الاوامر ويستولى باسم الامبراطور على النقود الباقية فى خزائن الجيش ، وفى مدينة مونبليه ، أقام له العمدة حفلة رسمية ووليمة فاخرة . وفى اثناء الوليمة ، احاط رجال البوليس بالمكان ، والقوا القبض على المحتال ، وقادوه الى السجن بثوبه العسكرى ، واوسمته ! وعند ما فتشوا حقائبه ، عثروا فيها على عشرات من الازياء والاختام والتحف الثمينة وكمية كبيرة من أدوات الزينة والتنكر !

تناقلت الافواه حادث الرجل العجيب ، وافضت نساء المدينة الى العمدة برغبتهن فى رؤية ذلك المحتال الذى خدع الناس فى كل مدينة وبلد ، وأجابهن العمدة الى رغبتهن، فدعاهن الى حفلة ساهرة ، وجيء بكوليه من سجنه ، ووضع فى المطبخ ريثما يلتئم عقد المدعوين والمدعوات . فتمكن المحتال من سرقة ثوب الطباخ ، وتنكر مرة اخرى ، وحمل بيده طبقين ، وخرج من المطبخ الى الطريق ، دون أن يفطن احد الى أن هذا الطباخ ليس الا كوليه ، صاحب الحوادث المدهشة !

وراح من جديد يتنقل فى فرنسا ، بازياء مختلفة ، حتى قبض عليه للمرة الاخيرة فى مدينة مانس ، وحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة عشرين سنة

وعرفه المسيو ابير «صديق المساجين» ، فقص عليه كوليه قصته

٢ ـ الكونت دى سانت ايلين

فى صباح يوم من أيام الربيع ، سنة ١٨٠١ ، احتشد الناس فى ميدان قصر العدل بباريس ، لمشاهدة المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ، حسب العادات والتقاليد المرعية . فان كل مجرم يحكم عليه ، كان يعرض فى ذلك الميدان ليراه الناس ، ويتذكروا وجهه اذا ما تمكن من الفرار من الليمان . وفى ذلك اليوم ، كان رجال البوليس يعرضون فى ميدان قصر العدل رجلا وامراة

اما الرجل ، فهو فى نحو الثلاثين من العمر ، وسيم الطلعة ؛ عليه مسحة من النبل ، وقد علقت على صدره لوحة كتب عليها اسمه :
« بيير كونيار ـ ١٤ سنة أشغال شاقة ـ سرقة ونصب واحتيال .. »
واما المراة فهى شريكته ، وتدعى ليز لوردا ، وقد حكم عليها بالسجن مدة عشرين سنة . وبعد عرضهما على الجماهير اربع ساعات ، نقلت المراة الى سجن سان لازار ، ونقل الرجل الى طولون ، وقد وضعت السلاسل فى عنقه ويديه ورجليه

هو ابن فلاح ، تطوع فى الجيش عام ١٧٩٢ ، فى عهد الثورة الفرنسية . ودفعه عشراء السوء الى ارتكاب سلسلة من السرقات واعمال النصب والاحتيال ، فقبض عليه ، وعوقب بالاشغال الشاقة

وفى طولون ، عرف الذل والهوان والقسوة . فقد ربط مع رفيق له فى اليمان يدعى داريوس بسلسلة واحدة ، واصبح الرجلان ، عملا بالقوانين السارية ، يعيشان معا كانهما رجل واحد ، لايستطيع احدهما أن يفارق الآخر لحظة واحدة

وبعد اربع سنوات قضاها كونيار فى الاعمال الشاقة مربوطا الى رفيقه ، قرر الفرار ، واستطاع الافلات من السلاسل ، واجتياز الاسوار الى خارج اليمان ، فاختبأ فى الحقول وعجزالحراس عن العثور عليه . وأخيرا ، سرق ثوب فلاح منمزرعة ، واجتازمقاطعة بروفانس كلها ، وعبر الحدود الى اسبانيا حيث أصبح فى مأمن من مطارديه

كيف السبيل الى ضمان الرزق فى ديار الغربة ؟ انتحل اللص الهارب اسم « دى بونتيس » وادعى انه شريف فرنسي من انصار الملكية ، فر من وجه الامبراطور نابوليون . فصدقه الناس ، وقبل الاسبانيون تطوعه فى عصاباتهم المسلحة ، التى كانت تقاوم الفرنسيين الفاتحين ، وما لبث « كونيار دى بونتيس » ان أحرز رتبا عسكرية رفيعة واوسمة ممتازة من حكومة اسبانيا فى ذلك العهد

عرف فى مدينة برشلونة امرأة تدعى « روزا مارسن » كانت خادما عند الشريف الفرنسى « الكونت دى سانت ايلين » واصبحت وحيدة معدمة بعد موت سيدها ، وهى لا تملك غير بعض الحلى التى تركها لها الشريف ، وخاتما باسمه حفرت على فصه شارة الاسرة

اخذها كونيار فى خدمته ، وعول منذ اللحظة الاولى على انتحال اسم « سانت ايلين » باستخدام الخاتم والشارة . وجعل شيئا فشيئا يذيع أن اسمه الحقيقي هو : « الكونت دى بونتيس دى سانت ايلين ! »

كانت الجيوش الفرنسية قد غزت اسبانيا وانتشرت فيها ، وشاء سوء الحظ أن يقع كونيار اسيرا فى أيدى الفرنسيين ، واصبح مهددا بالاعدام أو الاشغال الشاقة . فاذا اعترف بحقيقته عوقب كمحتال ؛ واذا ظل منتحلا اسم « بونتيس دى سانت ايلين » عوقب كفرنسى حمل السلاح ضد وطنه

لكن الرجل كان بارعا فى الدفاع عن نفسه ، وتبرير سلوكه ، الى حد أن المرشال سولت ، القائد الفرنسى الاعلى ، عفا عنه ، وعرض عليه البقاء فى الجيش الفرنسي بالرتبة نفسها التى كان يشغلها فى الجيش الاسبانى

ولكن الايام السوداء كانت مقبلة على النظام الامبراطورى . فقد انهار عرش نابوليون ، وعادت اسرة بوربون الى فرنسا ، وجلس على العرش فى باريس الملك لويس الثامن عشر ، وانتهى عهد الحروب ، فماذا يصنع كونيار ؟ أيعود الى فرنسا باسم سانت ايلين المنتحل ،

ويطلب من الملك اعادة حقوقه اليه ؟ أم يتدرع بالحذر ، بطلب احالته الى المعاش ، كضابط قديم ؟

تشاور مع روزا مارسن، وأصغى الى نصائحها . . وبعد أسابيع من عودة الملك ، كان كونيار قد وصل الى باريس ، واقام فى دار فاخرة ، باسم « الكونت بونتيس دى سانت ايلين ! »

سارت الامور فى بادىء الامر على خير ما يرام ، فان فوضى الالقاب كانت تعم فرنسا بعد انهيار نظام وعودة نظام ، وعاد من الخارج الوف من النبلاء والاشراف ، الذين افقدتهم الثورة كل شىء ، وراح كل منهم يطالب الملك باعادة ثروته وأملاكه اليه ، أو بمنحه وظيفة فى القصر ، أو رتبة فى الجيش . وكان الكونت دى سانت ايلين ، فى نظر الناس ، واحدا من أولئك المغبونين من ضحايا الثورة !

لم يتقدم الرجل بطلب منحة أو وظيفة أو رتبة ، لكنه اكتفى بطلب مقابلة الملك ، والافضاء اليه برغبته فى أن يخدمه لوجه الله وحبا للعرش الذى يفديه بحياته ، بعد أن ضحى من أجله بثروته !

وصدقه الملك لويس الثامن عشر ! وجعل الكونت المزيف يتردد على القصر، ويجالس فيه العائدين من الاشراف والنبلاء ، وقد ارتدى افخر الملابس وزين صدره بالاوسمة

لكنه خشى مغبة هذا المسلك ، فراح يبحث عن وثائق ملموسة يبرزها عند اللزوم لاثبات شخصيته المنتحلة ، والمطالبة بحقوقه ، واحتلال المركز اللائق باسرته !

نبهته روزا مارسن الى ان الكونت دى سانت ايلين الاصيل كان يقيم فى بلدة سان بيار ، بمقاطعة فانديه ، وان أوراق هذه البلدة وسجلاتها لابد أن تكون قد أتلفت فى عهد الثورة . فأسرع الرجل الى سان بيار ، وعلم من عمدتها ان السجلات باقية سليمة ، وان اسم « الكونت دى سانت ايلين » لم يرد فيها على الاطلاق

هذا باب لا يمكن ان يطرقه اذن !

غير أن روزا مارسن تذكرت أيضا ان الجيش البروسى ، فى عهد الامبراطورية ، قد أتلف السجلات فى مدينة سواسون ، عام ١٨١٤ ، فذهب كونيار الى هذه المدينة ، ونزل فى أحد فنادقها ، مع خادمه الخاص

ولم يكن ذلك الخادم غير شقيق الكونت المزيف ، الكسندر ، الذى الحقه اللص بخدمته مشترطا عليه ان يطيعه طاعة عمياء

ونادى « الكونت دى سانت ايلين » صاحبة الفندق ، وسألها اذا كانت تذكر حادثا وقع فى فندقها قبل ذلك التاريخ بخمس وأربعين سنة ، وخلاصته أن رجلا من الاشراف نزل فى الفندق مع زوجه ، التى وضعت طفلا . وأضاف قائلا : « أنا هو ذلك الطفل يا سيدتى .

والمسافر وزوجه هما والداى ، الكونت دى سانت ايلين والكونتيس دى سانت ايلين ! الا تذكرين ؟ »

قالت المراة انه لشرف عظيم لها ، ان يكون الكونت دى سانت ايلين قد رأى النور فى فندقها ، ولكنها لا تذكر الحادث !

فأجاب الكونت :

ـ هذا لا يهم .. فقد جئت الى سواسون لأزور المدينة التى هى مسقط راسى ، واصلى فى كنيستها ، وابحث فى سجلاتها عن الوثائق التى انا فى حاجة اليها ، واكافىء الاشخاص الذين يساعدوننى فى هذا المسعى

فاعربت المراة عن أسفها ، وقالت انها تشك فى نجاح مسعى الكونت ، لأن سجلات المدينة كلها قد أحرقت ، مما أحدث متاعب جمة لكثير من الاسر

وذلك هو ما كان ينتظره الكونت دى سانت ايلين !

وعند ذلك أسرع الى مجلس المدينة ، وخادمه سائر خلفه ، وقابل العمدة والموظفين والكاهن ، وتم التفاهم بينهم على أن تحل وثيقة يوقع عليها الشهود ، محل الوثيقة الاصلية التى لايمكن استخراجها من المدينة بسبب فقد السجلات . وعلى أثر هذا ، عاد كونيار الى باريس ، وعهد الى كاتب العقود فى وضع صيغة الوثيقة المنشودة ، وجاء بشهود مزيفين مثله ، هم رفاقه القدماء فى الليمان ، عثر عليهم أو عثروا عليه فى باريس ، فجمعهم حوله ، واغدق عليهم العطايا كيلا يبوحوا بأمره ويفشوا سره للناس

وأرسلت الوثيقة الى عمدة سواسون ، الذى وافق عليها وأقرها وختمها بخاتمه . واصبح كونيار حائزا على ما يثبت شخصيته المنتحلة

وهرب الامبراطور نابوليون فى أثناء ذلك من جزيرة البا ، واستعاد امبراطوريته فى مدة عشرين يوما . فقلق الكونت واضطرب !.. كيف ! أبعد كل ما حدث ، وبعد أن تمكن من انتحال شخصية معروفة ، والحصول على الوثائق الدامغة التى تثبت تلك الشخصية ، يجىء الامبراطور من جديد ليبدد الاحلام ؟

وهنا تجلى نبوغ كونيار ، بل هنا تجلت عبقريته الخاصة !

خرج لويس الثامن عشر من عاصمة ملكه هاربا فى طريق بلجيكا ، يحيط به لفيف من الاشراف الذين ظلوا على ولائهم له ، والذين ينتمون الى أشهر الاسر الفرنسية النبيلة . وكان الكونت دى سانت ايلين بينهم !

ذهب الرجل اذن مع الملك الهارب الى مدينة غاند ، حيث قرر لويس الثامن عشر الانتظار ، حتى يرى ما تكشف عنه الايام

بقى الملك فى تلك المدينة طوال « الايام المائة » التى قضاها نابوليون فى فرنسا بعد عودته من جزيرة البا . ولازمه فى عزلته أقرب المقربين

اليه ، من حلة القاب : دوق ، وكونت ، ومركيز .. وبيير كونيار ، اللص الهارب من الليمان ، المنتحل اسم الكونت .. دى سانت ايلين !

وبعـد هزيمة نابوليون فى واترلو ، واعادته الى المنفى ، عاد الملك واعوانه نهائيا الى العاصمة الفرنسية ، واراد لويس الثامن عشر أن يكافىء خادمه الامين الكونت دي سانت ايلين على اخلاصه وتفانيه فى خدمته ، فرقاه الى منصب « كولونيل » فى الحرس الباريسى !

ومنذ ذلك الوقت ، ظهر الكولونيل الكونت فى جميع الحفلات والاستقبالات والاستعراضات الرسمية . وكان منظره رائعا ، وهو على متن جواده المطهم ، مرتديا ثوبه المزركش ، محليا صدره بطبقات متراصة من الاوسمة ، وبيده سيفه المسلول ، يسير على رأس قوات الحرس !

أحبه الملك ، وأحبه الامراء والاميرات ، واغدقوا عليه عطفهم ..

أما روزا مارسن ، فقد ارتفعت أيضـا فى مدارج الرقى .. انها تدعى الآن « الكونتس دى سانت ايلين » وتقول انها من اسرة قديمة انقرضت فى اثناء الثورة .. اسرة دى لافوياد !

ويقص كونيار قصته على رجال الحاشية الملكية ونسائهم ، فيقول : انه فقد كل شىء ، بسبب الثورة ، وان اباه قد مات ، وامه ايضـا . وان شقيقتيه دخلتا الدير فى امريكا . ولا يعلم اذا كان يوجد فى العالم غيره من اسرة سانت ايلين . ويرجح انه الوحيد الباقى من تلك الاسرة التعسة التى طاحت بها الثورة الهوجاء ! وهو يحمل اسم سانت ايلين بكثير من الوقار ، وبغير فخفخة فارغة . ويقيم مع « الكونتس » زوجه فى دار بسيطة الرياش ، ولكنها لائقة بالوسط الذى يعيش فيه . وتسير الكونتس فى حياتها مع تيار الازياء والعادات الحديثة . وعندها من الجواهر والحلى ما يلفت الانظار . والخدم الذين يقومون بخدمتها فى الدار ، حسنو الهندام ، وخادم الكونت الخاص يثير الاعجاب اينما سار

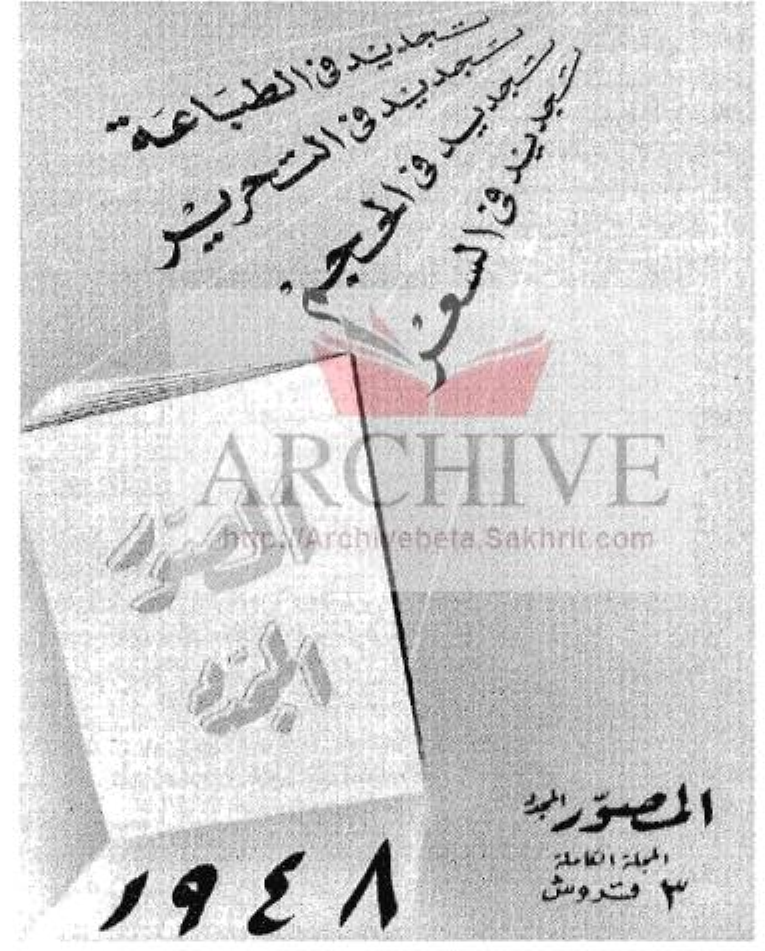
غير أن النجاح السهل السريع يضر بصاحبه أكثر مما يضره الفشل ، وهذا هو ما دفع بكونيار المحتال الى الهلاك . فقد صعد الى القمة فى سهولة وسرعة عجيبتين ، وظن انه اصبح فى مأمن من السقوط ثانية الى الهوة

عاودته غريزة النهب والسلب ، فنظم حوله عصابة من اللصوص الخارجين على القانون أو الفارين من الليمان ، ومعظمهم من رفاقه السابقين ، وراح يسطو بوساطة تلك العصابة على القصور والمنازل التى يستقبله اصحابها ، فكان يدل شركاءه على المغانم ، ويمهد لهم سبيل الوصول اليها

هذا أحد الاشراف يحيى حفلة ساهرة ويدعو اليها الكونت دى

الطريق إلى الكمال





أنظر صفحة ١٩٢

سانت ايلين ، فيذهب الكونت وزوجه ، وفى أثناء الرقص ، وبينما المدعوون يتناولون الطعام فى قاعة المائدة ، يقترب كونيار من الخزائن والمكاتب والابواب ، ويأخذ بصمات الاقفال بوساطة كرة من الشمع ، وبعد بضعة أيام ، تسطو عصابته على الدار ، بعد أن تفتح الابواب بالمفاتيح المزيفة التى صنعت بفضل تلك البصمات ، وتنهب كل ما تصل اليه الايدي من محتويات الخزائن . وعلاقات الكونت بأصحاب القصور والدور الفخمة، تجعله يعرف دائما مواعيدخروجهم وعودتهم. وهو لا يتردد فى دعوتهم الى داره لتناول العشاء وقضاء السهرة ، بينما شركاؤه يسطون على منازلهم وينهبونها. وهذا مثل من مغامراته :

ذهب مرة الى أحد كبار الموظفين فى وزارة الحربية ، فى بيته ، ومعه صديق له حاجة يريد قضاءها ، وبينما الموظف دائب على كتابة رسالة التوصية لصديق الكونت ، كان كونيار يطوف فى أرجاء الدار متفرجا على ما فيها من آثار وتحف وفضيات ، ومعه صديقه . وبعد أيام ، زار الكونت المزيف ذلك الموظف الكبير فى مكتبه بالوزارة ، وقضى معه وقتا طويلا الى أن حان موعد العشاء . وعند ما عاد الموظف الى بيته ، وجده خاويا من تحفه وفضياته ! فهل يمكن أن يرتاب فى أن الذى دبر تلك السرقة ، هو الكولونيل قائد الحرس الباريسى ، وقد قضى معه بضع ساعات فى ذلك اليوم ؟

ولم تكن « الكونتس » من ناحيتها مكتوفة اليدين ، بل ساعدت زوجها فى أعماله الرابحة ، وعاونته فى التحضير لتلك السرقات التى ارتكبتها العصابة .. ذهبت مرة لزيارة القائد الاسبانى مارثى ، فرحب بها ، ودعاها الى الجلوس :

ــ بماذا تأمرين يا سيدتى ؟

ــ جئت لأعرف منك عنوان الجنرال مينا الاسبانى ، الذى قيل لى انه فى باريس

ــ أنا لا أعرف عنوانه ، ولكننى سأحصل عليه فى الحال !

ثم نادى القائد خادمه ، وأمره بالاسراع الى سفارة اسبانيا ، والاستعلام منها عن عنوان الجنرال . فخرج الخادم ، ولم يبق فى الدار غير مارثى ، وزائرته الكونتس ، وخادمها الذى كان ينتظر فى قاعة الاستراحة . وبينما كانت الكونتس المزيفة تشغل صاحب الدار بحديثها ، كان خادمها يأخذ بصمات الاقفال فى الغرف الاخرى

وبعد بضعة أيام ، عاد القائد الى منزله فى المساء ، فوجد الابواب مفتحة ، وقد سرق اللصوص نقوده وثيابه وأوسمته وكل ما فى الدار من آنية فضية وتحف !

كان كونيار وزوجه يحتاطان للطوارىء ، ويعملان بمهارة فائقة ، بحيث لم تثر حولهما الشبهات . وكان فى استطاعتهما أن يواصلا

سلسلة النهب والسلب ، لو لم يحدث حادث غير منتظر ، كشف امرهما وادى بهما الى الهلاك

ففي يوم من أيام الربيع ، عام ١٨١٨ ، كان الكونت دي سانت ايلين في مكتبه ، فدخل عليه خادم ينبئه بان زائرا يرغب في مقابلته . فأذن له الكونت بالدخول . وما أن مثل بين يديه حتى بادره قائلا :

ـ انت لا تعرفني ! انا داريوس ، زميلك ورفيقك في الليمان !

كان في استطاعة كونيار أن يطرد الرجل في الحال ، او أن يدعو رجال الشرطة الى القبض عليه . ولكنه لم يفعل ، بل دخل مع زائره في حديث واخذ ورد ، وكان هذا سبب هلاكه

قص عليه داريوس ما حدث له بعد فراره من الليمان ، وكيف قضى مدة العقوبة كلها في الاغلال ، ثم خرج من السجن وعاد الى باريس ، حيث شاءت المصادفة أن يرى « الكونت دي سانت ايلين » على جواده في عرض عسكري ، فعرفه ، وتبعه ، وبعد أن تأكد من انه لم يخطيء ، جاء يطلب منه مساعدته ، ثم قال له :

ـ أنا لا أريد الحاق أي ضرر بك ، ولكني محتاج ، وأنت غني ، فساعدني ، واني لاتعهد لك بأن الزم الصمت ولا أبوح بشيء !

تمالك الكونت نفسه ، ولكن بعد فوات الوقت ، وبعد أن ثبت لداريوس ان محدثه هو رفيقه كونيار بعينه . وعمد الشريف المزيف الى طرد الرجل من حضرته ، فخرج غاضبا ناقما مهددا ..

وبعد ايام ، دعي الكونت دي سانت ايلين لمقابلة الجنرال ديسبينوا قائد الحامية . فلبى الدعوة .. وفاجاه الجنرال بقوله :

ـ يا حضرة الكونت دي سانت ايلين ، لن تخدع الحكومة بعد الآن ! انت بيير كونيار ، المحكوم عليه بالاشغال الشاقة ، والهارب من الليمان !

كان كونيار قد استعد للقاء الصدمة ، فجعل يصيح مستنكرا ، واقسم بأجداده بانه سينتقم من الذين يحاولون الحط من كرامته ، وقال أن في استطاعته أن يثبت بالوثائق أنه الكونت دي سانت ايلين

لكن الجنرال لم يعدل عن التهمة . ودق الجرس ، فدخل داريوس ..

لم يتمكن كونيار من اخفاء حركة ذعر بدرت منه .. وقال داريوس مرة أخرى :

ـ الا تعرفني ؟ لقد قضينا معا اربعة أعوام !

غضب كونيار ، وضرب المنضدة بقبضة يده ، واتهم داريوس بأنه كاذب محتال دجال . لكن الجنرال أسكته ، ونادى ضابطا من أركان حربه :

ـ اذهب مع الكولونيل الى داره ، فانت مسؤول عنه .. لا تتركه لحظة وحده .. خذ معك اثنين من رجال الشرطة

وفى منزل الكونت دى سانت ايلين ، رحبت الكونتس بالضابط ، ودعته لتناول المرطبات ، ودخل الكونت الى حجرته لاستحضار أوراقه ووثائقه ..

لكنه تأخر ، فنهض الضابط ودخل الحجرة فلم يجد فيها أحدا ، ونادى الشرطيين فقالا انهما لم يريا أحدا يخرج من الدار ، غير خادم واحد كان يحمل ادوات عمله

ولم يك ذلك الخادم غير كونيار نفسه !

هرب الرجل اذن ، وتمكن من الاختفاء ، ولكن رجال الشرطة تعقبوه ، وبعد شهر من فراره ، قبض مدير البوليس « فيدوك » على افراد العصابة جميعهم ، وعلى رأسهم كونيار ، فى حانة كانوا يجتمعون فيها ، وقاوم الكونت المزيف مقاومة عنيفة ، وجرح بعض رجال الشرطة وهم يقبضون عليه ، وقتل واحدا منهم

مثل « بيير كونيار بونتيس دى سانت ايلين » امام محكمة الجنايات وخصصت الجلسة الاولى لاثبات شخصيته . فمن هو ؟ بيير كونيار ؟ أم بونتيس ؟ أم الكونت دى سانت ايلين ؟

دافع عن نفسه دفاعا بارعا ..

لكن سوء حظ « الكونت » شاء أن تموت فى ذلك الوقت ، فى سجن سان لازار ، المرأة ليزا لوردا ، التى حكم عليها بالسجن عشرين سنة ، فى عام ١٨٠١ ، وعرضت على الجماهير مع شريكها بيير كونيار

ووجدوا معها صورة ذلك الشريك : انه بيير كونيار المنتحل لشخصية الكونت !

ابرز المدعى العمومى تلك الصورة فى جلسة محكمة الجنايات ، فكانت شهادة ناطقة لا يمكن نفيها

وفى شهر يونية ١٨١٩ ، حوكم بيير كونيار على اقترافه جرائم سرقة ونهب ونصب واحتيال بعد هربه من الليمان ، وعلى قتل أحد رجال الشرطة . وحوكم شركاؤه جميعهم فى جلسة واحدة

حكم على الكونت المزيف وعلى اخيه الكسندر بالاشغال الشاقة المؤبدة . وعلى بعض شركائه بالسجن ، أما روزا مارسن فقد صدر الحكم ببراءتها !

وأرسل كونيار الى ليمان طولون ، لكنه عومل فيه معاملة اشد قسوة من معاملة المجرمين الآخرين ، وظل يدعى انه « الكونت دى سانت ايلين » ، وان هناك خطأ قضائيا فظيعا ذهب هو ضحيته ! وكان رفاقه يسمونه « ملك الليمان ! »

واستقرت روزا مارسن فى طولون ، وظلت ترسل اليه نقودا وطعاما ، وتناقل الناس حوادثه ، فاصبح بيير كونيار أقرب الى الشخصيات الخرافية منه الى اللصوص المجرمين

بين الهلال وقرائه

س ـ قامتي قصيرة .. تبعث الحزن والاسى . فما العلاج ؟

صادق نافع . بالبصرة

ج ـ العلاج كان في ابيك وجدك . والعلاج كان في الرياضة من الصغر ، فهي تبسط المنطوى ، وتقيم المعوج . على أننا ما علمنا أن الرياضة فعلت في هذا السبيل شيئا ذا بال . فطول الجسم كطول الانف ولون الجلد ، وراثة ، الى الآن لا حيلة للانسان فيها . على أن القصر ليس كله حزنا واسى ، فالقصير أقل الناس سقوطا اذا هو تعثر في عقبة ، وهو في المعارك أكثر امتلاكا للأرض واثبت عليها ، وهو اقرب للأرض نوالا من الطويل الذي لابد أن ينثنى لينالها . والقصير في الحروب ، لقلة هدفه ، أقل استهدافا للرصاص . وهو في المظاهرات ، لقصره ، يكون رأسه أقل استهدافا للأحجار الطائرة . والقصر صفة من صفات النساء الغالبة ، فالمرأة ينتظر منها أن ترتاح الى السير مع قصير ، لأنها عندئذ تنظر على استواء عند ما تنظر اليه . اما نظرها الى الطويل ، فهو نظر الواطىء إلى العالي ، وفي هذا للعنق متعبة . والقصر لا يمنع من مجد ، فنابليون كان قصيرا ، والامام على كان قصيرا ان الذي « يبعث الحزن والاسى » ليس قصر الجسم ، ولكن قصر الهمة ، وقصر اليد ، وقصر الرأى . فاطل الرأى ، واطل الباع ، واطل الهمة ، تغنك عن طول الهامة

•

س ـ كلما قطع الانسان مرحلة اطول في التعليم ، ضعف ايمانه ، فهل هناك صلة بين التعليم والايمان ؟

عزيز شهاب
رام الله . فلسطين

ج ـ الصلة عظيمة لاشك .. ولاشك أيضا أنك سمعت بالقولة المشهورة التي قالها احد الخلفاء : « اللهم ايمانا كايمان العجائز » والجهل لاشك اعون على الايمان ، الايمان بكل شيء ، بالحق وبالباطل ، وبالمعقول وغير المعقول ، وبالخرافات والخزعبلات وباضدادها . وأساس ايمان الجاهل ليس ارضاء عقله ، ولكن ارضاء عاطفته ، وتسكين مخاوفه ، والذهاب بقلقه من اقرب السبل . أما ايمان المثقف فأساسه ارضاء العقل ، والعقل عاجز عن استنباط كل الحجج ، واستكناه كل الاشياء . وقصر العقل وعجزه على هذا النحو ليس في الايمان وحده ، بل في الحقائق جميعا أينما

كانت . وتاريخ الحقائق على القرون ، حتى العلمية منها ، يثبت أن من الحق ما انكره العقل، فما توالت السنون حتى عادت تؤمن به عقول ، ثم توالت سنون فآمنت به كل العقول

وليس وقوف العقل أمام شيء ، منكرا ، أو متشككا ، ما يدعو حتما الى انكار هذا الشيء او اعلان بطلانه

على ان الانسان منا يسرع الى انكار الاشياء على الثقافة القليلة، وعلى الشباب ، ولكنه كلما زاد ثقافة وعلما ، وزاد على السنين خبرة ، كلما اقتنع بضآلة هذا العقل ، وبقلة غناء الثقافة مهما اتسعت ، فهو يقف من الاشياء اما مؤمنا ، واما حائرا ، وقلما يقف منكرا . ذلك ان العاجز عن بلوغ الحجج فى الاثبات ، أعجز عن بلوغ الحجج للانكار

وقانا الله شر الريبة فيه . واذا نحن ضيعنا الله موئلا وملاذا ، فاين نطلب من بعد الله الموئل والملاذ !

ومتى يستريح اذن رجال البوليس

ان الاصل فى الدراسة ان تكون نهارا ، وقد فرغت حجرات الجامعة نهارا فى الجانب الاكبر من العام ، افرغها الاضراب للعظيم وللحقير، وللخطير والتافه ، ولسبب ولغير سبب ، حتى كاد الاضراب يكون غاية فى ذاته

واعداء مصر يضحكون فى اكمامهم ، لأن الذين يريدون بمصر شرا لا يريدون لها شرا من هذه الحال . ان اعداء مصر يريدون لها العجز ، وهل عجز أكبر من مهندس عاجز، وطبيب عاجز، وعالم عاجز، وتاجر عاجز، وسوف تحس هذا العجز فى سنوات قريبة تأتى ، ولعلنا بدأنا نحسه بتخريج النشء على دراسات مقتضبة مبتسرة

فالى ان يتهيأ لمصر ان تملأ حجرات الدراسة فى جامعتيها ومدارسها العليا نهاراً ، وأن تملأها باستمرار ودوام ، لا يمكن أن ينصرف الذهن الى ملئها ليلا، بالانتساب

●

س — الانتساب الجامعى، اين ذهب ؟ وهل يصح ان تفتح الابواب ليلا للمصريين فى المعاهد الانجليزية والفرنسية ، ثم تغلق فى وجوههم ابواب الجامعات المصرية ؟ قارىء جامعى بالمنصورة

ج — يا اخى ، ان السلطة فى هم من طلبة النهار ، فهل تريد ان تجمع الى هم النهار هم الليل؟

س — هل لشم الروائح العطرية فوائد صحية ، ام أن الفائدة تقتصر على الشعور بالارتياح لها ؟ قارىء . العراق

ج — فى سؤالك بعض جوابك . . فهذا الارتياح الذى تصف لايكون الا عن اثر صحى دخيل

والحق ان الروائح العطرية زيوت طيارة تستخدم فى الطب منبهات منعشات ، ولتسكين

[البقية على صفحة ١٨٨]

تعلم كيف تعيش

- خصص وقتا للعمل .. انه ثمن النجاح
- خصص وقتا للقراءة .. انها مصدر الحكمة
- خصص وقتا للتفكير .. انه منبع القوة
- خصص وقتا للعب .. انه سر الشباب الدائم
- خصص وقتا للضحك .. انه موسيقى النفس
- خصص وقتا للعبادة .. انها ينبوع الطمأنينة وراحة الضمير

أمراض التشنج، بافعالها العاكسة. وهي تعطى في العقاقير لتخفيف وطأة الاضطرابات العصبية كالهستريا والربو. وهي تقوى القلب. واذا امتص الجسم منها جرعات كبيرة نبهت العقل تنبيها مباشرا، وزادت في ضغط الدم، وزادت في عمق الانفاس

هذا اذا اخذت الزيوت العطرية في عمومها. اما اذا فحصتها زيتا زيتا، وجدت بينها اختلافا في الاثر الذي تحدثه في الاعصاب. ووجدت بها زيوتا، لا تنبه الاعصاب وتنعشها، بل تخمدها وتخبتها من أول الامر

على أن دليلك في ذلك حسك. ومن ذا الذي لايرتاح، عن صحة، وهو يجر انفاس الورد فيملأ بها رئتيه، أو يلاعب انفه بقرنفلة وهو يخلط انفاسه بانفاسها

والحب يحلو على العطور، لاشك في هـذا. وأثره في ذلك ليس شعريا خياليا، ولكنه جسماني واقعي. ومن الروائح، حتى على غير خبث، ما يقع على الحب كما يقع الماء على الجمر، فيه تهبيط وتثبيط.

●

س ـ لماذا لا تجند السينما المصرية لخدمة الاغراض الوطنية، بدل روايات قضايا العرض والشرف التي لا وجود لها الا في ادمغة السينمائيين ومحيطهم؟

م.ع. القاهرة

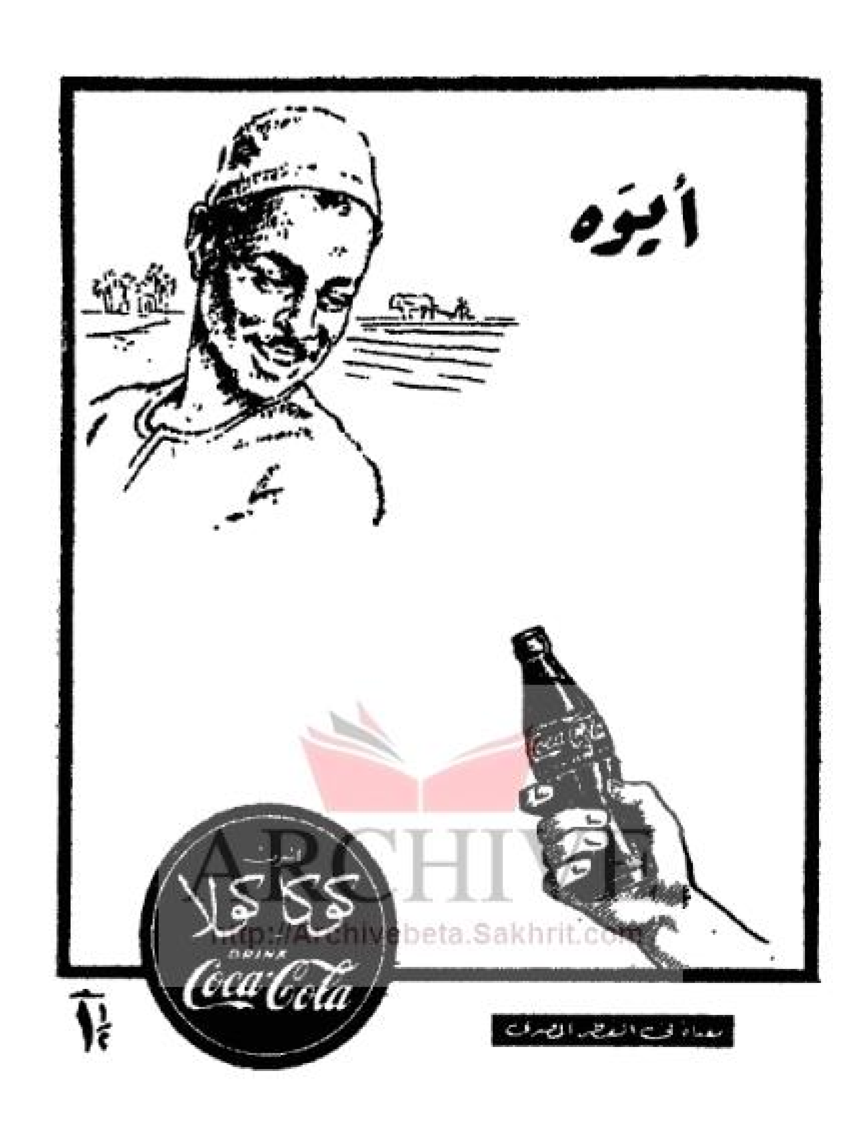
ج ـ اى والله، وأنا أقول معك لماذا؟ لقد اسمعتهم بسؤالك هـذا ولكن لا تنس أن السينما تجارة، والتجارة بيع وشراء، والبائع لابد أن يصنع بضاعته على هوى المشترى. ويظهر ان الجمهور المشترى جمهور أعراض، ونهش في اعراض. والجماهير تحب دائما أن ترى الدماء تسيل، والاسرار تفتضح. فاذا أنت نصحت الصناعة السينمائية، وهي البائعة، فلاتنس أن تنصح الجمهور، وهو المشترى

●

س ـ كيف اتغلب على الخوف من الناس، لاسيما اذا كان عميق الجذور يرجع الى عهد الطفولة؟

مشترك

ج ـ من المصادفات اني اقرأ هذا السؤال في مساء يوم حدثتني في صباحه شابة متزوجة من قريباتي ذات ولد، فذكرت لي أن كلبتهم، وهي اصيلة عريقة، ولدت لهم ستة جراء. والف ولدها، وهو في عامه الثاني، مصاحبة هذه الجراء. وكبرت الجراء وجرت بينها مشاحنات ومخاصمات، فكان الطفل يتدخل ليفرق بينها. وكانت تعجزه التفرقة احيانا، فيلقى بنفسه على المتخاصمين، فلا يجدان بدا من افتراق. ونما أحد الجراء نموا كبيرا، فاخذ يخاصم أمه. وتدخل الطفل بين الجرو وامه الكلبة العجوز، فاخذت الكلبة «تزوم» في وجه الطفل، وتكشر عن أنيابها، والطفل لها غير آبه


أيوه
اشرب
كوكاكولا
DRINK
Coca-Cola
معبأة في القطر المصري

ثم خرجت أم الطفل بطفلها ، فالتقى بطفل أسن منه يحمل كرة . فاقترب بكرته يحيي الطفل الأصغر ويعطيه كرته ، فما كان من هذا ان صرخ وتدارى في أمه. انه لقي الكلاب ولم يكن لقي الاطفال . ولم تنهه أمه الحكيمة عن أن يصرخ ويتوارى . ولم تقهره على الظهور وهو خائف . وانما أدركت ما في نشأة ابنها وحيدا من خطر ، وما سينشأ عنه من ذعر من الناس . فانتوت أن تتزاور والطفل في صحبتها ، وأن تدرجه على لقاء الاطفال حتى يمتنع الخوف أولا، ثم تأتي الالفة ، ثم يأتي الترحيب بمن يلقى بعد ذلك

فهكذا يتولد خوف الناس من الناس يا صاحبي . وهذا مثل واحد ، ولكن الامثال كثيرة ومختلفة

ونصيحتي اليك أن تغزو الناس، ومن تخافهم ، اما تدرجا كما انتوت أم الطفل أن تفعل ، أو اقتحاما . وأقول اقتحاما لأنك رجل بالغ ، أدركت أن بك خوفا من الناس ، وانه يرجع الى عهد طفولة

فاقتحم ، حتى لو سئت أدبا وخشنت مسلكا . وتلطف في اقتحامك بكل من تلطف ، واخشوشن لكل من اخشوشن . وقبل أن تقتحم تصور حال من تقتحم عليه محضره ، تذكر انه كان طفلا يملأ فمه لبنا ، ويلعب بأصبعه فيما يخرج من أمعائه.

وان تصورته فلا تتصوره في مكتبه من عمله ، ولا في مشيته المتأزمة بين الناس، ولكن تصوره وقد خلا الى زوجه ، أو تصوره وقد خلا الى نفسه حيث لابد ان يكون الخلاء تاما كاملا . وتصوره في مباذله ، فاذا اقتنعت بأنه لم يعد أن يكون حيوانا ، له من الطبائع ما لسائر البهائم ، فاقتحم عليه عندئذ الدار أو المكتب ، تجد أن خوفك قد تبخر . واذا تبخر الخوف مرة ، فقد تبخر أبدا

س — أنا على وشك زواج ، وقد قرأت كتابا في العربية ، في الحب والزواج. فلم يفدني. فهل تفيدني من اسم كتاب أو كتب

عدلي حسن . فلسطين

ج — أنا لم أطالع ما كتب في العربية في ذلك ، وأحسب ان كثيرا منها لا يدخل على الموضوع قدما ، ومباشرة ، فالشرق لايزال ينظر الى هذه الامور الحيوية في شيء من الريبة ، فهو ينظر الى الضلال الذي يكون من معالجتها بالصراحة ، أكثر من نظره الى الهدي الذي يكون لكثير من الازواج والآباء من ذلك

وأنت الذي على وشك الزواج ، تجد بغيتك في الكتب التي أخرجتها الكاتبة الانجليزية ماري ستوبس ، Marie Stopes ، اذا كنت تقرأ الانجليزية . ولعل بعضها ترجم الى العربية . والمكاتب تجيبك الى ما تسأل من هذا

ابن حزم